العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/03/20 – الموافق لـ 11 جمادى الثانية 1437

السنة 38 العدد 10220

Sunday 20/03/2016

38th Year, Issue 10220

وجوه

الأمير تركي الفيصل ص 7
المرحلة الجديدة في العلاقات السعودية الأميركية

مشروع غيورا آيلاند الإسرائيلي ص 8
قص سيناء من خارطة مصر

خالد الصاوي ص 9
وجها لوجه أمام تابوهات السياسة والمجتمع

أسادور ص 10
رسام حياة صنعها بألغازه البصرية

العرب الثقافي

ورود حمراء لأجل جورج طرابيشي

فواز طرابلسي: المثقف المتوجس من «الربيع العربي» ص 12

خلدون الشمعة: جورج طرابيشي العقل النهضوي ص 12

باسم فرات: معلم آخر يترجل ص 12

سعيد خطيبي: هل تصلح الرواية الجزائرية للقراءة ص 11

حميد زناز: مواطنات لا ذميات ص 11

فيليب توسان: ضربة رأس زيدان نصاً أدبياً ص 16

عواد علي: معايير عربية ص 11

إيران تريد تهدئة مع الخليجيين بلا تنازلات

● الكويت قبلت بمهمة الوساطة دون أي أوهام بشأن نجاحها

ليس بيد الكويتيين أكثر من المجاملة

❑ **الكويت** – استغربت أوساط خليجية لجوء إيران إلى الكويت من أجل القيام بوساطة بينها وبين دول الخليج العربي.

وقالت هذه الأوساط إن الكويت قبلت القيام بمهمة الوساطة ولكن من دون أيّ أوهام حيال إمكان نجاحها، خصوصا أن إيران التي أرسلت وزير الاستخبارات فيها إلى الكويت، قبل أيّام، لم تعط أيّ ضمانات تشير إلى رغبتها في تغيير سلوكها تجاه دول المنطقة.

وقالت المصادر ذاتها إن المبعوث الايراني اكتفى بالقول في لقاءاته مع المسؤولين الكويتيين إن ثمّة رغبة إيرانية في "فتح صفحة جديدة" في العلاقات مع دول الخليج.

وأوضحت الأوساط نفسها أن إيران طلبت عبر المبعوث الذي زار الكويت وقف التصعيد المتبادل.

لكنّ المسؤولين الكويتيين ردوا عليه بأن لا تصعيد متبادلا بين الجانبين، بما في ذلك من جانب الكويت نفسها التي اكتشفت في السنوات الأخيرة شبكات إرهابية عدّة تعمل لحساب إيران، إضافة إلى عثورها على مخازن أسلحة في أراضيها.

وأشار المسؤولون الكويتيون إلى أن لديهم أدلّة دامغة على أن مصدر المتفجرات والأسلحة كان إيران وأن عناصر كويتية تدرّبت إما في إيران أو لدى "حزب الله" في لبنان.

وعلى الرغم من عدم اقتناعها بجدوى الوساطة، أرسلت الكويت مبعوثين إلى الدول الخليجية لنقل الرغبة الإيرانية التي وصفها مسؤول كويتي بأنّها "رغبة في فتح صفحة جديدة في كتاب قديم".

وقال هذا المسؤول إنه ليس في الإمكان فتح هذه الصفحة الجديدة، ما دام الكتاب الذي تقرأ منه إيران لم يتغيّر.

وذكرت المصادر أن في استطاعة إيران أن تظهر رغبتها الحقيقية في إيجاد جسور تفاهم مع دول الخليج في حال قدّمت أدلة ملموسة على وجود توجّه سياسي جديد لديها.

وأشارت إلى أن الأماكن التي تستطيع فيها إيران تأكيد وجود تبدّل في سياستها عديدة.

ومن بين هذه الأماكن البحرين واليمن والعراق وسوريا ولبنان حيث يتولى "حزب الله" مهمّة شنّ حملات على الدول العربية، على رأسها المملكة العربية السعودية، وذلك نيابة عن طهران.

واستبعدت الأوساط نفسها نجاح الوساطة الكويتية وذلك لسببين على الأقلّ، أوّلهما أن الكويت نفسها لا تؤمن بأنّ تغييرا إيرانيا حقيقيا حصل يدعو إلى إعادة نظر خليجية في الموقف من إيران.

أما السبب الثاني، فهو عائد إلى أنّ إيران لم تقدم على أيّ خطوة تعكس نيّة في التغيير الجدي واكتفت بكلام قديم عن ضرورة إبقاء المنطقة خارج التدخلات الخارجية وبعيدة عنها.

ولاحظت أن إيران تحذّر من التدخلات الخارجية عندما يناسبها ذلك، في حين لم توفّر جهدا، في يوم من الأيام، في الاستعانة بهذه التدخلات عندما وجدت أنّها تخدم مصالحها.

وأعطت مثلا على ذلك المشاركة الإيرانية في الحرب الأميركية على العراق في 2003 وتورّطها الكامل في تلك الحرب التي أدّت إلى جعل العراق تحت الوصاية الإيرانية.

وخلصت إلى القول إنّ دول الخليج العربي تحتاج إلى أفعال من أجل ترميم العلاقة مع إيران وليس إلى كلام جميل من النوع الذي اعتادت طهران ترويجه بهدف التغطية على تدخلاتها في المنطقة من منطلق مذهبي بحت.

التقارير الإنسانية..
اليد الخفية لابتزاز السعودية

❑ **الرياض** - اعتبر مراقبون أنّ تضخيم الأخطاء التي يقع فيها التحالف العربي في اليمن، لا يهدف بالدّرجة الأولى إلى تطويق هذه الأخطاء والدفاع عن نموذج "الحرب النظيفة"، بل إن الأمر يرتبط بأسلوب دأبت عليه بعض المنظمات الإنسانية التي يتم توظيفها كواجهة لابتزاز السعودية وبقية دول الخليج.

وأشار المراقبون إلى أن التقارير ذات الصبغة الإنسانية قفزت إلى الواجهة فجأة بعد شكوك عن استهداف طيران التحالف لسوق في اليمن منذ يومين، لكنّ معدّيها صمتوا عن حصار مدينة تعز والمعاناة الإنسانية الكبرى لسكانها طيلة أشهر.

واختفت هذه التقارير منذ 21 سبتمبر 2014 تاريخ سيطرة الحوثيين على صنعاء، ولم تعلّق إلا بشكل عابر أحيانا، على تصفية الخصوم السياسيين ومصادرة ممتلكاتهم، وتفجير دور العبادة، واستهداف المواقع المدنية بدوافع طائفية، والحملة المناهضة للصحافيين والمثقفين الذين عارضوا الاستيلاء على السلطة بقوة السلاح.

وتساءل مراقب يمني عن سرّ سكوت المنظمات التي تدافع عن حقوق المدنيين على القصف الذي تتولاّه دول أخرى في أكثر من نزاع، مثل البراميل المتفجرة التي يلقيها نظام الرئيس السوري بشار الأسد على رؤوس المدنيين، أو الأخطاء المرافقة لقصف الطيران الروسي في سوريا، وقبله الطيران الأميركي في أفغانستان، والسجلّ واسع في خصوص هذه التجاوزات التي ترتقي إلى جرائم حرب في العراق منذ غزو 2003 وإلى الآن.

ويتزامن تضخيم خسائر الحرب ونتائجها على المدنيين مع وجود مؤشرات قويّة على اقتراب التوصل إلى حل سياسي للأزمة، وهو ما يثير الشكوك بشأن معارضة بعض الأطراف لوقف الحرب، وسعيها لإطالتها لتحقيق مكاسب بينها إجبار أطراف الأزمة على شراء مزيد من الأسلحة وبشروط مجحفة.

وأشار المراقب إلى أن تباكي الحوثيين على أوضاع المدنيين، والذي استندت إليه المنظمات الحقوقية في كتابة تقاريرها، هدفه خلق قضية هامشية تساعد على تأجيل الحسم العسكري في صنعاء، وربح الوقت على أمل الوصول إلى حل يحافظ على مكاسبهم الحالية. وقد انطلت الخطة الحوثية على المنظمات الحقوقية.

ودأبت منظمات حقوقية على شنّ هجوم على بعض دول الخليج، وخاصة السعودية، تحت شعارات حقوق الإنسان، ما يمكّن اليد الخفية التي تقف وراء تلك المنظمات من ابتزاز الخليجيين والحصول على صفقات اقتصادية وعسكرية دون أن تلتزم بأيّ مواقف مساندة لهم في ملفات المنطقة.

لكن الأمر اختلف في الأشهر الأخيرة، خاصة مع وصول العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز للحكم، حيث غيرت الرياض أسلوبها في التعاطي مع الأصدقاء على قاعدة المصالح، وليس على التحالفات الدولية التقليدية.

وبسبب خلافها الأخير مع الولايات المتحدة بشأن الاتفاق النووي مع إيران وعدم التزام إدارة الرئيس باراك أوباما بمراعاة المصالح الخليجية في هذا الاتفاق، بادرت السعودية إلى تنويع حلفائها، اقتصاديا وعسكريا، ووقعت على تفاهمات لصفقات كبرى مع كل من روسيا وفرنسا، فضلا عن باكستان والصين والهند كوجهة جديدة لاستثماراتها.

وتتخوف بريطانيا في الفترة الأخيرة من أن تتراجع السعودية على صفقات مهمة لفائدتها في ظل ضغوط يمارسها البرلمان الأوروبي وبعض المنظمات الحقوقية التي تنادي بوقف تصدير الأسلحة للرياض بسبب "أخطاء التحالف العربي" في اليمن.

وكانت السعودية وضعت السلطات البريطانية في وضع المتابع الدقيق لعمليات التحالف العربي في اليمن بانتداب مستشارين عسكريين بريطانيين للمراقبة والمتابعة، ما يجعل أيّ نقد يتوجه للرياض يمس آليا لندن التي ستجد نفسها في وضع يمنعها من مساندة الضغوط التي تمارس على السعودية أو السكوت عليها ما قد يقود إلى خسارة صفقات مهمة.

وكشف السفير السعودي في المملكة المتحدة الأمير محمد بن نواف بن عبدالعزيز بداية مارس الحالي أن بلاده تستعين بمستشارين عسكريين بريطانيين للحصول على مساعدات في عملية الاستهداف وفي الجوانب القانونية في ضرباتها الجوية لمعسكرات الحوثيين في اليمن.

وصوّت البرلمان الأوروبي يوم 25 فبراير الماضي لصالح فرض حظر على بيع السلاح للسعودية وذلك على نطاق دول الاتحاد الأوروبي، لكن البريطانيين يقولون إنه لا يمكن الالتزام بهذا القرار لأنه غير ملزم للدول الأعضاء، فضلا عن أنه يستهدف مصالح الشركات البريطانية بالدرجة الأولى.

وتقتني السعودية معظم أسلحتها من الولايات المتحدة الأميركية، بيد أنها مرتبطة بعشرات من العقود الكبرى والتي تقدر قيمتها بالعشرات من المليارات من الدولارات مع الدول الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا.

وداعا بشار الأسد

أحمد عدنان

ص 5

حياد مجلس الأمن يحبط بان كي مون في أزمته مع المغرب

❑ **نيويورك** – أصاب مجلس الأمن الدولي بالإحباط الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون حين رفض إصدار موقف داعم له في الحملة التي قادها المغرب ردا على تصريحاته الأخيرة حول الصحراء.

وقال مراقبون إن ما زاد من إحباط بان كي مون أن الدول الفاعلة في المجلس لم تدعمه، وتعاملت مع دوره في أزمة الصحراء بما يشبه دور ضابط الاتصال الذي يلتزم بما يصله من معلومات وقرارات يتولّى متابعتها وتنفيذها ليس أكثر.

وبدا أن الأمين العام للأمم المتحدة أراد أن يصدر المجلس موقفا داعما لشخصه بعد الشعارات التي رفعت خلال مظاهرات كبرى عمّت كبريات المدن المغربية الأحد الماضي والتي رأى فيها مسّا من قيمته، واستهدافا لرمزية الأمم المتحدة ذاتها.

لكن ذلك لم يحصل وعمل المجلس على تهدئة الموقف وحث على الحوار مع المغرب لتجاوز الخلاف.

وكشف ستيفان دوجاريك، المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة عن أن بان كي مون يشعر بخيبة أمل لفشل مجلس الأمن في اتخاذ موقف قويّ في خلاف بينه وبين المغرب بشأن الصحراء وإنه سيثير الأمر مع الدول الأعضاء بالمجلس قريبا.

واعتبر المراقبون أن مجلس الأمن قفز عن أيّ دور مستقبلي للأمين العام في ملف الصحراء حين تعهد أعضاؤه بالتحرك للحوار مع المغرب بشكل ثنائي حول مستقبل الحل في الصحراء، ما يعني رغبة في استمالة المغرب واسترضائه للعودة إلى المفاوضات بعد أن خرّبت جولة بان كي مون المكاسب التي تحققت طيلة سنوات من التفاوض في هذا الملف.

وأعلن إسماعيل جاسبر مارتينز ممثل أنغولا التي ترأس المجلس هذا الشهر أن الدول الأعضاء أبدت قلقها، ولكنها اتفقت على التحدث مع المغرب بشكل منفرد لضمان "تطور (الموقف) بطريقة إيجابية".

وردًا على أسئلة الصحافيين بشأن تأكيدات الأمانة العامة للأمم المتحدة على ما وصفتها بـ"التداعيات الخطيرة لقرارات السلطات المغربية" فيما يتعلق ببعثة "مينورسو"، اكتفى رئيس مجلس الأمن بالقول "أعتقد أننا بحاجة إلى مزيد من العمل الدبلوماسي مع المغرب لمواجهة جميع المشاكل".

وقال دبلوماسيون إن الدول الأعضاء في المجلس التي عارضت إصدار بيان تأييد قويّ لبان وأيدت أن تتعامل الدول مع القضية بشكل ثنائي شملت فرنسا، وهي الحليف التقليدي للمغرب، وأسبانيا ومصر والسنغال. ويتعين صدور بيانات مجلس الأمن بموافقة جميع الأعضاء.

وقال دبلوماسي غربي إن وزير الخارجية الفرنسي جان مارك إيرولت تحدث هاتفيا مع بان بشأن هذه المسألة وعرض التوسط بينه وبين الرباط للحد من التوترات.

وأضاف الدبلوماسي أن" باريس لا تريد زيادة اشتعال الموقف بالتحيز لطرف."

وحرص صلاح الدين مزوار، وزير خارجية المغرب على تأكيد أن بلاده "على خلاف مع الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، وليس مع منظمة الأمم المتحدة"، وهو ما يعني تشجيع مجلس الأمن على طيّ صفحة الخلاف والعودة إلى جهوده لحل الأزمة بقطع النظر عن موقف بان كي مون وآرائه الشخصية.

واتهمت الحكومة المغربية الأسبوع الماضي بان بأنه لم يعد محايدا في الصراع بشأن الصحراء المغربية وأمرت الخميس الأمم المتحدة بسحب 84 موظفا من بعثتها الدولية في الصحراء الغربية التي تسمى اختصارا (مينورسو).

واستغرب محللون كيف يمكن لأمين عام للأمم المتحدة أن يدعم انفصال الصحراء عن المغرب، وهو الكوري الذي يعرف أكثر من غيره المآسي التي ينتجها الانفصال.

وإلى الآن يعاني الناس في شطري كوريا من إحساس دائم بخطر اندلاع الحرب في أيّ لحظة، فضلا عن المآسي الإنسانية التي خلفها الانفصال على العائلات التي توزعت بين القسمين الشمالي والجنوبي.

بان كي مون... وداع لا يليق بالأمم المتحدة

خيرالله خيرالله

ص 5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الصدفة وراء سقوط صلاح عبدالسلام في بروكسل

المطلوب الأول في هجمات باريس الدموية يرفض ترحيله إلى فرنسا

وجه القضاء البلجيكي السبت تهمة "القتل والمشاركة في أنشطة مجموعة إرهابية" إلى صلاح عبدالسلام، أحد المشتبه بهم الرئيسيين في هجمات باريس، الذي اعتقل الجمعة في مولنبيك. وبعد عملية الاعتقال يفترض أن يتم تسليم عبدالسلام إلى فرنسا وأن يتمكن القضاء البلجيكي والفرنسي من المضي في التحقيق، لكن المعركة ضد الإرهاب الجهادي أبعد من أن تنتهي، وفق البلدين.

□ **باريس** – ما زال الوقت مبكّرا لمعرفة المزيد عن ملابسات اختفاء صلاح عبدالسلام منذ أن قام ورفاقه بارتكاب هجمات باريس الدموية في 13 نوفمبر من العام الماضي. الرجل الذي جرح أثناء عملية المداهمة التي قامت بها الشرطة البلجيكية وأدت إلى القبض عليه، غادر مستشفى سانت بيار في بروكسل السبت، وباشر المحققون البلجيكيون الاستماع إلى إفادته في مقر الشرطة الاتحادية، كما غادر المستشفى رفيقه الآخر الذي قبض عليه أيضا.

وقال المحامي سفن ماري، الذي يتولى الدفاع عن عبدالسلام، إن موكله سيعترض على تسليمه إلى السلطات الفرنسية، مضيفا أنه يتعاون بشكل جيد مع المحققين البلجيكيين. وأكد ماري أن باريس طلبت تسليمها عبدالسلام و"أننا سنرفض ذلك"، وفق مذكرة الجلب الأوروبية التي أطلقتها فرنسا، وأن الاعتراض سيستند على معايير تقنية قانونية.

وقد وضع عبدالسلام قيد التوقيف المؤقت لمدة 24 ساعة، وهو إجراء يمكن تمديده لمرة واحدة في القضايا المتعلقة بالإرهاب، كما تمّ وضع الشخص الآخر المتواطئ معه قيد التوقيف أيضا، بانتظار المداولات والتحقيقات البلجيكية والفرنسية.

ولم تتوقف عمليات البحث عن صلاح عبدالسلام في الأشهر الأربعة الأخيرة بعد اتهامه بالمشاركة في الهجمات التي جدّت في باريس وضاحية سانت دوني في 13 نوفمبر 2015 وأدت إلى مقتل أكثر من 130 شخصا. وقد جرى توقيف خمسة أشخاص في عملية المداهمة التي أدت إلى القبض على صلاح عبدالسلام، وكانت الشرطة البلجيكية تقتفي أثر المتهم بعد اكتشافها لبصمات له داخل شقة تم اقتحامها في فوريست في بلجيكا.

وترأس الرئيس الفرنسي فرانسوا هولندا مجلس الدفاع الذي التأم إثر الإعلان عن توقيف عبدالسلام بهدف "الوقوف على مجمل العمليات الجارية لمكافحة الإرهاب في فرنسا وأوروبا"، حسب مقرّبين من الرئاسة الفرنسية.

سيارة إسعاف تنتظر عبدالسلام أمام مبنى الشرطة في بروكسل

وعقد وزير الداخلية الفرنسي برنار كازنوف عقب اجتماع المجلس مؤتمرا صحفيا رحّب فيه بما اعتبره "ضربة كبيرة ضد داعش تحققت بفضل التعاون الجيد بين أجهزة الأمن الفرنسية والبلجيكية"، مضيفا أنه "ومنذ بداية العام فقد ألقي القبض في فرنسا على 74 فردا على صلة بأنشطة إرهابية، وقد تم اتهام 37 وسجن 28، وهي نتائج هامة، لكن لا علامات على انتهاء جهودنا وأن مستويات التهديد ما زالت مرتفعة".

من جانبه، أشاد رئيس الوزراء البلجيكي، شارل ميشيل، السبت بعد اجتماع أمني بـ"التعاون المثالي مع فرنسا" الذي أدى إلى القبض على صلاح عبدالسلام. فيما أعلن أن الحكومة البلجيكية حافظت على مستوى إنذار عالي الدرجات. وكان وزير الخارجية البلجيكي ديديه ريندرز قد أشار إلى أن صلاح عبدالسلام كان يحظى بمساعدة مقربين وبعون من الأوساط الإجرامية.

وكان الأنتربول قد أصدر السبت تعميما تنبيهيا إلى كافة أجهزة الشرطة دعاهم من خلاله إلى اليقظة والتشدد في الرقابة على الحدود بغية منع هروب أشخاص متواطئين مع صلاح عبدالسلام.

وكان عبدالسلام هو أكثر الأشخاص المطلوبين في أوروبا، ذلك أنه كان يعتقد أنه الوحيد الذي بقي حيا من الإرهابيين العشرة الذين نفذوا هجمات باريس وضاحية سانت دوني، وزرعوا الموت في ليلة 13 نوفمبر سيئة الذكر.

وكان المحققون يعتقدون قبل ذلك أن المتهم استطاع مغادرة أوروبا إلى سوريا مرورا بتركيا، فيما تحدّث شهود عيان عن تواجده في مدينة بوردو الفرنسية أو في ضاحية أوبرفلييه بالقرب من العاصمة الفرنسية. بيد أنه ثبت أن صلاح عبدالسلام لم يغادر بروكسل، ولم يغادر حيّ مولينبيك، وأنه بقي متخفيا هناك حتى تاريخ القبض عليه يوم الجمعة.

ويبدو أنه، ومثل الكثير من حالات الفرار، فقد قبض على صلاح عبدالسلام بالقرب من منزله في حيّه وبالقرب من أقربائه وأصدقائه، وليس بعيدا عن المقبرة التي دفن فيها شقيقه إبراهيم الذي فجّر نفسه في تلك الهجمات في باريس. وقد ألقي القبض على عبدالسلام جريحا في عملية مداهمة داخل شقة لا تبعد كثيرا عن المقهى الذي كان يديره في وقت سابق شقيقه إبراهيم، وعلى بعد 700 متر من منزل والديه.

وحسب المعلومات فإنه، وعلى ما يبدو بسبب عدم كفاية تسلّحه، سارع المتهم حين رأى أفراد الشرطة يقتحمون الشقة التي يتواجد فيها إلى الصراخ" أنا صلاح عبدالسلام". وقد تم القبض عليه خلال دقائق وشوهد بشكل سريع مرتديا بزة رياضية، ومغطى الرأس، محشورا بين أفراد الوحدات الخاصة الذين كانوا يصوّبون أسلحتهم باتجاه سطوح المنازل المجاورة في ذلك الحي الشعبي الذي ترعرع فيه، ولم يتم تأكيد هويته إلا عند السابعة مساء بعد مقارنة بصماته.

ويبدو أن الصدفة هي التي تقف وراء الاهتداء إلى مكان صلاح عبدالسلام قبل ثلاثة أيام من ساعة اقتحام مخبئه صحبة رفاقه. فيوم الثلاثاء 15 مارس، توجه أربعة أعضاء من فرع مكافحة الارهاب التابعة للشرطة الاتحادية، برفقة اثنين من ضباط تنسيق فرنسيين كجزء من فريق التحقيق المشترك، إلى عنوان في شارع "دو دري" في منطقة فورست في بروكسل، لتفقد روتيني لأحد المنازل الذي يصنف كحالة "باردة".

> صلاح عبدالسلام لم يغادر إلى سوريا وبقي في حيه وقرب منزل أهله وأحد أصدقاءه أبلغ الشرطة عنه

وقد بدا المنزل غير مأهول وقد قطع داخله الماء والكهرباء قبل أسابيع. وكان المحققون يشتبهون بأنه كان مستأجرا بهوية مزوّرة للمدعو خالد بركاوي، والذي ما زال مختفيا حتى اليوم، وهو نفس الاسم الذي كان تمّ من خلاله استئجار شقة أخرى في مدينة شارلروا في بلجيكا استخدمها الإرهابيون في 12 نوفمبر قبل ساعات من انطلاقهم لتنفيذ جرائمهم في باريس.

ولم يكن رجال الشرطة يتوقعون المواجهة، لكن المنزل الذي أعتُقد أنه حالة "باردة" كان نشطا جدا، حيث تم منه إطلاق وابل من الرصاص، ما أدّى إلى جرح أربعة من رجال الشرطة، كما أدى ردّ الشرطة إلى مقتل المدعو محمد بلقايد، وهو جزائري، ومقيم غير شرعي، مجهول من قبل أجهزة مكافحة الإرهاب. وفي مقارنة صورته مع الصور التي يمتلكها المحققون ثبت بشكل قاطع أنه كان واحدا من الذين شاركوا في هجمات 13 نوفمبر الباريسية.

واذا ما أدت تلك العملية "الصغيرة" إلى مقتل بلقايد، إلا أن ما لم يكن يعرفه المحققون أن الاشتباك أتاح فرار مشبوهيْن، كان من ضمنهما صلاح عبدالسلام، ولم يتأكدوا من أمر ذلك، إلا بعد يومين بعد العثور على أحدى بصماته على الزجاج داخل تلك الشقة.

إلا أن مكالمة هاتفية جرت بعد ساعات قليلة من فشل هذه العملية، وضعت الشرطة البلجيكية مجددا على درب الهارب. فقد تلقت الشرطة مكالمة من صديق صلاح عبدالسلام يعلمهم أن الأخير طلب منه أن يساعده في العثور على مخبأ. ومن خلال متابعة رقم المتصل والتحقق من الاتصالات، تمكن المحققون البلجيكيون من تحديد موقع الإرهابي في شقة مولينبيك. وسرعان ما قاموا بشن عملية الاقتحام.

تم اكتشاف مخبأ صلاح عبدالسلام من خلال اتصال أجراه أحد أصدقائه، تماما كما جرى في حالة عبدالحميد أباعود الذي قتل في 18 نوفمبر الماضي في ضاحية سانت دوني. فقد تمكن المحققون من اكتشاف مخبئه إثر تعقبهم لاتصال هاتفي أجرته قريبة المشتبه به حسنة آيت بلحسين، ما يؤكد أن عمليات القبض على المشتبهيْن الأخيرين جرت من خلال شهادات عفوية تعكس محدودية المعلومات التي كانت أجهزة الأمن الفرنسية والبلجيكية تمتلكها.

مواجهات بين ميليشيات إسلامية تستبق انتقال حكومة السراج إلى طرابلس

□ **طرابلس** – شهدت العاصمة الليبية طرابلس اشتباكات عنيفة بين ميليشيات مسلحة في أكثر من حيّ، وسط شكوك بارتباطها بإعلان حكومة الوفاق الوطني التي يقودها فايز السراج الانتقال خلال الأيام المقبلة إلى المدينة.

وأكد شهود عيان أن الاشتباكات تركزت، السبت، في حي الجمهورية وبن غشير وبالقرب من باب العزيزية، وسط العاصمة والقريبة من مقر المؤتمر الوطني العام (المنتهية ولايته)، وذلك باستخدام الأسلحة المتوسطة والخفيفة.

وتعكس المواجهات مدى تعقد المشهد الأمني في طرابلس التي تنشط بها عدة جماعات مسلحة في ظل ضعف إنفاذ القانون.

وقال شهود العيان إن الاشتباكات خلفت عددا من السيارات المحترقة في الشوارع بين منطقتي زاوية الدهماني وباب العزيزية قبل عودة العاصمة فيما بعد للهدوء.

ولم ترد تقارير فورية عن وقوع قتلى أو مصابين.

وتصاعدت أدخنة سوداء فوق المنطقة وشوهدت مركبات عسكرية تنفذ دوريات في الشوارع المجاورة.

وذكر مصدر أمني أن الاشتباكات وقعت بين الفرقة السادسة من زاوية الدهماني وكتائب صلاح البركي في المعسكر 77 من باب العزيزية.

ويرجح مراقبون أن تكون المواجهات الأخيرة في طرابلس مرتبطة باستعراض قوى بين الميليشيات الإسلامية لفرض شروطها على حكومة السراج الموجودة في تونس والتي أعربت عن نيتها الانتقال إلى العاصمة الليبية في غضون أيام.

وتعم الفوضى ليبيا بوجود جماعتين متناحرتين تتنافسان على السيطرة أحدهما في طرابلس والأخرى في الشرق وكل جماعة تدير حكومتها الخاصة.

وتتفاوض حكومة وحدة وطنية تم تشكيلها بوساطة من الأمم المتحدة ومقرها حاليا تونس لدخول طرابلس في محاولة لإنهاء الصراع.

وتجد حكومة السراج صعوبة في تنفيذ ذلك في ظل رفض من قبل المؤتمر المنتهية ولايته في طرابلس والبرلمان الموجود في طبرق.

وحذر رئيس حكومة الإنقاذ خليفة الغويل، فايز السراج وأعضاء المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني من القدوم إلى طرابلس. وقال الغويل إن انتقال المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني إلى طرابلس "خطوة غير قانونية"، مرجحا إمكانية إلقاء القبض على أعضاء المجلس.

واعتبر رئيس حكومة الإنقاذ أن هذه الخطوة ليست في صالح الدولة، مضيفا أن حكومة الوفاق الوطني "تفتقر إلى الشرعية اللازمة لتحكم من طرابلس، ولا يمكن نقل السلطة لحكومة لا تتمتع بدعم المؤتمر الوطني".

وكان السراج قد أعلن، مؤخرا أن حكومته ستنتقل إلى طرابلس خلال أيام، لافتا إلى أن خطة أمنية جرى الاتفاق عليها مع الشرطة والقوات المسلحة في طرابلس ومع بعض الفصائل المسلحة والأمم المتحدة ستسمح للحكومة الموجودة في تونس بالانتقال إلى ليبيا.

وأوضح رئيس حكومة الوفاق أن أطرافا كمجموعات مسلحة جرى التواصل معها وسيكون لها دور وفقا لمعايير وضوابط معينة وهذا أيضا سيكون واضحا لدى الجميع خلال وجودنا في العاصمة.

وتابع السراج قائلا "توصلنا لتفاهمات واضحة جدا على أساس أن هذه المجموعات المسلحة تكون بثكناتها موجودة لحين إيجاد صيغة للتعامل معها وسيتم استيعاب هذه المجموعات وفق آليات محددة جدا".

وذكر أن المجلس الرئاسي لحكومة الوحدة يرى ضرورة اغتنام فرصة قوة الدفع الدولية بشأن ليبيا، لكن الأمر يرجع لليبيين لتحديد احتياجاتهم، مشيرا إلى أنه إذا قدم المجتمع الدولي مساعدة فإنه لا يعتقد أن الليبيين سيرفضونها لكن يجب أن يكون ذلك وفقا لما يريده الليبيون.

وبالتوازي مع التطورات التي تشهدها العاصمة طرابلس، يحقق الجيش الليبي بقيادة خليفة حفتر على الطرف المقابل (بنغازي شرقا) نجاحات مهمة ضد تنظيم الدولة الإسلامية، حيث تمكّن من السيطرة على مواقع استراتيجية مهمة بمحيط مصنع الإسمنت آخر معاقل التنظيم بمنطقة الهواري جنوب المدينة.

وقال الناطق باسم القوات الخاصة (الصاعقة)، العقيد ميلود الزوي، السبت إن السيطرة الكاملة على منطقة الهواري باتت مسألة وقت.

وأكد أن تنظيم داعش محاصر من كافة الاتجاهات من قبل المفارز العسكرية التابعة للقوات الخاصة وبقية وحدات الجيش الليبي والقوات المساندة.

وتشهد مدينة بنغازي اشتباكات عنيفة في عدة محاور بين قوات الجيش والوحدات المساندة له من شباب المناطق من جهة، وتحالف مجلس شورى ثوار بنغازي وتنظيمي داعش وأنصار الشريعة من جهة ثانية.

وتطالب قوى إقليمية تتصدرها مصر المجتمع الدولي بدعم الجيش بقيادة خليفة حفتر للتصدي لتنظيم الدولة الإسلامية وباقي الجماعات المتطرفة .

الجيش الليبي يتقدم شرقا

الجيش اليمني قاب قوسين من تحرير شبوة الاستراتيجية

ولد الشيخ يلتقي الحوثيين تمهيدا لإطلاق جولة جديدة من المفاوضات

يحقق الجيش اليمني والقوى المساندة له انتصارات استراتيجية في عدة جبهات، لعل آخرها اقترابه من تحرير محافظة شبوة بالكامل من أيدي الحوثيين، الأمر الذي ستكون له تداعيات كبيرة في الصراع الدائر في هذا البلد.

صالح البيضاني

ساعة النصر اقتربت

□ **صنعاء** – أحرز الجيش الوطني والمقاومة الشعبية في اليمن تقدما جديدا في جبهة "بيحان" التي تعد آخر المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون في محافظة شبوة (جنوب صنعاء).

وقال الناشط الإعلامي اليمني عبدالوهاب بحيبح الموجود في مناطق المواجهات أن اللواءين 19 و26 مشاة التابعين للجيش الوطني تمكنا من السيطرة على مناطق استراتيجية هامة في "بيحان" في ظل تقهقر ميليشيات الحوثي وقوات الرئيس السابق علي عبدالله صالح.

وأضاف بحيبح في اتصال هاتفي مع "العرب" أن قوات من اللواء 19 مشاة تمكنت من السيطرة على العلم وجبل لحيضر المطل على مفرق الحمى.

وعن الأهمية الاستراتيجية لهذا التحرك العسكري لفت بحيبح إلى أن تحرير بيحان يعد إعلانا لتحرير محافظة شبوة بالكامل وكذلك قطع طريق إمدادات هام كان يزوّد الحوثيين بالسلاح والوقود، كما يجعل هذا التحرك قوات الجيش الوطني على تماس مع محافظة البيضاء، بموازاة مديرية السوادية التي تضم أكبر معسكر للحرس الجمهوري في المحافظة والذي بسقوطه تكون البيضاء قد تحرّرت عمليا.

وعلى الصعيد الميداني أيضا شهدت مدينة تعز مواجهات عنيفة حيث شنت ميليشيا الحوثي والقوات الموالية لصالح هجوما معاكسا بهدف استعادة مواقع كان سيطر عليها الجيش الوطني والمقاومة الشعبية في الأيام الماضية.

ووفق مصادر يمنية لـ"العرب" فقد تركّزت المواجهات في محيط معسكر اللواء 35 مدرع الذي خسرته الميليشيات في المعارك الأخيرة. وأكدت المصادر مقتل العميد محمد العوني قائد أركان حرب اللواء 35 مدرع المعيّن من الرئيس عبدربه منصور هادي والذي قاد معركة تحرير المعسكر.

ويربط مراقبون سياسيون بين حالة التصعيد الميداني من جهة وتصاعد التصريحات المتفائلة بالتوصّل لحل سياسيّ للأزمة اليمنية، حيث يسعى كل طرف لتعزيز فرصه في العملية التفاوضية التي تمكنه من إحراز انتصارات سياسية توازي انتصاراته العسكرية على الأرض.

وأعلن المتحدث باسم التحالف العربي الداعم للشرعية في اليمن، اللواء السعودي أحمد عسيري الأربعاء عن اقتراب نهاية "المرحلة الرئيسية من المعارك" في اليمن.

وفي قراءته لآفاق الحل السياسي في هذا البلد في ظل التحولات السياسية والعسكرية قال المحلل السياسي اليمني ياسين التميمي في تصريح لـ"العرب"، "نحن أمام ترتيبات لحل تم إنجاز الشق الأهم منه وهو التهدئة على الحدود، لكن ثمة ملامح عسكرية للحل العسكري يستدعيه تصعيد الانقلابيين في تعز، والقصف النوعي لطيران التحالف في صنعاء. والرهان بات معقودا على نجاح المبعوث الدولي في التوصل لصيغة حل تعيد الرئيس عبدربه منصور هادي وحكومته إلى صنعاء".

وفي هذا السياق وصل المبعوث الدولي إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد إلى العاصمة اليمنية صنعاء في مهمة تهدف لعرض آخر صيغة من التوافق التي يمكن أن تمهد لجولة ثالثة من المشاورات بين الحكومة الشرعية والمتمردين.

> تحرير بيحان يعد إعلانا لتحرير محافظة شبوة بالكامل وكذلك قطع طريق إمدادات هام كان يزود الحوثيين بالسلاح والوقود

وبدا المبعوث الدولي متفائلا بإحراز تقدم سياسي في منشور له على صفحته الرسمية في موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" معتبرا أن زيارته الجديدة للعاصمة صنعاء تحمل "تباشير مهمة تلوح في الأفق السياسي معززة بمباركات الداخل والخارج".

وكان في استقبال ولد الشيخ أحمد ممثل عن "وزارة الشؤون الخارجية" التابعة للمتمردين الحوثيين علي حجار، وفق مدير مطار صنعاء خالد الشايف.

والتقى المبعوث الأممي قبيل مغادرته إلى صنعاء بالرئيس اليمني عبدربه منصور هادي في مقر إقامته بالرياض، ونقلت وكالة الأنباء الرسمية التابعة للحكومة الشرعية عن الرئيس عبدربه منصور قوله إن "كل الأبواب مفتوحة للتوصل إلى سلام شامل ودائم وفقا للمبادرة الخليجية ومخرجات مؤتمر الحوار الوطني الشامل وقرارات مجلس الأمن الدولي".

وتلزم قرارات مجلس الأمن، وخصوصا منها القرار 2216، المتمردين بالانسحاب من الأراضي الواسعة التي استولوا عليها منذ أكثر من عام خصوصا من صنعاء، وإعادة الأسلحة التي استولوا عليها من الجيش.

وتحاول الأمم المتحدة إعادة إ طلاق المحادثات بين الأطراف المتحاربة، وكانت جلسة أولى قد نظّمت في سويسرا في ديسمبر 2015.

وفيما اعتبر استعراضا للقوة وردًا على تهميش دوره في الحوارات الإقليمية والدولية، دعا حزب الرئيس السابق علي عبدالله صالح أنصاره للخروج في مظاهرة حاشدة في السادس والعشرين من الشهر الجاري، في مؤشر على اتساع الخلاف بين شركاء الانقلاب في اليمن.

القوات العراقية تقترب من السيطرة على هيت

□ **بغداد** – نجحت القوات العراقية في السيطرة على ناحية كبيسة غرب هيت، حسب ما صرّح به ضابط رفيع في الجيش العراقي.

وكانت القوات العراقية قد بدأت هجوما كبيرا صباح السبت، لاستعادة قضاء هيت من تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة الأنبار غربي البلاد.

ويقود جهاز مكافحة الإرهاب، وهو قوات النخبة العراقية، العملية بمشاركة قوات الجيش والشرطة ومقاتلي أبناء العشائر لإعادة السيطرة على قضاء هيت الواقع 145 كلم غرب بغداد.

وقال الفريق علي إبراهيم دبعون قائد قوات الجزيرة إن "القوات العراقية من الجيش والشرطة الاتحادية وأفواج الطوارئ ومقاتلي العشائر وجهاز مكافحة الإرهاب وبمساندة الطيران الحربي للتحالف الدولي والقوة الجوية والمروحيات، بدأت عملية عسكرية واسعة النطاق لتحرير مدينة هيت وناحية كبيسة غرب الرمادي".

وأكد دبعون "تحرير ناحية كبيسة بالكامل من سيطرة تنظيم داعش وهروب عناصر التنظيم باتجاه مركز ناحية هيت المجاورة". وأشار إلى أن "عملية التحرير تمّت دون مقاومة من عصابات داعش".

ونزحت جميع العائلات من ناحية كبيسة إلى ناحية الوفاء التي تقع تحت سيطرة القوات العراقية، وتقوم القوات بإزالة العبوات الناسفة التي زرعها التنظيم.

وبدأت العملية بقصف عنيف لطيران التحالف الدولي وتقدمت القوات الأمنية على الأرض من الجهة الغربية (من قاعدة عين الأسد نحو المدينة هيت وناحية كبيسة). وشارك الآلاف من مقاتلي العشائر بالعملية من أبناء هيت والبغدادي وكبيسة.

وكانت القوات العراقية قد تمكّنت من فرض سيطرتها بشكل عام على الرمادي كبرى مدن محافظة الأنبار خلال عملية عسكرية نهاية العام الماضي.

ويفرض التنظيم الجهادي سيطرته على مساحات شاسعة في محافظة الأنبار التي تشترك بحدود واسعة مع سوريا والأردن، كما لا يزال يسيطر على مدينة الفلوجة التي تبعد 50 كلم عن العاصمة بغداد.

من جهة أخرى، أعلن التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية الذي تقوده الولايات المتحدة مقتل جندي أميركي في شمال العراق السبت نتيجة "عمل معاد"، حسبما أفاد بيان رسمي السبت.

وأوضح البيان أن "قيادة العمليات المشتركة تؤكد وفاة أحد جنود التحالف في شمال العراق (السبت) نتيجة عمل معاد".

ويقضي الدور الرئيسي للتحالف في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية بتقديم الإسناد الجوي، الذي بلغ حوالى 10 آلاف ضربة جوية أدت إلى تدمير نحو 16 ألف هدف منذ صيف عام 2014.

كم نحن بحاجة إلى عادل جبير عراقي

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ في لقاءاته ومحاوراته مع الإعلام الغربي أصبح عادل الجبير ظاهرة كبيرة. إنه رجل مذهل حقا. لطالما تساءلت لماذا حاول الحرس الثوري اغتياله في واشنطن؟ كيف يمكن لدولة مثل إيران المخاطرة بسمعتها فقط للتخلص من السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير عام 2011. اليوم ونحن نرى هذا الوزير البليغ والعبقري الذي أذهل الكثيرين من المثقفين، نكتشف كم هي خبيثة تلك السياسة الإيرانية وكم حدسها صحيح في معرفة مقامات الرجال.

يجيب عادل الجبير على صحفي أجنبي يجعل من داعش والإرهاب عنوانا للإسلام بأن التفسيرات المنحرفة موجودة بكل الديانات، وأن التفسير الحرفي مخادع كما لو أن أحدا أخذ على عاتقه تطبيق "العين بالعين والسن بالسن" فقط لأنها وردت في الكتاب المقدس، هذا يتنافى مع القانون المعاصر والشعور المسيحي بالعدالة.

يقول الجبير إنه لو كان تنظيم داعش يمثل الإسلام لما حافظ الإسلام على ميراث الحضارة اليونانية والرومانية وأعاده إلى الغرب في عهد التنوير. محاكم التفتيش في أوروبا أحرقت الفلاسفة أحياء في العصور المظلمة مع كتبهم وكانوا يفرّون إلى الحضارة العربية الإسلامية. يقول لو كان داعش يمثل الإسلام لما احتفت الحضارة العربية الإسلامية بأرسطو وسقراط وحافظت على مصنّفاتهما، كما ربطت الحضارة الغربية بحضارة الشرق في الصين. هذه إجابة من فيلسوف ولا يمكن أن نتوقعها من وزير وسياسي.

نحن في العراق بحاجة إلى سياسي بمستوى عادل الجبير. لأننا نبحث عن الاعتدال والتوازن وليس التطرّف. في العراق اليوم هناك بعض الناس مصابة بعصاب ديني، يتحدثون في الدين بسبب وبغير سبب. هذا أيضا غير معقول. الدين في الشرق هوية ونمط حياة، لا شيء يمكن للأفراد فعله حيال شيء كهذا. الشرقي مرتبط بالعائلة جدا، والعائلة جوهر الدين.

عندما يتحرّر الإنسان من أولاده وبناته يتحرّر من الدين. وهذا غير متاح اليوم بشكل نهائي حتى في الغرب. مازال الكندي مثلا يحمل صور أطفاله وأحفاده في محفظته أو على جدران بيته ومكتبه في العمل. الشرقي مؤمن بأن الإنسان في جوهره ضعيف، يجوع ويخاف ويشيخ ويموت. وطبع فهمه للعالم من خلال الدين والارتباط العائلي. من الصعب جدا إلغاء التاريخ بمقال يكتبه فتى عابث.

عندنا مشكلة التطرّف وهذا ما يجب التركيز عليه. يقول عادل الجبير إن ربط داعش بالإسلام تحوّل إلى "نكهة العصر" الذي نعيش فيه بكل أسف. الدين في جوهره تسامح وعطف، فالإنسان خطّاء ويحتاج إلى مغفرة وراحة ضمير. هكذا فهم أجدادنا الدين.

ربما نحن لسنا بحاجة إلى ملحدين وإباحيين، فالمجتمع السياسي العراقي قد كشف عن ضعف حقيقي بالإيمان والشرف من خلال تفشّي العنف والفساد. إن أزمة القيم لا يمكن حلّها بهذا الإعلان السافر عن الزندقة، أعتقد مخلصا أن هذه الطريقة تعبّر عن مشكلة.

إن الإنسان يرتقي بعاطفته الإنسانية وبقدرته على الإحساس بالآخرين وبعبقرية الألم لأجل الضعفاء. وليس بهذه الكتابات التي تنمّ عن ضعف الشعور بالمسؤولية، والرغبة بالاستفزاز فقط. أشياء تشبه تمزيق بعض الأكراد للقرآن الكريم بعد معركة كوباني.

إن قتل الأبرياء يمكن أن يكون باسم الإلحاد أيضا. ستالين الشيوعي قتل ثلاثين مليون إنسان ضعيف، وجوّع مدنا ومقاطعات حتى الموت كما في هنغاريا. في مذبحة نانكينغ التي دامت ستة أسابيع تم اغتصاب ربع مليون صيني وصينية من كل الأعمار ثم قتلهم وتقطيع أجسادهم وسلخها بسبب "نوبة هيجان جنسي" انتابت الجنود اليابانيين بعد أن استسلم لهم الجيش الصيني عام 1937.

وعلى مدى القرن العشرين قتلت حكومات دول مختلفة 170 مليون شخص من مواطنيها، بينهم 62 مليون شخص قُتلوا في الاتحاد السوفيتي الشيوعي وحده بين عامي 1917 و1987. أميركا جعلت العراقيين بالحصار يأكلون بعضهم وقيمهم العريقة. وعلى الرغم من أن الرئيس الأميركي روزفلت قد تبلّغ قبل سبعة شهور من استخدام السلاح النووي من الجنرال دوجلاس ماكارثر في مذكرة مازالت موجودة عن رغبة اليابان في الاستسلام بشكل كامل، إلا أنه فضّل تجريب السلاح النووي في أغسطس 1945 وقتل ربع مليون إنسان في كل من هيروشيما وناكازاكي.

إن شرف الكلمة هو الذي يفرض علينا إنصاف الحضارة الإسلامية وليس التعصّب. فإذا كنا نريد مكافحة الإرهاب هناك وسائل كثيرة غير القبح، هناك الجمال مثلا. علينا التفكير بمسؤولية كما يفعل وزير الخارجية السعودي الذي يعمل على السلام الشامل "سلام الشجعان" بهذا الفهم العميق للتاريخ وتقلّباته، وهو مبهور بالآية الكريمة " مَنْ قَتَلَ نَفْسا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ" ويرددها في لقاءاته ومحاضراته.

نحن بحاجة إلى وزير خارجية مثل عادل الجبير، وليس وزير خارجية يقدم سيف "ذو الفقار" هدية إلى دونالد رامسفيلد وزير دفاع الدولة التي احتلت بلاده، ثم يرفض اعتبار حزب الله تنظيما إرهابيا لأنه –أي الوزير إبراهيم الجعفري – يحترم حركات المقاومة للاحتلال؟

إن العراق اليوم بحاجة إلى التصالح مع نفسه ودينه وهويته لا اقتلاعها. البلد مليء بالأرامل والمعوّقين والمختلين عقليا والأيتام. كل الجراح نزلت على هذا الشعب، وليس نبأ سعيدا أن تبلغهم بأن العزاء الديني أيضا غير متوفر. كل شيء ينبغي أن يكون ضمن سياقه وتاريخه الثقافي وجدواه الإنسانية.

> نحن بحاجة إلى وزير خارجية مثل عادل الجبير، وليس وزير خارجية يقدم سيف «ذو الفقار» هدية إلى دونالد رامسفيلد وزير دفاع الدولة التي احتلت بلاده، ثم يرفض اعتبار حزب الله تنظيما إرهابيا

> على الرغم من أن الرئيس الأميركي روزفلت قد تبلغ قبل سبعة شهور من استخدام السلاح النووي من الجنرال دوجلاس ماكارثر في مذكرة مازالت موجودة عن رغبة اليابان في الاستسلام بشكل كامل، إلا أنه فضل تجريب السلاح النووي في أغسطس 1945

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

حماس تتوقف عن تقليد الإخوان لتأكيد حسن النوايا لمصر

اللعب على المحاور يعمق أزمات الحركة

تجد حركة حماس نفسها عالقة بين أزماتها الداخلية، السياسية والمالية، وبين تغير التوازنات الإقليمية في المنطقة بما يضيق الخناق ويفرض عليها تحديد موقفها مع أيّ صف تقف، فلم تعد التصريحات البراغماتية وسياسة الكيل بمكيالين تنفع وقد تجد نفسها في النهاية إلى جانب جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وحزب الله الذي انضم إلى قائمة الجماعات الإرهابية في دول عربية عديدة.

النوايا الحسنة وحدها لا تكفي

❑ **القاهرة**- بدأت نتائج الزيارة التي قام بها وفد حركة حماس إلى القاهرة، تظهر تدريجيا في وسائل إعلامها، حيث جرت الاستجابة لطلب وقف تقليد خطاب جماعة الإخوان من النظام المصري، وعدم استخدام عبارات مسيئة له.

وعلمت "العرب" أن وفدا ثانيا من حركة حماس، سيزور القاهرة الأيام الأولى من شهر أبريل المقبل، لاستكمال المشاورات التي جرت بين الجانبين خلال زيارة وفد الحركة الأول للقاهرة الأسبوع الماضي، للتباحث بخصوص إتمام المصالحة الفلسطينية وإزالة ما تبقى من حواجز تحول دون عودة العلاقة بين مصر وحماس إلى سابق عهدها.

وحصلت "العرب" على تفاصيل جديدة بشأن ما جرى في كواليس الجولة الأولى لوفد الحركة في القاهرة، حيث كان لافتا أن الجانب المصري طلب من حماس بشكل صريح فك ارتباطها بجماعة الإخوان المسلمين، والتبرؤ منها بسبب عملياتها التي تستهدف الدولة المصرية منذ ثورة 30 يونيو 2013.

غير أن هذا الطلب قوبل بتحفظ واضح من جانب حركة حماس التي ردّت بأنه من الصعب أن تتبرأ من "عقيدة" الفكر الإخواني، بعد سنوات طويلة من تبنّيها له، كما أن هذا الأمر يضر بها وسط جماهيرها.

وكان خليل الحية، المتحدث باسم حماس، أعلن عقب اتهام الحركة بالتورط في عملية اغتيال النائب العام المصري السابق هشام بركات، أن الحركة ليست لها علاقة تنظيمية أو إدارية بجماعة الإخوان المسلمين، في محاولة لامتصاص الغضب المصري تجاهها.

وقالت مصادر مسؤولة من داخل الحركة لـ"العرب" إن الجانب المصري، ممثلا في جهاز الاستخبارات العامة، الذي جرى معه اللقاء، تفهّم، على مضض، مقصد وفد حماس في شأن عدم التنصل من عقيدة الإخوان، خاصة أن الوفد قدم تعهدا بأن الحركة لن تكون أداة في يد أحد للإضرار بالأمن المصري، أو مساندة أيّ جهة تصبو لهذا الغرض.

يدا خلال اللقاءات التي عقدت في القاهرة مؤخرا، أن حركة حماس كانت ترفض بشتى الطرق، أن تقحم نفسها في أيّ شيء له علاقة من قريب أو بعيد بعمليات جماعة الإخوان، خاصة عندما طلبت مصر من وفدها، التحرك لإدانة كل تحركات الإخوان ضد الدولة المصرية، الأمر الذي ردّ عليه الوفد بأن ذلك يجرّ الحركة للتدخل في الشأن المصري، ما يتعارض بشكل أو بآخر مع طلب القاهرة السابق.

وشدّد وفد حماس لمضيفيه أن الحركة لا تعتمد سياسة عدائية ضد الحكومة المصرية، ولا مصلحة لها في التدخل في الشؤون الداخلية. وقد حرصت التصريحات التي صدرت عن قيادات حماس على الإشارة إلى نجاح الجولة الأولى من لقاءات القاهرة، وجرى التحدث عنها بإيجابية.

وطلبت مصر أيضا من الوفد، وقف ما يثار في عدد من وسائل الإعلام التابعة لحماس عن تسمية ما حدث في مصر إبّان ثورة 30 يونيو بأنه "انقلاب عسكري"، مثل ما يتردد على فضائيات الإخوان وبعض وسائل الإعلام الأجنبية، وأبدى وفد الحركة مرونة شديدة في هذا الأمر، على أن تكون التسمية "النظام المصري"، أو "نظام ما بعد 30 يونيو".

> الجانب المصري طلب من حركة حماس بشكل صريح فك ارتباطها بجماعة الإخوان المسلمين والتبرؤ منها

حاول وفد حماس بشتى الطرق أن يثبت للجانب المصري "حسن نواياه" في بعض القضايا، فهو الذي جاء لتبرئة الحركة والتنصل من أيّ عداء لمصر، ولم يمانع أن يثبت ذلك ببعض المواقف، التي كان بينها إلغاء توصيف انقلاب في إعلام الحركة.

وقالت المصادر إن الجانب المصري كان حريصا على إبعاد أعضاء الوفد عن جميع وسائل الإعلام طوال فترة تواجدهم بالقاهرة، وأنه رفض نزولهم بأحد الفنادق الكبرى كما كان معتادا في الزيارات السابقة، وقضوا فترة تواجدهم بالقاهرة داخل أحد المباني التابعة لجهاز الاستخبارات، نظرا لحساسية الزيارة في هذا التوقيت، وعدم الرغبة في التشويش عليها، بتصريحات من هنا أو هناك.

وجرى التنبيه على غالبية وسائل الإعلام المصرية لتوقف ترديد الاتهامات حول تواطؤ حماس في عملية اغتيال النائب العام، وفضلت أجهزة سيادية في مصر "عدم التعرض لوفد الحركة خلال الزيارة سلبا أو إيجابا، لضمان سير المفاوضات في هدوء".

أما بشأن ما أثير عن الأسماء التي طلبت مصر من وفد الحركة تسليمهم لضلوعهم في عمليات إرهابية بسيناء، فقد ألمحت المصادر، التي طلبت عدم ذكر أسمائها، إلى أن حماس نفت علاقتها بكل الشخصيات، وقالت إن بعضهم انشق عنها ولم يعد عضوا فيها، وتعهد الوفد بأن تقوم الحركة بكامل التزاماتها لحفظ الحدود مع غزة.

في الوقت نفسه، لم تقدّم مصر تنازلات خلال اللقاء، ورفض جهاز الاستخبارات وقف ضخ المياه في الأنفاق الحدودية، التي يتم عبرها تهريب الأسلحة والإرهابيين، حتى مع تعهد وفد الحركة بالتدخل لفرض الاستقرار في هذه المنطقة، فضلا عن تمسّكها بغلق وفتح معبر رفح، وفقا لرؤيتها وما يتناسب مع الأوضاع في سيناء.

المصادر ذاتها استبعدت الفرضية المصرية بأن حماس تتخذ من التقارب مع قطر وتركيا، ذريعة للضغط على مصر، لكنها لم تستبعد استفادة حماس من كل دولة تتقرّب منها.

وقالت مصادر قريبة من الحركة وتابعت اللقاءات عن كثب لـ"العرب" إن "كل من يفيد حماس والقضية الفلسطينية سنتقرّب منه. وحماس أبلغت قطر وتركيا بأن أيّ مشاورات تجرى معهما، لن تكون مجدية دون مصر".

ولم تنف المصادر وجود تفاهمات سعودية – مصرية بخصوص إتمام مصالحة فلسطينية، وأن هناك اتصالات بين الرياض والقاهرة لمزيد من التعاون مع حماس.

وقالت إن الحركة لا تخشى مصير حزب الله اللبناني، بعد تصنيفه من الجامعة العربية كتنظيم إرهابي، لأن الدول العربية متأكدة من أنه لا غنى عن حماس في المشهد الفلسطيني، وأن موقف مصر الأخير بمقابلة وفد حماس بعد اتهامها بالتدخل في شؤونها، يعني أنها راجعت نفسها سريعا بتفاهمات عربية معها (لم تحدّد عناصرها)، بأن حماس ليست حزب الله، خاصة أن الحزب أدرج تنظيما إرهابيا لاعترافه رسميا بالتدخل في شؤون اليمن وسوريا.

وبشأن حديث خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس عن "جمود علاقة الحركة مع إيران"، قالت إن ذلك بسبب موقف طهران من مساندة النظام السوري، ومضايقاتها لدول الخليج العربي، وحماس لن تساند "بالقول أو الفعل" أيّ طرف على حساب دول الخليج أو مصر.

ويرى مراقبون أن براغماتية حماس في هذه الفترة، وإعلان جمود علاقتها مع إيران بعد أن كانت ضلعا أساسيا لطهران في المنطقة، وإصرارها على تقديم تنازلات لعودة علاقتها مع مصر، يمكن أن يرمّم جسد العلاقة مع كثير من الدول العربية، ويجنبها أيّ محاولة تقرّبها من مصير حزب الله اللبناني.

التمويلات الأجنبية عنوان مشبوه في أرصدة منظمات حقوق الإنسان في مصر

❑ **القاهرة** – عادت قضية التمويل الأجنبي لمنظمات المجتمع المدني إلى صدارة المشهد من جديد في مصر، بعد مرور أربع سنوات على اتهام القضاء المصري لـ43 ناشطا، من مصر والولايات المتحدة وألمانيا والنرويج ولبنان وفلسطين، بإنشاء جمعيات أهلية والحصول على تمويل دون تصريح رسمي.

ونظرت محكمة مصرية السبت في قرارات منع 4 نشطاء حقوقيين، من التصرّف في أموالهم، كمتّهمين على ذمة قضية التمويل الأجنبي لمنظمات المجتمع المدني والتي تحمل رقم "173 لعام 2011م".

وهو ما دفع جون كيري وزير الخارجية الأميركي إلى إصدار بيان صحفي، السبت، عبّر فيه عن قلقه من تدهور حالة حقوق الإنسان في مصر، بما في ذلك قرار إعادة فتح التحقيق من منظمات غير حكومية.

وقال كيري، إن قرار الحكومة المصرية بالتحقيق مع المنظمات غير الحكومية، التي توثّق انتهاكات حقوق الإنسان، يأتي على خلفية "حملة أوسع من الاعتقالات والتخويف للمعارضة السياسية والصحافيين والناشطين وغيرهم".

وردا على بيان الخارجية الأميركية، قال سامح شكري وزير الخارجية المصري، في مؤتمر صحافي، "هناك حوار دائم بين الشركاء في الولايات المتحدة الأميركية، ونحرص دائما على الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان في ضوء الالتزام بالدستور واحترامه، دون قدر من الوصاية أو توجيه من أطراف أجنبية، بالرغم من أن لدينا قلقلا إزاء الكثير من الأوضاع من قبل بعض الدول، ويمكننا أن نعبر عن ذلك، لكننا نفضل القنوات الدبلوماسية".

وأطلق عدد من المدوّنين على مواقع التواصل الاجتماعي "هاشتاج" باسم "افضح_ولاد_أمريكا" لكشف ما وصفوه بالخيانة والعمالة، وفضح العملاء والعناصر التي تلقت تمويلات أجنبية من الخارج على حدّ قولهم.

تتزامن عودة القضية إلى صدارة المشهد السياسي في مصر مع إرسال 17 منظمة حقوقية مصرية الأسبوع الماضي خطابا لزيد رعد المفوض السامي لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة حول حالة حقوق الإنسان في مصر، تضمّن توصيات بشأن وقف تدهورها المستمر، وطالبت المنظمات بتمكينها من العمل بحريّة في مصر، وفي إطار تشريعي يمتثل للمعايير الدولية، ويحافظ على أواصل التواصل مع المنظمات والجهات الدولية.

وأشار بعض المراقبين إلى أن فتح القضية في الوقت الحالي تحديدا يرجع إلى تقرير صادر من قطاع الأمن الوطني بوزارة الداخلية المصرية، ذكر أن العشرات من المنظمات تعمل في مصر تلقّت منحا أميركية وأوروبية، مع تحديد المبالغ التي تلقتها بناء على التحريات ورصد مخالفات شروط تلقّي التمويلات والتي تشترط موافقة وزارة التضامن الاجتماعي عليها.

وقال ياسر عبدالعزيز، الخبير الإعلامي لـ"العرب"، "إن الأزمة الحالية لمنظمات المجتمع المدني في مصر يتمثّل أحد أركانها الرئيسية في خلط السياسية بالقانون، فهي قضية قديمة تمّ إغلاقها منذ تولّي المجلس العسكري مقاليد الحكم عقب ثورة يناير 2011، لكن هناك جهات تسعى الآن لإعادة فتحها مرة أخرى وتوظيفها سياسيا".

وأضاف "هناك مخالفات تستوجب إعادة فتح التحقيقات، لكن على القضاء المصري أن يحسن التعامل مع التفاصيل، والحسم بوتيرة أسرع، فثمة ناشطون ممنوعون من السفر لأكثر من ثلاث سنوات دون أن يتم التحقيق معهم، وهو ما يمس بسمعة القضاء المصري خارجيا".

يذكر أن السلطات المصرية بدأت تلاحظ تزايد الانتقادات الموجّهة لها من جهات مستقلة، خلاف المصادر التقليدية المرتبط بجماعة الإخوان المسلمين، والتركيز على من يقوم بذلك الدور واستغلاله خارجيا، وهو ما ظهر من خلال العديد من الانتقادات في مجال حقوق الإنسان عبر منظمات خارجية منذ بداية العام الجاري.

فايزة أبو النجا كشفت المستور

واستبعد متابعون أن يكون الاهتمام بقضية التمويل الأجنبي حاليا متعلقا بالتصفية التدريجية التي يقوم بها النظام لتطهير نفسه، في محاولة لخلق نظام سياسي قويّ، إلا أنهم يرون أن الأمر يمثل في جوهره مسألة قانونية، يجب التعامل معها بشفافية.

وانقسمت قضية التمويلات الأجنبية والتي تحمل رقم "173 لعام 2011" إلى جزأين في عام 2013، الأول تم تخصيصه للمنظمات الأجنبية، وأحيل للقضاء، وفصلت فيه محكمة جنايات القاهرة في 4 يونيو 2013 بمعاقبة المتهمين بالحبس لفترات تتراوح بين سنة مع وقف التنفيذ والسجن 5 سنوات "للغائبين"، وحلّ فروع منظمات المعهد الجمهوري الديمقراطي، والمعهد الديمقراطي الوطني، وفريدم هاوس، والمركز الدولي للصحافيين، ومركز كونراد أديناور.

والجزء الثاني تم تخصيصه للمنظمات المحلية، التي تضمنها أيضا تقرير لجنة تقصّي الحقائق بشأن ما أثير حول التمويل الأجنبي للجمعيات والمنظمات غير الحكومية، التي تمارس نشاطها داخل مصر، ومازال قيد التحقيق إلى الآن.

وخلال الأشهر الماضية، أعلن عدد من نشطاء حقوق الإنسان، أنه خلال محاولتهم السفر خارج البلاد تمّ منعهم دون أسباب معروفة، من بينهم المحامي جمال عيد رئيس الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، الواردة ضمن المؤسسات المخالفة، والتي تخضع للتحقيق.

من جانها، وصفت منظمة العفو الدولية الجمعة في بيان إجراءات مثل منع السفر ضد اثنين من أبرز الحقوقيين في مصر (جمال عيد وحسام بهجت) بأنها "تعسفية وعقابية". وأضافت أن تلك الإجراءات فرضت عليهما "ردا على انتقادهما لوضع حقوق الإنسان المتدهور في مصر."

الناشط الحقوقي المصري أحمد راغب قال لـ"العرب"، إن "الحكومة المصرية وضعت العديد من الضوابط القانونية الصارمة على تلقي التمويلات الأجنبية منذ عام 2011، وتحظر عمل ذلك، إلا من خلال وزارة الخارجية والتضامن الاجتماعي".

> فتح القضية في الوقت الحالي يضيف المزيد من الوقود على الحريق المشتعل بالفعل، منذ حادث اغتيال الطالب الإيطالي ريجيني

وأضاف أن "الحكومة غير جادة في إنهاء الملف ويتضح ذلك من عدم المساواة في التعامل مع جميع المنظمات، فهناك منظمات مخالفة لا يتم التعامل معها لقربها من النظام الحاكم، وآخرون يتم التضييق عليهم، مثل منظمة النديم التي تكشف أوضاع المسجونين وصدر لها قرار بالإغلاق الإداري مؤخرا".

وأشار راغب إلى أن القائمين على أوضاع المنظمات الحقوقية يرغبون في معايير واضحة يتم من خلالها محاسبة الجميع دون تفرقه، وأن نظرة الحكومة إلى هذه المنظمات بأنها تهدم النظام ساعد على عمل كثير منها في الظلام، واستخدام طرق ملتوية للحصول على بعض التمويلات.

ويربط البعض بين تواجد فايزة أبو النجا، في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي، وإعادة فتح القضية مرة أخرى في الوقت الحالي، حيث كانت المفجّر الرئيسي للقضية عام 2011 حينما كانت تتولى حقيبة التعاون الدولي، كما أنها ترى أن تلك المنظمات تستغل الأوضاع الحقوقية في مصر لتحقيق أهداف سياسية بعيدة عن أدوارها المتعلقة بالرقابة وإصدار التقارير.

وفي تقدير بعض المراقبين أن فتح القضية في الوقت الحالي يضيف المزيد من الوقود على الحريق المشتعل بالفعل، منذ حادث اغتيال الطالب الإيطالي ريجيني.

بان كي مون... وداع لا يليق بالأمم المتحدة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ ليس نزاع الصحراء المغربية سوى نزاع مفتعل. لم يكن سرّا في أيّ يوم من الأيّام أن الجزائر تقف خلف افتعال هذا النزاع بهدف واحد وحيد هو استنزاف المغرب. الموقف الجزائري ليس مستغربا، خصوصا أنّه لم يكن لدى النظام الجزائري في يوم من الأيّام سوى سياسة واحدة تقوم على الهرب إلى الأمام من أجل التغطية على الفشل الداخلي المستمر على كل صعيد.

من هذا المنطلق، لا يبدو الموقف الجزائري من موضوع الصحراء المغربية مستغربا، خصوصا في ظلّ الأزمة العميقة التي يعاني منها البلد الذي يمتلك ثروات كبيرة، بما في ذلك الثروة البشرية، لكنه يرفض استخدام هذه الثروات بما يخدم المواطن الجزائري.

المستغرب هو موقف الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون الذي يصرّ على الانحياز للجزائر وموقفها من الصحراء المغربية بدل السعي إلى التعاطي مع الواقع من منطلق يصبّ في خدمة سكّان الأقاليم الصحراوية التي هي تاريخيا جزء لا يتجزّأ من المملكة المغربية.

سيجيب بان كي مون، الذي اتخذ موقفا عدائيا من المغرب بهدف تعقيد القضية المطروحة، أنّه ملتزم بقرارات الأمم المتحدة التزاما حرفيا. هذا صحيح إلى حد كبير لولا أنّه يفسّر هذه القرارات على طريقته، وهي طريقة أقلّ ما يمكن أن توصف به أنّها شاذة. هناك أكثر من طريقة لفهم القرارات المتعلقة بالصحراء، خصوصا في ظلّ عجز الأمم المتحدة عن تنظيم استفتاء في تلك المنطقة المغربية.

لا يمكن تفسير مواقف بان كي مون، وهو على عتبة الخروج من موقعه إلا بالرغبة في التصرّف تصرّف الموظف المواظب، هذا إذا كان على المرء أن يكون حسن النيّة. هناك أشخاص لا يمكن أن يكونوا غير موظّفين، على الرغم من تحمّلهم مسؤوليات سياسية كبيرة. صحيح أن الأمين العام للأمم المتحدة موظف كبير وأنّ عليه أن يكون أمينا للقرارات الصادرة عن مجلس الأمن ونصوصها، لكنّ الصحيح أيضا أن مهمّته لا يمكن أن تقتصر على الدوران في حلقة مغلقة، في حال تبيّن أنّ قرارا معيّنا لم يعد يصلح لمعالجة مشكلة معيّنة في مرحلة معيّنة.

وهذا ينطبق على الصحراء التي عادت إلى أهلها وإلى البلد الذي هي جزء لا يتجزّأ منه وذلك منذ "المسيرة الخضراء" في تشرين الثاني ـ نوفمبر من العام 1975.

استخدمت الجزائر، وفي مرحلة معيّنة ليبيا ـ معمّر القذافي، ما يسمّى جبهة "بوليساريو" لخوض حرب بالوكالة مع المغرب. تحوّلت قضية الصحراء وسيلة لابتزاز المغرب ومنعه من صرف الجزء الأكبر من الموازنة على التنمية. هذه، باختصار شديد، قصة الصحراء كما يفترض في أيّ شخص، حتّى لو كان موظفا كبيرا فهمها.

لا وجود لـ"احتلال" مغربي للصحراء كما يدّعي بان كي مون. مثل هذا الكلام ينمّ عن رغبة في الانتقام من المغرب الذي لم يوفّر جهدا في السنوات الماضية من أجل توفير حياة كريمة لأبنائه في الأقاليم الصحراوية في إطار حكم ذاتي موسّع.

ما الذي يطرحه بان كي مون على أهل هذه الأقاليم؟ هل يطرح عليهم العيش رهائن لدى الجزائر في مخيمات البؤس المقامة في تندوف؟ مثل هذه المخيمات التي تديرها "بوليساريو" صارت مرتعا لكلّ ما من شأنه نشر حال من عدم الاستقرار في كلّ منطقة الساحل الأفريقي التي تعاني أوّل ما تعاني من الإرهاب والتطرّف بكل أنواعهما.

تشير تصرّفات بان كي مون إلى أنّه كان سعيدا بوجود رهائن لدى "بوليساريو" والجزائر في تندوف. يبدو سعيدا بوجود مثل هؤلاء في مخيمات تفتقر إلى حدّ أدنى من المقومات التي تسمح للإنسان بالتمتع بحدّ أدنى من العيش الكريم والكرامة.

من حقّ المغرب الدفاع عن نفسه. المغرب بلد واضح بكلّ المقاييس. من حقّه أيضا افتراض وجود سوء نيّة لدى الأمين العام للأمم المتحدة الذي يفترض به أن يعرف قبل غيره أن ليس مطلوبا تأجيج الصراعات في منطقة شمال أفريقيا، بمقدار ما أنّ المطلوب البحث عن حلول عملية من أجل الانصراف إلى الحرب على الإرهاب بدل المشاركة في حرب لا فائدة منها يتعرّض لها المغرب.

أكثر من ذلك، يُفترض في الأمين العام للأمم المتحدة إدراك أنّ المدخل الصحيح للانتهاء من قضية الصحراء تأكيد أنّها نزاع بين المغرب والجزائر، نزاع تقف وراءه الجزائر التي هي ضحيّة أمرين. الأوّل وهم الدور الإقليمي والآخر عقدة المغرب ولا شيء غير ذلك.

> هل تبرر عقدة المغرب كل هذا الجهد من أجل إبقاء مجموعة من الصحراويين في سجن كبير هو مخيمات تندوف، بدل استعادة هؤلاء حريتهم في الأقاليم الصحراوية حيث لديهم كل حقوق المواطن المغربي في ظل اللامركزية الموسعة؟

أليست لدى بان كي مون أسباب تدعوه إلى القلق من استثمار الجزائر في "بوليساريو" من أجل ابتزاز المغرب؟ أليست لديه عينان تستطيعان رؤية الفارق بين الوضع المعيشي للمواطن الجزائري العادي الذي تمتلك بلاده ثروات ضخمة من جهة والمواطن المغربي من جهة أخرى؟ أليس لديه حدّ أدنى من الفضول السياسي للتساؤل لماذا تصرّ الجزائر على إقفال حدودها مع المغرب، وهي حدود مغلقة منذ العام 1994؟

ليس سرّا أن المواطن المغربي في وضع أفضل بكثر من المواطن الجزائري على الرغم من افتقار المملكة للثروات الطبيعية في مقدّمها النفط والغاز.

يخشى أن تكون لدى بان كي مون أجندة خفيّة تخفي مخططا ما ضد المغرب الذي تحوّل إلى استثناء في منطقة شمال أفريقيا. المملكة واحة سلام في منطقة تمرّ دولها، على رأسها ليبيا وتونس والجزائر، بأزمات عميقة. لم يعد معروفا كيف يمكن لبلد مثل الجزائر أن يتحكّم به رئيس مقعد ليس معروفا من يتخذ له قراراته من بين أفراد الحلقة الضيّقة المحيطة به؟

يجد عبدالعزيز بوتفليقة الوقت، أو أن هناك من يجد له الوقت، لعمل كل ما من شأنه استعداء المغرب. هل تبرّر عقدة المغرب كلّ هذا الجهد من أجل إبقاء مجموعة من الصحراويين في سجن كبير هو مخيمات تندوف، بدل استعادة هؤلاء حريتهم في الأقاليم الصحراوية حيث لديهم كل حقوق المواطن المغربي في ظل اللامركزية الموسّعة؟

أفضل رد

ليس لدى المغرب ما يخجل به. عندما يخطئ الأمين العام للأمم المتحدة، لا مفرّ من وضعه عند حدّه وذلك عن طريق اتخاذ موقف من بعثة الأمم المتحدة الموجودة في الصحراء. المغرب ليس لقمة سائغة. إذا كان بان كي مون يسعى إلى توفير قضايا تشغل خليفته، من الأفضل له أن يبحث عن مكان آخر غير المغرب حيث قضيّة الصحراء قضيّة وطنية كما كشفت التظاهرات الأخيرة في الرباط وفي الأقاليم الصحراوية.

الأكيد أن ليس بهذا التصرّف الذي ينمّ عن سطحية كبيرة أو عن لؤم شديد، يمكن لبان كي مون وداع الأمم المتحدة. المنظمة الدولية تستأهل أفضل من هذا الوداع الذي يشكل إهانة لرسالتها..

وداعا بشار الأسد

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❑ كان قرار الانسحاب الروسي من سوريا مفاجئا، لذلك وجب التريث في التعليق، لأن الحاجة كانت ماسة للاستعانة بالمختصين في الشأن الروسي، كالصديق مصطفى فحص، وكان ضروريا مراقبة المشهد على الأرض من سوريا إلى جنيف.

إلى هذه اللحظة يبدو القرار جديا، وأسبابه منطقية وضاغطة، فهناك صراع جليّ بين مراكز القوى داخل الكرملين، اللوبي العقدي ممثلا في العسكر أصحاب الشبق التوسعي، واللوبي البراغماتي الذي يمثل رجال الأعمال وأصحاب المصالح المالية.

منذ فرض الغرب عقوباته على روسيا بسبب الأزمة الأوكرانية، لجأ رجال الأعمال الروس إلى تركيا التفافا على العقوبات، لذلك تضرر رجال الأعمال بشدة بعد توتر العلاقات التركية – الروسية إثر أزمة السوخوي، ومع توسع العمليات العسكرية، في ظل العقوبات وأزمة أسعار النفط، تضاعف إنهاك الخزينة الروسية، وقد قرأنا جميعا – مؤخرا – تخفيض الميزانية العسكرية في روسيا بنسبة 5 بالمئة.

ويبدو أن عقلاء الكرملين لاحظوا أن بلادهم تقدم غطاء مجانيا للميليشيات الشيعية ضد السنّة وضد الأتراك، وهذا يعني باختصار أن الحضور الروسي في الشرق الأوسط والعالم العربي لن يكون مقبولا، كما أن عدد المسلمين السنّة في روسيا يبلغ 23 مليون نسمة، وبالتالي فإن الاستمرار في مناصرة الأسد وإيران قد يؤدي إلى أفغانستان جديدة شمال القوقاز، وفي ظل هذه الاحتمالات جاءت مناورة "رعد الشمال" التي عنت أن الأمور ستخرج من سيطرة روسيا كليًا، فأيّ صدام عسكري مباشر بين الروس من جهة وبين السعوديين والأتراك سيعني صراعا مع الجغرافيا ومع الإسلام.

وفي المقابل، هناك مصلحة ماسة للروس عند الرياض، فقد قرأنا قبل أشهر عن صفقة تقدر بخمسة مليارات دولار، وهي في إطار صفقات أوسع مع الإمارات وقطر، والتفاهم مع هذه الدول جوهري وحيويّ للتعامل مع أزمة أسعار النفط.

ويضاف إلى ذلك أن الأخبار القادمة من الكونغرس والناتو غير مطمئنة للكرملين، هناك حديث عن انتشار جديد للقواعد، وهناك مؤشرات لتدشين سباق تسلّح لن تتحمّله موسكو إطلاقا، ودلائل الانتخابات الرئاسية الأميركية فوق المرعبة، فهيلاري كلينتون ابنة منهج سياسي أذل الروس في البلقان وغيرها، ودونالد ترامب له دعم ملحوظ من أوساط عسكرية واستراتيجية محتقنة، لذلك لا خيار أمام موسكو سوى إنجاز تسوية عاجلة مع أوباما، وإلا فالقادم أسوأ.

وأنا أقلب هذه الحيثيات أو الأسباب، استذكرت حديثا جمعني قبل نحو أسبوعين مع معارض سوري، وقد بدا تفاؤله بالنسبة إليّ غريبا، هو موقن بأن نهاية عصر بشار الأسد أقرب من أيّ وقت مضى، وكان تقديره بأن شهر أكتوبر المقبل قد يحمل بشرى زوال آل الأسد عن رقاب السوريين والعرب، كما أكد لي أن التدخل السعودي البري في سوريا حاجة دولية، فلا بد من جيش سني ينهي داعش وما شابهه، تدخلت إيران عبر الحرس الثوري وما يسمّى بحزب الله فتعاظم داعش، وفعل جيش بشار الأمر نفسه وانتهينا إلى نفس النتيجة، وهذا يعود لأن بشار وعصابته يقتلون السنة والمعارضة وهذا يعزز البيئة الحاضنة للدواعش، كما أن تلك الزمرة لم تبذل أيّ محاولة جدية لمحاربة الإرهاب، بل إن تاريخها قائم على دعم الإرهاب وممارسته.

وصديقي المعارض يرى أن المصالح بين موسكو وطهران تتناقض، فمجرد التدخل الروسي إشارة لانكسار إيران أو عجزها، والعالم كله، بما ذلك روسيا وأميركا والرياض، لن يقبل بأن تسقط سوريا في حفرة حكم إسلاموي، ولا جدال في أن إيران كداعش والقاعدة، إسلامويون جميعا، وفي النهاية روسيا تبحث عن مصلحتها، ومصالح روسيا الحقيقية مع دول مجلس التعاون الخليجي وأغلبيته العربية والإسلامية لا مع إيران وأقلياتها. الروس لا يريدون استمرار الأسد من أجل قطف سوريا وكسب الخليج، أما الإيرانيون فيتمسكون بالأسد لإطالة الحرب التي تقود نهايتها إلى تسوية ليست من مصلحة طهران.

وقد أعادني كلام المعارض السوري إلى آخر حديث صحافي للأستاذ محمد حسنين هيكل، حيث قال نصا "هناك تناقض تاريخي بين إيران وروسيا، وهناك شك طبيعي روسي. التجربة الشيوعية في روسيا لم تكتمل ولكنها تركت مواريث ثقافية أثرت في أمور كثيرة، ما قام به ستالين وخروتشوف أو غورباتشوف أنهم نظروا إلى مطالب روسيا في المنطقة بمقدار قوّتها. والصراع التاريخي بين روسيا وإيران طويل جداً وكذلك التداخل بينهما، وصيغ التعايش في ما بينهما لم تعش كثيراً، فالشاه حاول ومنْ قبْله، والروس يرغبون في فترة من غير مشاكل كما يرغبون بسلام مع كل حدودهم (مع أوروبا أو مع الجنوب) لأنهم يشعرون أنهم يحتاجون إلى إعادة بناء واسعة جداً، فأحوالهم ليست جيدة. روسيا لا تزال بلد عالم ثالث، وهي غنية بالموارد، وقد دخلت في ثورة صناعية حقيقية، برغم أنها عالم ثالث ولكنها في أفضل حالات العالم الثالث".

ولو نظرنا إلى سياق العلاقة الثلاثية بين الأسد وطهران وموسكو، سنجد أن حديث المعارض السوري لم يخل من وجاهة، فإيران حرّضت الأسد على التشدد والاستهانة بالنصائح الروسية، وقد لاحظنا ثلاث محطات لذلك، الأولى قول الأسد بأنه سيستعيد كل أراضي سوريا بالقتال، وقد علق الكرملين بأنّ تصريحات الأسد تتناقض مع الجهود الدبلوماسية الروسية وعلى الرئيس السوري أن يفكر في الخروج من الأزمة بكرامة، والثانية هو عزم الأسد على إجراء انتخابات نيابية في مخالفة للقرار الدولي 2254، وأخيرا تصريح وليد المعلم بأن الحديث عن مصير بشار الأسد في مفاوضات جنيف خط أحمر، وجاء الرد الروسي بقرار الانسحاب، وظهر البرود بين طهران وبوتين على السطح.

مع تباعد المسافة بين الأسد وبوتين، تتقارب المسافات بين موسكو والرياض، بداية من التعاون النفطي، وليس انتهاء بالحفاظ على المصالح الروسية في سوريا، مع التأكيد على أن نقطة الخلاف هي موعد رحيل الأسد، في بداية العملية الانتقالية كما تريد الرياض، أو في نهايتها كما تقترح روسيا، والنتيجة ستتضح خلال مفاوضات جنيف التي تركّز راهنا على العملية الانتقالية.

التحق بوتين بقائمة عريضة من زعماء العالم الذين وجدوا بأنه لا جدوى من التعامل مع الأسد، جاك شيراك وحسني ومبارك وعبدالله بن عبدالعزيز ورجب طيب أردوغان وغيرهم، فهو يعاني من جنون العظمة ولا يلتزم بوعد، فضلا عن أنه مرفوض شعبيا وإقليميا ودوليا، وقائمة جرائمه العابرة للحدود من لبنان إلى العراق مرورا بفلسطين وسوريا لا حصر لها، اكتشف بوتين متأخرا أن حربا من أجل الأسد لا مصير لها غير الهزيمة والعار، لم يربح بوتين من تدخله السوري غير "تدريب قواته" على استهداف المدنيين وفق وصفه، تدخلت إيران وعجزت عن تثبيت الأسد وكذلك روسيا، وهذا دليل مصداقية ووهج الثورة السورية النبيلة، وقريبا سيحتفل الأحرار بلحظة الانتصار، وما النصر إلا من عند الله.

> هناك مصلحة ماسة للروس عند الرياض، فقد قرأنا قبل أشهر عن صفقة تقدر بخمسة مليارات دولار وهي في إطار صفقات أوسع مع الإمارات

نتبع المصلحة

القوى المسيحية اللبنانية في مهب الانفجار الديموغرافي والحلف الأقلوي

تتصرّف القوى المسيحية اللبنانية حاليا انطلاقا من حس الكارثة والشعور بدنوّ النهايات، وهو الشعور الذي أسّس تفاقمه لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975، وتسبب بلجوء المسيحيين إلى خيارات كارثية، حمّلتهم وزر كل ما أصاب لبنان من أزمات لا زال يعاني منها حتى هذه اللحظة.

شادي علاءالدين
كاتب لبناني

السياسة الطائفية خربّت البلد

❑ **بيروت** – يقول عميد الكتلة الوطنية ريمون إده، في حوار أجراه معه الباحث اللبناني الكندي كمال ديب أواخر التسعينات من القرن الماضي، "إن المسؤولين عن خراب لبنان هم ثلاثة موارنة: رئيس الجمهورية السابق شارل حلو لأنه وافق على اتفاقية القاهرة عام 1969 وسمح للمقاومة الفلسطينية بمهاجمة إسرائيل من الأراضي اللبنانية. وهذا ما جعل لبنان جبهة عسكرية مفتوحة دفعنا ثمنها غاليا.

والمسؤول الثاني عن خراب لبنان هو بيار الجميل (رئيس ومؤسس حزب الكتائب) الذي وافق على اتفاقية القاهرة مع الفلسطينيين ولكنه اكتشف فيما بعد أنهم أصبحوا الحكام الفعليين للبنان، وذهب إلى الشام وطلب من الرئيس حافظ الأسد أن يرسل الجيش السوري إلى لبنان وكان ذلك في 6 يناير 1976.

والمسؤول الثالث عن خراب لبنان هو كميل شمعون (رئيس الجمهورية الأسبق والذي اتصل بإسرائيل وقابل بيغن، وأقنعه بإرسال جيش إسرائيلي لتحرير لبنان من الفلسطينيين. فدخلت إسرائيل عامي 1978 و1982 ودمرت بيروت على أهلها وقتلت 20 ألف لبناني. وهكذا جلب شارل الحلو الفلسطينيين، وجلب بيار الجميل السوريين، وجلب كميل شمعون الإسرائيليين وضيعوا البلد".

> جل القوى المسيحية في لبنان تتبنى النزوع الأقلوي الذي يتحالف مباشرة أو بطريقة غير مباشرة مع النزوع العسكري الشيعي الذي يمثله حزب الله صاحب المشروع الإيراني الأسدي في لبنان

قد يكون ما قاله العميد ريمون إده مدخلا لقراءة أزمة القوى المسيحية اللبنانية الحالية التي تعيش واقع الانفجار الديمغرافي السنّي، وتحاول تكريس دور خاص لها في لبنان والمنطقة بالدخول في حلف الأقليات، أو محاولة انتزاع قوانين انتخابية تفصل فيه القوى المسيحية تمثيلها النيابي بحثا عن نقاء تمثيلي مسيحي خالص، يعكس طرحه في هذه اللحظة واقع أزمة مفتوحة تستجيب لها جلّ القوى المسيحية بشكل يساهم في مراكمة الأخطاء بدل محاولة البحث عن حلول.

فقراءة تحولات القوى المسيحية تخضع لسلسلة من التداخلات بين الماضي والحاضر، وتشترك في تكوينها ظروف إقليمية ودولية، إضافة إلى الشأن المحلي وما أرساه من صراعات مسيحية مسيحية لم تجد سبيلها إلى الحل بعد.

الخصوصية المسيحية

تنسب الوصايات الخارجية التي وسمت تاريخ لبنان المعاصر إلى أخطاء ارتكبتها القيادات المسيحية التي عززت منذ سبعينات القرن العشرين وعيا طائفيا، ينطلق من فكرة الخصوصية المسيحية المنفصلة عن المحيط العربي، والمتصلة بالغرب والمطالبة دوما بالحماية، والرعاية، تحت عنوان التعرّض لخطر وجودي.

صار الخطر الوجودي سمة الممارسة السياسية المسيحية، وهو خطر يتشكّل من قطع الصلة مع ما كان الحضور المسيحي قد أسس له، في كامل المنطقة وليس في لبنان فقط، من أبوة مسيحية لفكرة العروبة، بكل ما فيها من بعد سياسي وثقافي جامع. هذه المسيحية العروبية بدأت بالتلاشي، وذابت تماما إبان الفترة التي سبقت اندلاع الحرب الأهلية بسنوات قليلة، وتبلور غيابها كصيغة مؤسسة للممارسة السياسية المسيحية الجديدة التي تبنتها القوى المسيحية المشاركة في الحرب، والتي لازالت تتسيّد المشهد المسيحي حتى الآن.

فكرة العروبة كانت قادرة على إخراج المسيحيين من منطق الخطر الوجودي، ومن وعي الأقليات الذي نما وترعرع مع الخروج من العروبة إلى العنوان المسيحي. وهكذا تحول المسيحيون من قوة ذات طابع أكثري وشامل في جوهرها وعقلها وفكرها وهويتها إلى مكون أقلوي يعيش أزمة وجودية.

كانت القوى المسيحية تنادي بالكيانية اللبنانية وكانت القوى الإسلامية تنادي بالعروبة والانسجام مع المحيط العربي في غالبيتهم العظمى إلى الطائفة السنية. القوى السياسية المسيحية اللبنانية انقسمت من ناحية الموقف المعلن من مشاركة حزب الله اللبناني في القتال إلى جانب النظام السوري.

الجنرال عون وقف علانية إلى جانب حزب الله، بل راح يسبق قيادات الحزب في التبشير بقرب نهاية الحرب وانتصار الأسد، وشاعت أخبار لم يتم التأكد من صحتها حول تدريب الحزب لمقاتلين ينتمون إلى التيار الوطني الحر، بغية إرسالهم للمشاركة في القتال في سوريا. مثل هذه الأخبار بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها، تعكس جوا ينطلق من واقعة التأييد المطلق لحزب الله وممارسته، الصادر عن القوة المسيحية التي تحرص على تقديم نفسها بكونها الأكثر تمثيلا للمسيحيين.

القوّات اللبنانية برئاسة الدكتور سمير جعجع اتخذت موقفا مغايرا من مشاركة حزب الله في الحرب السورية، ولكن واقعة ترشيح سعد الحريري لسليمان فرنجية المنافس المباشر للقوات اللبنانية دفع القوات إلى إسقاط مفاعيل رفض مشاركة حزب الله في القتال، وإمكانية وجود صوت مسيحي متمايز عن الأصوات المتحالفة مع النظام الأسدي. جاء الترشيح القواتي للجنرال عون بمثابة نسف للتمايز القواتي في هذا الصدد، وأنتج صورة تضع القوات في الموقع نفسه الذي يضع الجنرال نفسه فيه. النقاط العشر التي وافق عليها عون لفظيا والتي يتخذها القوّاتيون حجة لتبرير ترشيحه، تنطوي على أفكار فريق 14 آذار، ولكن لا يمكن تنفيذها طالما بقي الجنرال مرشح حزب الله.

النقطة الخامسة من هذه النقاط تدعو إلى "دعم الجيش معنويا وماديا وتمكينه وسائر القوى الأمنية الشرعية من التعامل مع الحالات الأمنية كافة، بهدف بسط سلطة الدولة وحدها على كامل الأراضي اللبنانية".

النقطة السادسة تؤكد على "ضرورة التزام سياسة خارجية مستقلة بما يضمن مصلحة لبنان، ويحترم القانون الدولي وذلك بنسج علاقات تعاون وصداقة مع جميع الدول لا سيما العربية منها، بما يحصّن الوضع الداخلي اللبناني سياسيا وأمنيا ويساعد على استقرار الأوضاع".

مسار الأمور بعد ترشيح الجنرال عون يبرز كيف عمل وزير الخارجية جبران باسيل على تدمير علاقة لبنان بالدول العربية، عبر رفض التصويت على إدانة الهجوم على السفارة السعودية في اجتماع وزراء الخارجية العرب ثم التحفظ على توصيف حزب الله بالحزب الإرهابي في اجتماع الجامعة العربية. تسببت مواقف الوزير العوني بنسف ما جاء في النقطتين، فقد بلغت علاقة لبنان بالدول الخليجية درجة من السوء تنذر بالقطيعة.

رفضت الكتائب اللبنانية الانخراط في لعبة ترشيح فرنجية وعون، انطلاقا من منطق يقوم على رفض ترشيح شخص ينتمي إلى فريق الثامن من آذار، ولكن الكتائب أيدت القرار القاضي بعدم توصيف حزب الله كحزب إرهابي، وهي النقطة الأكثر حساسية في ما يتعلق بعلاقة لبنان مع محيطه العربي. وهكذا يمكن أن نقول إن جلّ القوى المسيحية في لبنان تتبنى النزوع الأقلوي الذي يتحالف مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة مع النزوع العسكري الشيعي الذي يمثله حزب الله صاحب المشروع الإيراني الأسدي في لبنان المعادي للعرب والعروبة، والداخل في مواجهة مفتوحة مع المكون السنّي الأكثري في لبنان وفي عموم المنطقة.

الانفجار الديموغرافي السني

لم يشكل الانفجار الديموغرافي الإسلامي مشكلة في ظل الإصرار على الحفاظ على صيغة العيش المشترك التي نظّمها وحدّدها اتفاق الطائف، والتي تؤكد على المناصفة في المناصب وفي التمثيل البرلماني بين المسلمين والمسيحيين. بدأ الانفجار الديموغرافي يشكل أزمة وجودية للقوى المسيحية في ظل اشتعال العصبيات الطائفية بشكل عام في المنطقة، واتخاذ الحرب الدائرة في أكثر من مكان شكل الحرب السنية الشيعية. كثرت في ظل هذه الأجواء الخطابات التي تتحدث عن نهاية الوجود المسيحي في لبنان، ونهاية صيغة المناصفة، واعتبار رئيس الجمهورية السابق ميشال سليمان آخر رئيس جمهورية مسيحي في لبنان. تسلّل رعب النهايات إلى الوعي المسيحي، وصبغ ممارسات القوى السياسية بطابع التقوقع والعودة إلى الخطوط الضيقة لفكرة الخصوصية المسيحية.

نموّ العصبيات الطائفية كرس واقعا مأزوما يعود فيه كل مكون طائفي إلى أحضان طائفته فضاقت السياسة وانعدمت، وصارت مقتصرة على إدارة الشؤون الداخلية للطوائف التي تحاول التزوّد بأسباب المنعة والقوة في مواجهة الطوائف الأخرى. وتأسيسا على هذا المنطق باتت كل المكوّنات التي تتشارك الانتماء الطائفي نفسه، تمثّل في نظر الطوائف الأخرى والقوى السياسية مشروعا موحدا، وصارت التمايزات بين المكونات السياسية التي يوحّدها الانتماء إلى حضن طائفي مشترك غير قادرة على صناعة خطاب يتجاوز حدود ما تتيحه طائفتها حتى ولو شاءت ذلك. هكذا بات الفلسطينيون المقيمون في لبنان والذين يتجاوز عددهم النصف مليون فلسطيني، والسوريون الهاربون من جحيم براميل الأسد المتفجرة، والذين فاق عددهم المليون والنصف مليون لاجئ، يمثلون سياقات تؤكد غلبة الديموغرافيا السنية التي ترتدي في نظر القوى المسيحية عموما شكل تهديد وجودي، لا فرق فيه بين الوجود السني المعتدل والمتطرف.

التهديد يبقى على حاله سواء كان الانفجار الديموغرافي السنّي يرتدي طابعا معتدلا، أو كان متطرفا يتبنى منطق داعش والنصرة. في الحالة الأولى فإن الخطر يتمثل في نسف البنى القائمة تحت عنوان حقوق الأكثريات التي باتت أكثريات ساحقة مع توحيد البنى الطائفية للسنّة، وفي الحالة الثانية فإن الخطر يتمثل في ما تتبناه الجماعات السنية المتطرفة من تخيير للمسيحيين بين الجزية، أو الإسلام، أو الذبح وهي خيارات أحلاها مر.

ردة فعل القوى المسيحية اللبنانية بشكل عام على واقع الانفجار الديموغرافي كانت بمحاولة انتزاع قوانين انتخابية من قبيل القانون الأرثوذوكسي، ينتخب فيها المسيحيون أنفسهم ونوابهم بشكل حصري، بشكل يستبعد تأثير وحضور الصوت المسلم عامة والسنّي خاصة في الإتيان بالنواب المسيحيين. يسجل كذلك صعود موجة الحديث عن المظلومية المسيحية في الوظائف العامة وفي المراكز الإدارية، وخروج أصوات مسيحية تنفي صفة العروبة عن المسيحيين، وغير ذلك من ردود الأفعال القاصرة عن اللحاق بعمق الأزمة أو تداركها.

ما يبدو غير مفهوم ولا يوجد حتى هذه اللحظة إجابة واضحة عليه هو السؤال حول الأسباب التي دفعت بالقوى المسيحية اللبنانية إلى الركون إلى الحضن الأقلوي، وتفضيله عن المحيط العربي الواسع، ما جعلهم مدرجين في سياق الانتقام السنّي من الأقليات الذي يشكل دون شك روح المرحلة القادمة بغض النظر عن أيّ تسويات سياسية؟ لا نفهم لماذا يحمّل القسم الأكبر من القوى المسيحية اللبنانية نفسه وزر المشاركة، ولو المعنوية، في إهراق الدم السوري، ولماذا تتبع القوى المسيحية حزب الله في انغماسه الانتحاري في دم شعوب المنطقة؟

الحلف القاتل

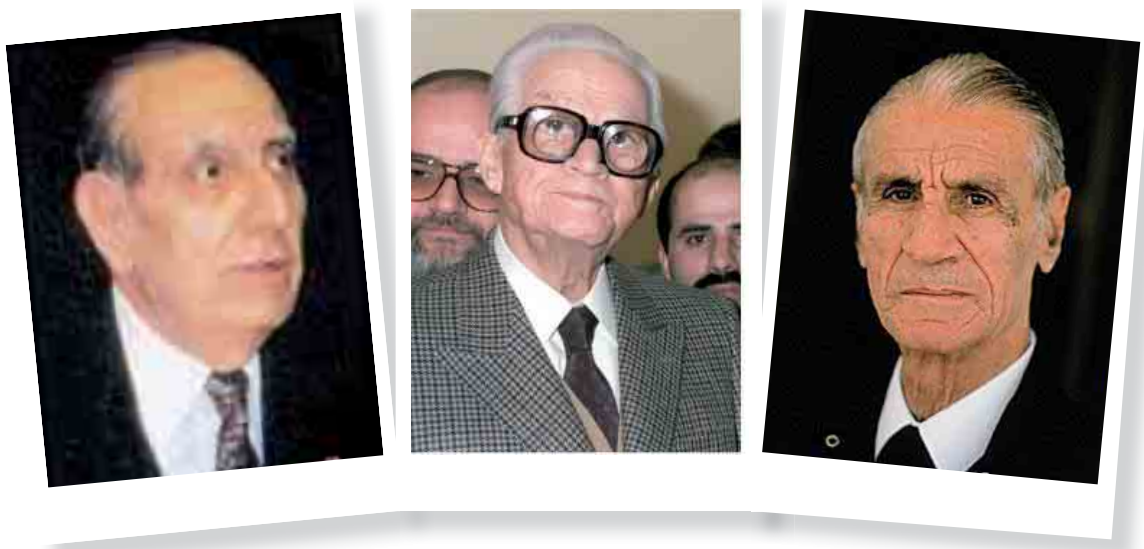

ريمون إده: بيار الجميل جلب السوريين وكميل شمعون جلب الإسرائيليين وشارل الحلو جلب الفلسطينيين وضيعوا البلد

لحظة حقيقة يسلط الضوء عليها أكبر الشخصيات الأمنية السعودية

الأمير تركي الفيصل
وإعلان المرحلة الجديدة في العلاقات السعودية الأميركية

محمد قبيلات

❑ **عمّان** – في أحد مؤتمراته الصحفية التي أعقبت لقاء له مع وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس، يروي الأمير السعودي تركي الفيصل قصة طريفة عن الرئيس الأميركي روزفلت حينما استقبل رئيس وزراء بريطانيا في بيته على سبيل الحفاوة والتكريم الزائد.

القصة ليست فقط ذات مغزى للعلاقة التي تربط الولايات المتحدة الأميركية بالمملكة المتحدة. هي أعمق من ذلك، ولم يكن الفيصل يعبث وهو يستحضرها.

يقول الفيصل إن روزفلت دخل إلى غرفة رئيس الوزراء البريطاني ليجده جالسا على الكرسيّ الهزاز، وهو عار تماما. روزفلت يرتد عائدا، وهو يرى ما يرى، لكن رئيس الوزراء البريطاني يوقفه. كأنه صرخ به: قف.. لماذا تعود.. ويصر عليه بالدخول ويقول له ممازحا يا فخامة الرئيس، رئيس وزراء بريطانيا ليس لديه ما يخفيه عن الولايات المتحدة الأميركية.

من هنا تبدأ حكاية المملكة العربية السعودية بالولايات المتحدة. أو من هنا أراد لها الفيصل أن تبدأ.

لا للتقية الأميركية

يقول تركي الفيصل إنه قال لوزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس أنه تمنى أن تكون العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية والمملكة العربية السعودية هكذا. لا للتقية فيها من مكان. لا سر يشوب الغرف المغلقة.

تركي الفيصل هو ابن الملك فيصل بن عبدالعزيز، والمسؤول السعودي الأمني الأهم، الذي أدار أصعب الملفات الأمنية في تاريخ المملكة العربية السعودية إبان الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، وأشرف مباشرة على تنسيق العملية المضادة للسوفييت وبالتنسيق مع الأميركان.

هكذا غزل الفيصل خبراته الأمنية الكبيرة وهو من أشرف على عبور "الجهاديين" إلى أفغانستان منذ العام 1979 إلى أن رحل السوفييت عام 1988.

تعمدت خبرات الفيصل بالعديد من المهمات منها منصب سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن. لهذا يرى فيه قومه "عين خبير" عندما يكون الحديث عن العلاقات السعودية الأميركية.

في هذا السياق، يمكن فهم لماذا هو تحديدا من كتب الرسالة المفتوحة الموجهة للرئيس باراك أوباما، ردا على حديثه الذي هاجم فيه السياسة السعودية.

من يريد أن يرسم خطوط العلاقات السعودية الأميركية باللونين الأبيض والأسود، لا بد وأن يخرج بنتائج مطلقة، لكنها غير صحيحة. عندما يحضر الحديث عن الماكينة السياسية السعودية عامة، فعلينا أن نحمل العديد من الأقلام الملونة. منها الأبيض، ومنها الأسود، لكن منها أيضا الأحمر والأخضر.

طريق الرياض واشنطن

ما فتئت العلاقة السعودية الأميركية تمرّ بمحطات من الجدل والاختلاف، مدًا وجزرا نقصانا وزيادة. وهذا ليس جديدا عليها، فهي على هذا الحال منذ البدء. في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي.

إنها علاقة محكومة بقاعدة ملء الفراغ منذ تأسيس المملكة في عهد الملك عبدالعزيز، حيث استدعى المؤسس الولايات المتحدة الأميركية لملء الفراغ الذي ستتركه بريطانيا العظمى التي ربما استشعر المؤسس أنها آيلة إلى أفول، وهذا ما انسجم مع المخططات الأميركية المتعلقة بالنفط وطرق وصوله إلى مخازنها.

> الإدارة السعودية الجديدة تعيد تأسيس العلاقة مع الإقليم خارج السياقات الأميركية، بعد ما جرى في العراق وكيف أن أميركا سلمته لإيران، وبعد ما أظهرت الإدارة الأميركية تساهلا مع الإخوان المسلمين في مصر، وبعد كل هذا اللين مع المشروع النووي الإيراني

تراوحت العلاقة بين صداعين، صداع وصل حد التهديد بتأميم أرامكو، الذي حدث لاحقا لكن تدريجيا. وصداع آخر يتعلق بالتحالفات التي لم تتوقف عند حد التنسيق الأمني والتحشيد، بل شنّ الحروب بالتضامن.

من اليمن إلى أفغانستان إلى العراق ثم العودة إلى اليمن مرة أخرى، وبين الصداعين صداعات ارتدادية شكّلها الربيع العربي في سوريا ومصر وليبيا والعراق واليمن وتونس.

بقوة المملكة الاقتصادية والمعنوية، استطاعت السياسة الخارجية السعودية أن تستوعب كل الهزات التي مرت بها منحنيات العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية، حتى أحداث 11 سبتمبر تم تجاوزها مع أنها شكلت حالة غير مسبوقة من التوتر البيني، وصلت حد تحميل بعض مراكز القرار في واشنطن للمملكة العربية السعودية المسؤولية غير المباشرة عن الهجمات، بصفتها دولة تشجع أنماط التربية الدينية ما يشكل بيئة حاضنة مناسبة لنمو التيارات السلفية.

التحدي الإيراني

ما تتمتع به إيران أنها دولة تقدم نفسها على أنها زعيمة للطائفة الشيعية ومظلومياتها التاريخية، وتقاوم المخططات الأميركية والصهيونية، لذلك امتلكت غطاء أخلاقيا يوفر لها العديد من الأذرع والمنظمات والتكتلات في الدول العربية التي تساعدها على تنفيذ أجنداتها في أكثر من دولة عربية ومن ضمنها اليمن ولبنان وسوريا، وهذا ما تفتقده السعودية في الحقيقة.

بينما الأذرع "المفترضة" للسعودية، على الحسابات الطائفية، متهمة بكونها غارقة في التطرف الى درجة التورط بالإرهاب، والقاعدة وأخواتها أوضح مثال على ذلك.

كما أن السعودية ترتبط بعلاقات معلنة مع أميركا والدول الغربية، ما يضعها بالمواجهة مع الخطابات الشعبوية التي تديرها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي ترمي إلى حشرها في خانة وإطار الحلف المعادي لمصالح الأمة الإسلامية.

هنا كان على السعودية مواجهة المشروع الإيراني، كونه يشكل تهديدا وجوديا يكاد ينسف العقد المعنوي، الذي نسجته سواء مع السعوديين أنفسهم أو مع الأمة الإسلامية، بصفتها قائدة للعالم الإسلامي.

لكن وبفعل الماكينة البيروقراطية للسياسة السعودية، ستعتمد الرياض على مواجهة النشاط الإيراني بالبيروقراطية الإدارية المعهودة، وبالطريقة المتراخية ذاتها التي تدير بها كافة الملفات الإقليمية.

بقي الحال على ما هو عليه طويلاً، بعد أن اكتفت السعودية بالانضمام وليس قيادة محور الاعتدال العربي، الذي طالما قادته دولة مثل مصر مبارك. إلا أن التهديد الإيراني المتزايد والذي وصل الى خاصرة الجزيرة العربية في اليمن ورقبتها في سوريا عجّل من الإفاقة.

المملكة أفاقت وإن متأخرة على التهديدات الإيرانية لكن وكأن في إفاقتها "صدمة" المتعجل لإنقاذ نفسه من السقوط في الهاوية، بعد أن اكتشف أن حبال إنقاذه تسرّبت واحدا واحدا مع الزمن.

جزء من ذلك يفسر الصدمة المقابلة للآخر، بأن الرياض باتت تعتمد أساليب غير معهودة، ومنها تفجيرها لمفاجأة عاصفة الحزم.

اللافت في السياسة السعودية، حساسيتها من الموقف الأميركي، فرغم مرور أكثر من ثمانين عاما على العلاقات الحميمة المتبادلة، ما زال هناك لبس في فهم آليات السياسة الأميركية، وكأن الطرفين ما زالا يرفضان أن يتعلما لغة بعضهما البعض، واكتفيا بالإبقاء على الترجمان فيما بينهما.

هذا مجددا ما يفسر استمرار صدمة السياسي السعودي من المواقف الأميركية التي دائما ما يراها غريبة.

أشد هذه الحساسيات ظهرت حيال التعامل الأميركي مع الملف الإيراني، عندها أظهرت الإدارة الأميركية تسامحا من نوع ما مع النظام الثيوقراطي الإيراني، ففزع السعوديون مصدومين ليتوجه من فوره الأمير تركي الفيصل برسالة واضحة مفتوحة إلى الرئيس الأميركي، يذكّره فيها أن إيران ما زالت ترفع الشعارات ذاتها ضد الأميركان في إشارة إلى وصفها لهم بالشيطان الأكبر.

تأتي رسالة تركي الفيصل ضمن إطار إعادة تأسيس العلاقة السعودية الأميركية، من خلال التعامل بفهم جديد مع ميكانيزمات صناعة القرار الأميركي. فهل فهم السعوديون أخيرا الأميركان؟

ليس بعيدا عن ذلك، إنشاء لجنة شؤون العلاقات العامة السعودية الأميركية "سابراك" التي تم تأسيسها مؤخرا في واشنطن، ووصفها البعض أنها اللوبي السعودي في الولايات المتحدة الأميركية، تشبه بوظيفتها اللوبي اليهودي "أيباك"، ولوبيات أخرى ضاغطة لصالح الدول والمحاور.

لحظة الحقيقة

إنها حلقة من حلقات لعبة الأمم، اقتضت تأسيس الادارة السعودية الجديدة للعلاقة مع الإقليم خارج السياقات الأميركية، فبعد ما جرى في العراق وكيف أن أميركا سلمته لإيران، وبعد ما أظهرت الإدارة الأميركية تساهلاً مع الإخوان المسلمين في مصر، وبعد كل هذا اللين مع المشروع النووي الإيراني، كان لا بد من إعادة لصياغة السياسة التي تتعامل بها السعودية مع المحيط ومع الأميركان أنفسهم.

ففي لعبة الأمم كما في لعبة الشطرنج، يجد اللاعب نفسه، أحيانا، أمام حركات إجبارية تأخذه إلى ساحات ومعارك مفروضة عليه ولا مناص له منها.

هي لحظة الحقيقة التي تستوجب النشوء الإجباري للمشروع العربي الجديد، مشروع يتخلق بفعل التحديات الوجودية التي فرضتها سياقات طالما تعاطى معها النظام العربي بالقفازات المستوردة، أو بأوهام خلق توازن مستورد على شكل قواعد عسكرية أجنبية كبديل عن بناء القوة الذاتية.

استطاعت الإدارة السعودية الجديدة أن تحسم الكثير من الأمور، وبسرعة لم يتوقعها أحد. أغلقت النقاش في الملفات وذهبت للتنفيذ فورا، ولأول مرة تنتقل السعودية من دور الممول لمشاريعها السياسية والاستراتيجية إلى جهة المنفذ دون وسطاء، فأظهرت هذا الحزم بشكل واضح في اليمن، ما قطع الطريق على المخططات الإيرانية التي كانت على وشك أن تسلخ اليمن وتأخذه إلى مجالاتها.

إنه تعاطٍ من نوع جديد تمارسه الإدارة السعودية مَع الواقع والأحداث، يرتكز بدءا من فهم جديد يسقط من حساباته الاعتماد على القوى الدولية والاتجاه إلى نزع الشوك من اليد باليد. لكن الجميع هنا يسأل عن "آخر الشوط".

أميركا تاريخيا تعتمد في بناء سياساتها على المصالح البحتة غير آبهة بمشاعر الشركاء. لقد كانت أول من أثار القلاقل في إيران ضد حليفها التاريخي الشاه، وظلت تتعاطى مع نظام حكمه بتأثير من هواجس ثورة مصدق، فأثارت قضايا وملفات حقوق الإنسان، وكأنها لم تكن تعي بعد، وتحت تأثير العداء للشيوعية، مخاطر اللعب بنار الأديان.

تعاملت مع حليفها نظام حسني مبارك، وقبل خطاب أوباما التاريخي في جامعة القاهرة ظلت السفارة الأميركية في القاهرة على تواصل مع جماعة الإخوان المسلمين، ولم تمرّ مناسبة إلا وطرحت قضايا حقوق الانسان وقضية حقوق الأقباط وغيرها، وامتد هذا التعامل ليشمل مرحلة حكم العسكر في مصر.

ربما كان هذا ما صاغ سؤال الأمير تركي الفيصل في رسالته لأوباما "هل هذا نابعٌ من استيائك من دعم المملكة للشعب المصري، الذي هبّ ضد حكومة الإخوان المسلمين التي دعمتها أنت؟".

وجها لوجه

سؤال يناقش الموقف الأميركي الجدلي من حكم الإخوان، لكنه يعود بنا الى المربع الأول في فهم السلوكات المعقدة التي يسلكها العقل الأميركي، وطريقة فهمه وتعامله مع الأمور، فهو عقل لا يحفزه إلا وجود عدوّ، فإن لم يوجد أوجده، وهذا ما هداه إليه صموئيل هنتينغتون بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة.

> قوة المملكة الاقتصادية والمعنوية مكنت السياسة الخارجية السعودية من أن تستوعب كل الهزات التي مرت بها منحنيات العلاقة مع الولايات المتحدة، حتى أحداث 11 سبتمبر تم تجاوزها مع أنها شكلت حالة غير مسبوقة من التوتر البيني، وصلت حد تحميل بعض مراكز القرار في واشنطن للسعودية المسؤولية غير المباشرة عن الهجمات

● عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز يضع العلاقات السعودية الأميركية على محكات التحالف ويختار المبادرة بدلا من التعامل مع المستجدات.

● تركي الفيصل يعد المسؤول الذي أدار أصعب الملفات الأمنية في تاريخ السعودية إبان الاحتلال السوفييتي لأفغانستان. مكلفا بالعديد من المهمات منها منصب سفير السعودية في واشنطن ورئيس الاستخبارات العامة.

فيدرالية أكراد سوريا توقظ مشاريع أخرى في المنطقة

مشروع غيورا آيلاند الإسرائيلي وقص سيناء من خارطة مصر

إبراهيم الجبين

❑ **برلين** – قبل أيام أعلنت مجموعة كردية سورية مرتبطة بحزب العمال الكردستاني، تهيمن بقوة السلاح على مناطق الشمال السوري بدعم من إيران ونظام الأسد، قيام النظام الفيدرالي في تلك المناطق لأول مرة ومن جانب واحد.

وكان حزب الاتحاد الكردي وما تسمى بقوات الحماية الشعبية التابعة له، قد بسط سلطته عبر اتفاق أمني واسع مع أجهزة الأمن السورية التي ما تزال تعمل بشكل علني في مدن القامشلي والحسكة وتل أبيض وعين العرب وغيرها، ويقوم مسؤولو النظام السوري بزيارتها بشكل مستمر. وكان آخرهم وفد وصل إلى مدينة تل أبيض التي تسيطر عليها الوحدات الكردية ضم معاوني وزراء الداخلية والكهرباء والإدارة المحلية وضابط برتبة عميد من الحرس الجمهوري، وهو المبعوث الشخصي لبشار الأسد، قادماً من دمشق.

وعلى الرغم من رفض روسيا والولايات المتحدة وتركيا والعديد من دول العالم لهذا الإعلان الذي يتضمن قفزاً على إرادة شعب بأكمله لتطبيق مشروع من طرف واحد، فإنّ إسرائيل وحدها، قامت بالترحيب بالمشروع.

وقال السفير الإسرائيلي في واشنطن رون ديرمر إن" إسرائيل تدعم قيام دولة كردية مستقلة في الشرق الأوسط". وأضاف "نحن نقدّر الروح القتالية القوية للأكراد، ونقف إلى جانبهم في نضالهم من أجل الاستقلال. ونحن نتوقع أن تستمر الصداقة بين الأكراد واليهود ليس فقط للسنوات القادمة بل لعقود". وكان رئيس المجلس الوطني الكردستاني في سوريا شيركو عباس قد سبق ذلك بالقول "نحن جعلنا من الفيدرالية تفسيرنا لمبدأ حق تقرير المصير للشعب الكردي في سوريا، ومن وجهة نظرنا هذا النظام الفيدرالي الاتحادي هو أفضل صيغة لسوريا الحديثة".

نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف قال إنه لا يمكن لأكراد سوريا إقامة نظام حكم فيدرالي في سوريا بشكل أحادي.

وأكد الناطق الصحفي باسم الكرملين دميتري بيسكوف أن الشعب السوري وحده صاحب القرار في مسألة نظام الحكم المستقبلي في بلاده، معتبراً أنه لا يحق لأكراد سوريا تقرير مسألة "فدرلة" البلاد بصورة أحادية.

إسرائيل ترى رأيا آخر

في الوقت ذاته شجع الرئيس الإسرائيلي رؤوبين ريفلين نظيره الروسي فلاديمير بوتين على القبول بتقسيم سوريا والعراق وفقا للتغييرات التي حدثت في السنوات الأخيرة. وذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن الرئيس الإسرائيلي سعى خلال لقائه مؤخراً بالرئيس الروسي إلى الحصول على تأييد موسكو بعدم التمسك بالحدود الحالية لسوريا التي حددتها اتفاقية سايكس بيكو قبل مائة عام، وقسّمت الشرق الأوسط تقسيما مصطنعا، ولذلك فهناك ضرورة لتقسيم سوريا والعراق على ضوء التغييرات التي حدثت في المنطقة خلال السنوات الأخيرة.

لم يعد السؤال، اليوم، لماذا تريد إسرائيل تكريس تجزيء المنطقة إلى أقسام ودويلات ومقاطعات بصورة تشبهها، كدولة دينية يهودية تصر على وصف نفسها بهذا ولا تتراجع عنه أبدا؟ السؤال الآن هو من سيوافق إسرائيل في دول المنطقة ومحاورها على تلك الرؤية؟ فجميع دول الشرق الأوسط عرضة للتفكك بسبب تكوينها المختلط. والمثير أن المحاور المتناقضة والمتصارعة في المشرق تتشارك في مخاوفها من التقسيم بصورة أو بأخرى، فإيران مثل تركيا وسوريا مثل العراق والسعودية مثل مصر كلها ذات قوميات أو طوائف متعددة.

مصر بالذات كان لها نصيب من ذلك الخطر الذي بات يعرف بخطر التقسيم والتفكك. مع أنها أول دولة حديثة في المنطقة. قارب عمرها القرنين. متشكلة معروفة الكيان والحدود والمراكز الإدارية.

مصر الجديدة وفلسطين الجديدة

روّج الإسرائيليون ويروّجون اليوم، لما عرف بمشروع غيورا آيلاند. المشروع الذي قال عنه الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن إسرائيل كانت قد عرضت عليه أثناء حكم الرئيس المصري المعزول محمد مرسي أن يستلم ما مساحته 1000 كيلومتر مربع في سيناء في حال تم تطبيقه. وكان في إطار برنامج وضع أثناء عهد أرئيل شارون يقضي بتبادل أراض بين مصر وإسرائيل لتوسيع قطاع غزة.

خطة غيورا آيلاند التي عرضها قبل سنوات، السفير دنيس روس على الرئيس المخلوع حسني مبارك، نصت على تقديم مساعدات كبرى لمصر، ومساحات من الأراضي في صحراء النقب. لكن مبارك لم يوافق آنذاك.

عادت الولايات المتحدة لطرح الخطة بعد ثورة 25 يناير في العام 2011 في عهد الإخوان المسلمين، ولاقى ذلك قبولاً عندهم، رغم اعتراض الجيش والمخابرات المصرية.

دولة غزة

درست خطة مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق الجنرال غيورا آيلاند تفاصيل ديموغرافية تتعلق بتزايد عدد السكان في غزة، وأثبتت أن العام 2020 سيشهد بلوغ تعداد سكان غزة إلى مليونين ونصف المليون نسمة. وأن هذا التضخم الهائل لن يكون معه العيش ممكناً ضمن الحدود الحالية.

ستمتلك غزة وفقاً للمشروع 24 كيلومتراً مربعاً على شكل سواحل على البحر الأبيض المتوسط، ومياه إقليمية بعمق عشرة كيلومترات. وسيكون من الممكن إنشاء مطار دولي يبعد عن حدود إسرائيل قرابة 25 كيلومتراً ومدينة جديدة غير غزة الحالية لاستيعاب التزايد السكاني المطرد. وسينتج عن تطبيق مشروع غيورا آيلاند زيادة في مساحة غزة الحالية (365 كيلومترا مربعا) نحو ثلاث مرات.

وقد تسربت معلومات وتحليلات تفيد بأن تفجير الأوضاع الأمنية في سيناء، وظهور داعش والخلايا الإرهابية المنتشرة في شبه الجزيرة، ما هو إلا مقدمة لتطبيق خطة غيورا آيلاند في نهاية المطاف.

في مقابل هذا سيتم منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً كاملاً، في غزة والضفة الغربية. ويجري إسقاط المطالبات الفلسطينية بحق عودة اللاجئين إلى داخل الخط الأخضر، وكذلك طيّ مسألة القدس.

وقد طغت أخبار المعارك والحروب في الشرق الأوسط ودول الربيع العربي على أخبار مشروع غيورا آيلاند، رغم أنه لم يعد سراً بعد أن أعلن الرئيس عباس في لقاء تلفزيوني مع قناة "صدى البلد" في القاهرة أن الاتفاق المصري للتهدئة مع إسرائيل "الذي تم إبرامه في عام 2012 تحت رعاية محمد مرسي، كان ينص على منح غزة 1600 كيلو من الأراضي المصرية في سيناء. وهذا معروف بمخطط غيورا آيلاند الإسرائيلي، ورفضناه".

يوضح الرئيس الفلسطيني تفاصيل المشروع بالقول "المشروع يتضمن سيطرة إسرائيل على مساحات ضخمة من الضفة الغربية، مقابل تعويض الفلسطينيين بمساحات من شبه جزيرة سيناء لإنشاء دولة فلسطينية مستقرة وقادرة على النمو والمنافسة. وكانت عملية الانسحاب الأحادي من غزة عام 2005 هي الخطوة الأولى في هذا الاتجاه".

التقسيم بإغراء التنمية

غيورا آيلاند قام بعرض مشروعه في مركز بيجين – السادات للدراسات الاستراتيجية. خطته مكونة من 37 صفحة من القطع الكبير وجاءت بعنوان "البدائل الإقليمية لفكرة دولتين لشعبين"، وينص المشروع على أن تتنازل مصر عن 720 كيلومتراً مربعاً من أراضي سيناء لصالح الدولة الفلسطينية المقترحة. وهذه الأراضي عبارة عن مستطيل، ضلعه الأول 24 كيلومتراً، ويمتد بطول ساحل البحر المتوسط من مدينة رفح غربا، وحتى حدود مدينة العريش، أما الضلع الثاني فيصل طوله إلى 30 كيلومتراً من غرب كرم أبوسالم، ويمتد جنوبا بموازاة الحدود المصرية الإسرائيلية. وهذه الأراضي تعادل 720 كيلومتراً مربعاً والتي سيتم ضمها إلى غزة لتتضاعف مساحة القطاع ثلاث مرات، حيث إن مساحته الحالية تبلغ 365 كيلومتراً مربعاً فقط.

منطقة الـ720 كيلومتراً مربعاً توازي 12 بالمئة من مساحة الضفة الغربية. وفي مقابل هذه المنطقة التي ستُضم إلى غزة، يتنازل الفلسطينيون عن 12 بالمئة من مساحة الضفة لتدخل ضمن الأراضي الإسرائيلية.

في مقابل الأراضي التي ستتنازل عنها مصر للفلسطينيين، تحصل القاهرة على أراض من إسرائيل جنوب غربي النقب (منطقة وادي فيران). فالمنطقة التي ستنقلها إسرائيل إلى مصر يمكن أن تصل إلى 720 كيلومتراً مربعاً، مقابل الكثير من المميزات الاقتصادية والأمنية والدولية التي ستحصل عليها القاهرة لاحقا.

يقول آيلاند إن كل من يحاول المقارنة بين غزة وسنغافورة يخطئ التقدير. فاقتصاد سنغافورة يقوم على التجارة الدولية، والتعاملات المصرفية المتقدمة، وصناعات الـ"هاي تيك"، أما اقتصاد غزة فيقوم على الزراعة والتكنولوجيا البسيطة. وصحيح أن مساحة دولة سنغافورة لا تؤثر سلبا على نموها الاقتصادي، لكن توسيع مساحة غزة شرط أساسي لضخ الحياة في أوصالها.

ويبشر آيلاند إلى أن الفوائد الاقتصادية من هذا التوسع ستكون هائلة، فغزة الجديدة ستتحول إلى منطقة جذب للنمو الاقتصادي، وستصبح مركزاً تجارياً دولياً.

التهديد بالمياه

مصر تعاني من مشكلة مياه تتفاقم يوما بعد يوم كما يقول آيلاند. وهناك زيادة في أعداد السكان، ومصادر المياه العذبة في تناقص مستمر. وبناء على ذلك فإن الدولة التي يعتمد 50 بالمئة من سكانها على النشاط الزراعي لن تتمكن من الحفاظ على بقائها واستمرارها بعد جيل أو جيلين دون إيجاد حل مبدئي لأزمة المياه.

لتتضح ملامح الصلة ما بين الأيدي الإسرائيلية الخفية الضاغطة لتأسيس مشروع سد النهضة في إثيوبيا، وما بين مشروع غيورا آيلاند الذي يدق جرس الإنذار من مشكلة الأمن المائي التي تهدد مصر.

يعتبر غيورا آيلاند أن خطته هذه، ستضع حداً وإلى الأبد، لما يعرف بالصراع العربي الإسرائيلي الذي دام كما يقول قرناً من الزمن، وستفيد عدداً من الدول العربية على رأسها مصر والأردن.

ويبرر المشروع بأن الأردن يضيق بالمشكلة الديموغرافية داخل أراضيه، فأغلبية سكان المملكة من أصول فلسطينية، وأعدادهم في تزايد مستمر. وهذه الظاهرة تستفحل طالما أن حياة الفلسطينيين في الأردن أكثر راحة وسهولة من حياتهم في الضفة وغزة. لكن في اللحظة التي ستقام فيها مدينة «غزة الكبرى»، والميناء والمطار الجديدان، ستنشأ فرص عمل وفيرة، وتنقلب الآية، ويفضل الفلسطينيون من أصول غزاوية العودة إلى بيتهم، شأنهم شأن عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الضفة والأردن نفسها.

في الوقت ذاته تولد إعلانات عن فيدرالية في أقصى الشمال السوري، بعد تجربة الفيدرالية العراقية الفاشلة حتى اليوم.

والفيدرالية كمصطلح تشير إلى الاتحاد، وتبرم بين طرفين مختلفين أو أكثر، تجمع بينها روابط وثيقة، تلك الروابط قادرة على خلق صيغة مركب وحدوي قوي.

وهي تعني "تحرك الأفراد أو الجماعات المتميزة من ناحية، والمشتركة من ناحية أخرى، نحو تشكيل تجمع واحد يوفق بين رؤى الاتجاهات المتناقضة، انطلاقا من الشعور المشترك بالحاجة إلى الوحدة".

الفيدرالية المتفتحة في المشرق

مصطلح "الدولة الاتحادية" بالعربية أو "الدولة الفيدرالية" يتفق الباحثون على أنه بصيغته القانونية، مفهوم حديث ومعاصر لا يتعدى تاريخه التطبيقي نظام الحكم الفيدرالي للولايات المتحدة الأميركية الذي ظهر إلى الوجود بعد مؤتمر فيلادلفيا في العام 1787.

ويذكر رجال القانون أن الدول الفيدرالية تكوّنت إما من اتحاد كيانات مستقلة، أو من كيانات تنفصل من جسد دولة واحدة كبيرة، ثم تقرر الاتحاد ضمن صيغ قانونية واجتماعية جديدة. لتصبح "اتحاد ولايات متقاربة".

تنشأ الدولة الفيدرالية من اتحاد ولايتين أو عدة ولايات متقابلة تشترك شعوبها في ملامح اجتماعية وجغرافية وتاريخية، فتتنازل كل واحدة عن بعض سلطاتها الداخلية، وعن سيادتها الخارجية. ثم تتوحد ثانية لتكون الدولة الفيدرالية على أساس الدستور الفيدرالي، مثال ذلك الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السويسري وجمهورية ألمانيا الاتحادية والإمارات العربية المتحدة.

الحالة الثانية وهي التي تنتج عن تفكك دولة كبيرة، فتنشأ الدولة الفيدرالية من تفكك دولة كبيرة، يعمل شعبها على المطالبة باستقلال تام عن سيطرة الحكومة المركزية، وتقرير مصيرها دون تدخل من الآخرين، ثم تعمل الولايات المفككة على تشكيل دولة واحدة هي الدولة الفيدرالية، وفق نظام إداري فيدرالي. ومثال الدولة الفيدرالية الناشئة عن تفكك دولة بسيطة هي المكسيك والأرجنتين والبرازيل.

أهم ميزتين يجهل الكثيرون حساسيتهما في النظام الفيدرالي هما أن الدولة الفيدرالية دولة مركبة، تتكون من دولتين أو أكثر، أو من إقليمين أو أكثر، يكون لكل منهما نظامه الخاص، واستقلاله الذاتي، مثل أن يكون لكل ولاية أو إقليم دستور خاص، برلمان خاص، حكومة خاصة، وقوانين خاصة، وجيش خاص، وموارد خاصة، ولغة خاصة بها.

الميزة الأخرى تكمن في ما تتصف به الدولة الفيدرالية من أنها دولة "واحدة"، كالدولة البسيطة تماما، من حيث وجود دستور اتحادي واحد، وحكومة اتحادية واحدة، وبرلمان اتحادي واحد، ومحكمة اتحادية واحدة، وجيش اتحادي واحد.

حدود وتكسير للحدود

فيدرالية الأكراد السوريين، وخطة غيورا آيلاند المخصصة لسيناء وغزة، ليست مقتصرة على هذه البقع من الأرض في المشرق. وما دامت الذهنية الإسرائيلية تقول صراحة على لسان الرئيس الإسرائيلي بضرورة عدم التمسك بحدود سايكس بيكو، فإن المرجّح أن نقاطاً أخرى في الخارطة جرى أو يجري دراسة مشاريع خاصة بها وحولها.

ولطالما اشتكت الدول العربية من خرائط سايكس بيكو، واعتبرت أن الحدود التي فرضتها تلك الاتفاقية، حدود مصطنعة يجب محوها، والذهاب إلى مشروع وحدوي عربي.

لكن المزاج يختلف اليوم وتختلف الضرورات القصوى، فتكسير الحدود وفقاً لاتفاقات اتحادية اندماجية، يختلف عن تحطيم الكيانات وإزالة الدول كما في الحالة العراقية والسورية.

إلا أن شكل الدولة يبقى مفتوحاً للسياقات القانونية التي يجري بها الإعلان عنه، وليس عبر قوة السلاح وفرض فئة أقلوية على أكثرية الشعب أي خيار تراه دون العودة إلى الاستفتاء وصناديق الاقتراع.

> فيدرالية الأكراد السوريين، وخطة غيورا آيلاند المخصصة لسيناء وغزة، ليست مقتصرة على هذه البقع من الأرض في المشرق. وما دامت الذهنية الإسرائيلية تقول صراحة على لسان الرئيس الإسرائيلي بضرورة عدم التمسك بحدود سايكس بيكو، فإن المرجح أن نقاطا أخرى في الخارطة جرى أو يجري دراسة مشاريع خاصة بها وحولها

● أكراد يعلنون الفيدرالية ويرفعون أعلامهم ويحرسون تماثيل حافظ الأسد في القامشلي من أيدي المعارضة.

فنان غامر بشجاعة لتقديم دور حساس

خالد الصاوي
وجها لوجه أمام تابوهات السياسة والمجتمع

بهاء الدين يوسف

❑ **القاهرة** – لا يزال أرشيف الدراما يحفظ مواقف لممثلين متوسطي الشهرة قبلوا أدوارا تهرّب منها النجوم، فكانت نقطة تحوّل في مشوارهم الفني. كان أشهرهم الراحلة مديحة كامل بعدما قدمت دور الجاسوسة عبلة سليم في فيلم "الصعود إلى الهاوية".

في التاريخ الأقرب كانت المغامرة من النجم المثقف خالد الصاوي، الذي قبل أن يسبح ضد تيار ثقافة التكتم الذي يحكم المجتمعات الشرقية، ويقبل تجسيد دور صحفي "مثلي" في فيلم "عمارة يعقوبيان"، بعدما رفضه العديد من النجوم قبله.

كم من الممثلين العرب يمكن أن يوافقوا على تجسيد شخصية مثلية؟ وكم من ممثل يقبل بدور الشاذ جنسيا؟

الإجابة قد تكون معروفة، لكن الأفضل أن نستقيها من تصريح للفنان السوري المعروف جمال سليمان، عندما علق على قبول خالد الصاوي لدور حاتم رشيد بالثناء على شجاعة الفنان المصري في تقدم دور الشاذ في "عمارة يعقوبيان" وأدائه البارع في تجسيده، مؤكدا أنه يحسده على تقديم هذا الدور، خاصة أنه من الصعوبة على أيّ ممثل عربي أن يوافق على تقديمه.

هذا الرأي يلخّص فهم خالد الصاوي للفن في مجتمعات شرقية تدّعي المحافظة، بينما هي في الواقع تعيش على تلال من التناقضات.

مغامرة خالد الصاوي كانت أكثر خطورة من مغامرات كل من سبقوه، لأن الدور الذي جسده لم يكن يمثل فقط نمطا مكروها اجتماعيا، مثل الجاسوس أو اللص، لكنه اصطدام بثقافة الكتمان التي تتحكم في عقلية المجتمعات العربية، وتجعلها توافق على أن يعيش الكثيرون حياة مزدوجة، نصفها الذي يظهر أمام الناس طبيعي ومشرّف، بينما نصفها السري حافل بالمتناقضات.

كذلك كان دور حاتم رشيد رئيس التحرير المرموق المثلي في "عمارة يعقوبيان" بمثابة دق غير مضمون النتائج على واحد من أكثر "التابوهات" تعقيداً.

> قناعة الصاوي بأن الدور جزء من التزامه كممثل تلفت انتباه الناس للشخصيات الموجودة في الحياة، ولذلك فقد حسم أمر موافقته على أداء شخصية حاتم رشيد دون تردد

لكن الصاوي، استدعى كما قال في حديثه مع "العرب" مخزون التمرد من ذاكرة المراهق والشاب الجامعي ليوافق على خوض المغامرة، مدفوعا في ذلك بقناعته الشخصية حول ضرورة عدم إهالة "تراب العادات والتقاليد" على نماذج إنسانية موجودة في مجتمعاتنا.

الاختيار الصعب

مشوار خالد الصاوي الفني حفل بالعديد من الأدوار المتناقضة، بدأها بدور جمال عبدالناصر في الفيلم الذي أخرجه السوري أنور القوادري عن رئيس مصر الراحل، وهو فيلم لم يلق حظه من النجاح لأسباب بعضها فني وأكثرها سياسي.

لكن ما تبقى للصاوي من جمال عبدالناصر الحرج البالغ الذي شعر به قبل قبول دور حاتم رشيد في عمارة يعقوبيان، حيث يجسد حالة مناقضة تماما لحالة الزعيم وملهم الأمة التي قدمها مع القوادري.

يكشف خالد أن هذا التناقض كان أحد أسباب قبوله للدور، لأنه منذ بدايته كان اختياره الأهم ألا يحصر نفسه في نوعية معينة من الأدوار. ولهذا تمرد لاحقا على دور ضابط الشرطة حينما رأى أن المخرجين يحصرونه فيه بعد نجاحه في تقديم الدور بشكل لافت في فيلم الجزيرة عام 2007.

لهذا قدم شخصية الطبيب المريض النفسي في "الفيل الأزرق"، وشخصية الجراح المشهور الذي يعاني من صعوبات في مسلسل "خاتم سليمان"، ورجل أعمال انتهازي في "على كف عفريت"، ثم الشاب الفقير والصعلوك في مسلسل "الصعلوك"، وكلها أدوار غير نمطية نجح من خلالها في التعبير عن جانب جديد من مواهبه الفنية في كل دور منها.

خارج السرب

في اللحظة التي سبقت موافقة الصاوي على سيناريو الفيلم وأداء دور حاتم رشيد، دارت تفاصيل كثيرة برأسه. كان في ذلك الوقت في عام 2003 على بداية الطريق نحو النجومية والانتشار، ويحتاج للظهور في عمل جماهيري كبير مثل "عمارة يعقوبيان" من تأليف الكاتب الكبير علاء الأسواني، يشارك فيه أبرز نجوم السينما المصرية مثل يسرا ونور الشريف وعادل إمام وغيرهم، خاصة أن نور وإمام هما من رشحاه لأداء هذا الدور.

لكن في المقابل، تمثلت أمامه مجموعة من المخاطر بعضها فني مثل خشيته من أن يسجن في هذا القالب. وهو الذي يعرف أن النجمين المرموقين رشحاه للدور بعدما شاهداه يؤدي دورا مشابها في مسرحية الكاتب السوري سعدالله ونوس "طقوس الإشارات والتحولات"، ما قد يحكم على مستقبله الفني بالتموضع داخل إطار أدوار المثليين.

خشيته زادت بعدما علم باعتذار نجوم كبار عن الدور، من نوعية محمود حميدة وفاروق الفيشاوي. وتضاعفت عندما قرأ تصريحات قديمة للفنان يوسف شعبان قال فيها إنه ندم على أداء دور المثلي في فيلم "حمام الملاطيلي" الذي ظل لسنوات طويلة ممنوعا من العرض العام.

يحكي الصاوي لـ"العرب" عن تلك الفترة التي سبقت موافقته على الدور فيقول "شعرت بالخوف من تقديم الدور، خاصة أن كل أصدقائي أجمعوا على ضرورة رفضه، خوفا من رد فعل الجمهور والنقاد، وما حسم أمري بالموافقة في النهاية قناعتي بأن جزءا من التزامي كممثل لفت انتباه الناس للشخصيات الموجودة في الحياة، ورأيت أن دور حازم رشيد ليس بعيدا عن هذا الالتزام، لأننا لا يجب علينا كفنانين أو حتى كرأي عام أن نقيّم الشخصية بالمعايير الأخلاقية فقط، لأن ذلك يحدّ من اكتشافنا لها، وفي نفس الوقت لن يلغي وجودها من المجتمع .

فقد بقي موضوع المثلية محرّما في الأدب والفن لعقود طويلة خشية من المبدعين العرب، على مواجهة ثقافات مجتمعاتهم، وهو منطق شبيه جدا بما تعامل به المجتمع الغربي قديما مع شخصية "أحدب نوتردام"، رغم أن بشاعة شكله ليست من صنعه.

في السينما اقتصرت أدوار الشواذ على الظهور في هوامش الأفلام التجارية التي بدأت في الظهور في سبعينات القرن الماضي، لإرضاء طبقة صاعدة من الحرفيين ورجال أعمال فترة الانفتاح، لإكمال تقديم خلطة السخرية السوداء التي ترضي أذواق الزبائن الجدد، فظهرت نماذج لشخصيات من هذا النوع في عدد محدود من الأفلام لعل أبرزها "خمسة باب" و"الإرهاب والكباب".

بقية التفاصيل يرويها خالد بنفسه فيقول "من يتأمل شخصية حاتم رشيد يجد فيها ازدواجية غريبة تجعله يقترب من الانتحار عدة مرات، فهو يعيش في محنة، ويحتاج لمن يساعده، وليس لمن يحكم عليه، فهو ثمرة زواج غير مستقر بين والد مصري أستاذ في القانون الدولي يدعى حسن رشيد وامرأة كانت تعمل في بار، حيث كان الأب دائم الغياب عن المنزل، والأم مشغولة بحياتها الاجتماعية وتنقلها بين البارات".

يضيف الصاوي "البعض رأى في شخصية حاتم تعبيرا عن فشل مشروع تغريب المجتمع المصري، ونموذجا لما يمكن أن ينتجه هذا المشروع من أفراد منحرفين أخلاقيا أو جنسيا، مستندين على وقائع متفرقة لا رابط بينها مثل عبدة الشيطان وغيرهم. لكن قراءتي الشخصية للدور دفعتني للتركيز على إبراز التناقض في شخصية رجل ناجح ومعروف يعيش عالمين مختلفين تماما. فهو في عالمه السري رجل مسجون داخل مشاعره، يتردد على بارات رخيصة في وسط البلد بالقاهرة لاصطياد الشباب منها، بينما هو في عالمه المعلن صحافي مشهور ورئيس تحرير صحيفة أجنبية مرموقة".

الحقيقة أن أداء خالد الصاوي في "عمارة يعقوبيان" يقترب في عبقريته من أداء الممثل الأميركي الشهير توم هانكس عندما جسّد شخصية مشابهة في فيلم "فيلادلفيا".

وفاجأ خالد الصاوي الجميع بقدرته الكبيرة على تجسيد الشخصية ليستحق بعد عرض الفيلم أن ينال جوائز عديدة، وباتت نقطة تحوّل مهمة في مشواره الفني.

موهبته متعددة التفاصيل في التمثيل والإخراج والتأليف مكّنته من ابتكار ملامح كثيرة لشخصية حاتم رشيد، لإقناع الجمهور بحالته دون أن يقع في فخ التصريح المباشر عن ذلك، فكان المشاهد يستطيع تلمّس انحرافه في طريقة سيره، وجلابيته وحركات يديه.

تقمص صعب فنيا لكنه أكثر صعوبة في الواقع، لا سيما في التعامل مع تبعات الدور في الوسط المحيط به بعيدا عن الفن، مرحلة صعبة كما تحدث عنها الصاوي قائلا "بعد عرض الفيلم وجدت نفسي لفترة أتجنّب الظهور في الأماكن العامة التي اعتدت التواجد فيها أو زيارتها من وقت إلى آخر، خاصة أنني أعتز بكوني ناشطا سياسيا ولي مواقف وأنشطة منذ أيام الجامعة. لم يكن اختفائي عن الظهور العام مدبّرا أو مطلوبا، وإنما كان فقط تصرفا لا شعوريا ربما نتج من إدراكي لحساسية الدور الذي قدمته".

ويضيف الصاوي ضاحكا "ظللت فترة بعد ذلك أتعامل مع الناس في الشارع وفي المنازل المجاورة لي بجفاء غير مبرر، ربما لأنزع من أذهانهم شبهة أنني مثل حاتم رشيد، خاصة أنني في ذلك الوقت لم أكن متزوّجا لانشغالي بالفن. لكن في ما بعد تطور القلق من مجرد الإحساس بالحرج المجتمعي إلى محاولة بعض الإعلاميين المرضى معايرتي بالدور، لتجريدي من حقي في معارضة الحكم التي كنت أحد نشطائها البارزين قبل ثورة يناير 2011، من خلال عضويتي في العديد من الحركات اليسارية".

وقد دفعه هذا الإحساس للخروج عن شعوره خلال استضافته في أحد البرامج الحوارية، عندما تلقى سؤالا حول إذا كانت هناك أمور مشتركة بيني وشخصية حاتم رشيد، فلم يدر بنفسه إلا وهو يرد بانفعال شديد على الهواء بأن أيّ شخص (هيقل أدبه) ويقول له "عمارة يعقوبيان" سيقدم فيه بلاغات في النيابة العامة، ولو واجهه وجها لوجه سيضربه بالكرسي وأيتّم عياله (أي يقتله ما يجعل أولاده أيتاما).

مشاكس قديم

القدرات الشخصية والثقافية التي يحتاجها فنان ما ليقدم على مغامرة بمثل هذا الحجم، مدركا أن ما يقدمه هو جزء من التزامه تجاه فنه ومجتمعه، كان خالد الصاوي محظوظا بامتلاك الكثير منها منذ سنوات شبابه.

فقد درس في كلية الحقوق قبل أن يلتحق بالمعهد العالي للسينما في نهاية ثمانينات القرن الماضي، وشارك في النشاط الجامعي العام بشكل دائم وتقلّب بين أكثر من تيار يساري داخل الجامعة، وعاصر في تلك الفترة واحدة من أكثر المراحل حساسية بين تعنت الدولة ورفضها قيام الطلاب بأنشطة سياسية أو عرض قضايا سياسية على مسرح الجامعة، وبين ازدهار طلاب الجماعات الدينية المتشددة التي تمثل المتنفس الوحيد للمعارضين للحكومة، لكنها في المقابل تحارب الفن وتراه حراما.

شارك في العديد من الأنشطة السياسية أغلبها ضد النظام المصري، سواء بالمشاركة في مظاهرات شعبية عدة ضد التدخل الأميركي في العراق عام 2003، أو مظاهرات دعم الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية، ثم مظاهرة التضامن مع لبنان ضد العدوان الإسرائيلي.

> مغامرة خالد الصاوي أكثر خطورة من مغامرات كل من سبقوه، لأن الدور الذي جسده ذات يوم لم يكن يمثل فقط نمطا مكروها اجتماعيا، مثل الجاسوس أو اللص، لكنه اصطدام بثقافة الكتمان التي تتحكم في عقلية المجتمعات

وهو على عكس أغلب الفنانين لا يخفي مواقفه السياسية، ما جعله أول فنان مصري يشارك في حركة كفاية للتغيير التي تأسست عقب الانتخابات الرئاسية المصرية عام 2005، لمطالبة الرئيس مبارك وقتها بعدم الاستمرار في الرئاسة، وعدم ترشيح نجله جمال للمنصب. لكن مشاغبات الصاوي كلفته خسارة بعض جماهيره في الفترة الأخيرة، خاصة بعد موقفه من الشرطة المصرية عقب أزمة القبض على زميلته الفنانة ميريهان حسين، وقوله بأنه سيقف على الحياد مستقبلا في معارك الداخلية مع الإرهاب، وهو ما أدّى لحملة جماهيرية ضده طالبت بمقاطعة أعماله، قبل أن يعود الفنان ويكتب اعتذارا عمّا قاله في حق الشرطة.

الطريف أن مشاكسات الصاوي لم تقتصر على الفن والسياسة فقط وإنما امتدت لتطال صحته أيضا، حيث أعلن قبل فترة في جرأة يحسد عليها مرضه بالتهاب الكبد الوبائي (فيروس سي) الذي أصيب به قبل حوالي 10 سنوات، ثم شفي منه.

ولا يزال الصاوي قابضا على مواقفه السياسية، ومؤيدا للحريات إلى أقصى مدى، وداعما حقيقيا للفن بمعناه الشامل والمسؤول حيال قضايا مجتمعه.

● حاتم رشيد في عمارة يعقوبيان الدور الإشكالي

● الصاوي بدور جمال عبدالناصر مع المخرج أنور قوادري

● الدور الأهم في الحياة "الصاوي المشاغب"

لبناني اخترق باريس عن طريق الفن

أسادور
رسام حياة صنعها بألغازه البصرية

فاروق يوسف

لندن - أما كان عليّ التوقف على النظر إليه باعتباره عالم حفريات أخطأ طريقه إلى الرسم؟ قبل عشرين سنة كانت تلك الفكرة قد تمكنت منّي بقوة. يومها رأيت في أحد أسواق بيروت للأشياء التقليدية والمستعملة واحدة من أعماله في الحفر الطباعي. لم يكن هناك ما يظهر على السطح واضحا. غير أن اللوحة نفسها تأسر من يراها، لا لغموضها فحسب بل وأيضا لكثافة القوة التعبيرية التي تنطوي عليها. ما كان عليّ أن أقرأ توقيعه لأنطق باسمه.

رسام الطلاسم المعاصرة

بالنسبة إليّ فإن أسادور هو الوحيد من بين رسامي العالم العربي الذي بإمكانه أن يصنع طلاسم معاصرة، تسحر العين بإبهامها. طلاسمه تلك هي مزيج من مرئياته التي تحضر على هيئة حطام لا يمكن إعادته إلى أصلٍ بعينه.

> عقدته من التعليم الجاهز تقوده إلى أن يتعلم النظر بطريقة هامشية لا تقدم الرفيع على المبتذل ولا المقدس على المدنس، بل تمارس نوعا من الإنصاف في التعامل مع مفردات خزانة بصرية، عابرة للأزمنة

ربما قادته عقدته من التعليم الجاهز إلى أن يتعلم النظر بطريقة هامشية لا تقدم الرفيع على المبتذل ولا المقدس على المدنس، بل تمارس نوعا من الإنصاف في التعامل مع مفردات خزانة بصرية، عابرة للأزمنة.

في سنّ مبكرة من حياته لم يقنعه التعليم المعلّب فغادر المدرسة لمتابعة دروس في اللغة والرسم في المعهد الإيطالي ببيروت وهو ما فتح له أبواب الدراسة في إيطاليا. أما حين نال منحة لبنانية لدراسة الفن في معهد الفنون الجميلة بباريس فإنه لم يكن مقتنعا بأنه قد وجد ضالته، لذلك تحرر من الدراسة الأكاديمية ليلج بنفسه المجاهيل التي انطوت عليها مغامرة الفن في تلك المدينة العريقة.

أسادور الأرمني الباحث عن جذوره في اللامكان، هو الذي عرف كيف يرسم خريطة لتيهه في مكان لا تتسع له الجغرافيا هو الرسم.

اليوم تستعيده بيروت في معرض شامل بعنوان "منظر متحرك".

ربما هي محاولة لإعادة اكتشاف رسام، كان الاطلاع على تجربته الفنية محصورا بين نخب المهتمين بالفنون التشكيلية في لبنان حصرا، فأسادور يكاد يكون مجهولا في العالم العربي.

موهبة في قلب العالمية

ولد أسادور في بيروت عام 1943. تعلّم الرسم على يد بول غيراغوسيان وغوفدير وجان خليفة في المعهد الثقافي الايطالي وهو ما أهله لنيل منحة لدراسة الفن في بروجيا (أكاديمية بيترو فانوتشي) بإيطاليا، حيث قضى هناك ثلاث سنوات ليقيم بعدها معرضه الشخصي الأول في بيروت عام 1964 وهو المعرض الذي لفت إليه الأنظار، ودفع النقاد إلى الثناء على موهبته الاستثنائية.

كان ذلك المعرض كما يعتقد البعض سببا لحصول أسادور على منحة لبنانية لدراسة الفن في باريس. المدينة التي ما إن وطئت قدماه دروبها حتى قرّر أن تكون مدينته النهائية. وهو ما جعله مستعدا نفسيا وثقافيا لأن يندسّ في الأوساط الفنية الفرنسية بطريقة تليق بموهبته، فكان عضوا في لجنة صالون "دو مي دو باريس بين عامي 1974 و1977 وفي "لاجون غرافور كونتمبورين" بين عامي 1975 و1979 وعضوا في الـ "بانترـ غرافور فرنسيه" منذ العام 1975.

ما يختلف به أسادور عن سواه من فناني العالم العربي المقيمين في الغرب أنه لم يتلق تربية عقائدية في أصول وقواعد الهوية الفنية. لذلك كان يسيرا عليه أن يكون جزءا من الظاهرة الفنية التي هي محيطه الحيوي. لقد انفتح الفنان على المدارس الفنية الحديثة التي كانت تضع تجاربها المهمة بين يديه كما أنه اختبر حريته في التنقل بخفة بين الموضوعات، فمزج المنظر الطبيعي بنتاج التقنيات الحديثة في محاولة منه لمزج الأساليب الفنية التي تعلّمها، بعضها بالبعض الآخر، فكانت لوحته فضاء تمتزج فيه التكعيبة بالتجريدية بالتعبيرية، في ابتهال عفوي لا يغفل الثناء على الطبيعة.

كان أسادور هو وارث مدرسة باريس التي شهدت عزها نهاية أربعينات القرن الماضي.

يصنع حياته مسحورا بفُتاتها

كما يفعل سواه من الرسامين ينظر أسادور إلى الأشياء من حوله ويسعى إلى الاستيلاء عليها، لكن ما يميّزه عن سواه أنه لا ينقل الأشياء التي يراها إلى سطح لوحته إلا بعد أن يفككها، بحثا عن شيء ضائع. شيء يكمن فيه سر سعادته وسبب هدأته.

وإذا ما كنت قد شبهته بعالم الحفريات فلأنه يقوم بما يشبه ما يفعله عالم الآثار وهو يحفر بأناة وحذر في الأرض بحثا عن قطعة ناقصة، يشكل ظهورها سببا لإعادة رواية حكاية تاريخية بطريقة مختلفة. الرسم بالنسبة إلى أسادور هو فعل اختراق لذلك الحاجز الخفي الذي يفصل المرئيات عن جذورها.

غير أن ذلك البحث في طبقات الشيء لا يعني أن الرسام لا يتمتع بلحظة اكتشاف الأشياء من حوله. متعته التأمّلية تكشف عنها الوجوه والمناظر الطبيعية والأجساد وسواها من المواد الخام التي تتشكل منها عجينة أشكاله.

لوحة أسادور بهذا المعنى هي فضاء يُعاد فيه بناء الأشكال التي تم تفكيكها من قبل بعد أن شكّل وجودها مصدر إثارة بصرية، دفعت بالرسام إلى أن يفتتها بحثا عمّا يمكن أن أسميه بـ "لحظة الافتتان الأولى" وهي اللحظة التي لم تكرّس بعد المرئيات فيها معانيها المتاحة.

يقع الرسم بالنسبة إلى أسادور في عالم ما قبل المعنى. هناك لعبة جمالية تأسر العين، غير أنها لا تسلّمها إلى فراغ. ذلك لأن تجربة أسادور ظلت بعيدة عن التجريد البارد. هناك توتر لا تخطئ العين التقاطه. وهناك علاقات انسجام تدعو إلى الحيرة، ذلك لأن عناصرها تنتمي إلى عوالم متضادة.

ولو لم يكن بناء اللوحة التقني المستعار من تربية صلبة على الحفر الطباعي لما كان في إمكان أسادور أن يحافظ على تماسك أعماله ولذهبت مفردات نشيده، كل واحدة منها في اتجاه مختلف.

يصنع أسادور من حيوات متصارعة حياة تذكر بحياته.

التائه الذي عثر على نفسه

حين غادر أسادور بلاده أواسط ستينات القرن الماضي إلى باريس لم يحمل معه أوهاما كبيرة عن منجزه الشخصي أو تجارب فناني لبنان المحدثين في مجال إقامة فن له طابع محلي. ولهذا أتيحت له الفرصة لكي يتعرف على الحداثة الفنية في منابعها الأصلية من غير أن يقف بينه وبينها حاجز.

كان بحثه عن هويته إنسانا وفنانا هو الأساس الوحيد الذي دفعه إلى أن ينهل من تلك الينابيع بحرية رجل ينتمي بكل قوته وبإرادة صافية إلى العالم الذي يحيط به. وهو ما يسّر عليه الانتماء إلى المشهد الفني الفرنسي. في وقت قياسي صار أسادور جزءا من الظاهرة الفنية في مدينة يعد اختراق مشهدها الفني فعلا صعبا. بدليل أن مئات من الفنانين العرب الذين أقاموا زمنا طويلا في عاصمة النور فشلوا في أن ينالوا جزءا صغيرا من الشهرة التي نالها أسادور في الأوساط الفرنسية.

ولا أبالغ إذا ما قلت إن أسادور تفوّق في ذلك المجال على سلفه شفيق عبود الذي نجح هو الآخر بعد إقامته الطويلة في باريس أن يخترق فضاء الحداثة الفنية الفرنسية بأعماله المدهشة ليكون فنانا فرنسيا.

ربما يكمن السر في ذلك أن أسادور تعلّم الحداثة الفنية بطريقة صحيحة. كما أن تيهه الأرمني قد وضعه أمام سؤال هوية من نوع مختلف. وهو ما دفعه إلى أن يرث كل الأساليب الفنية بدءا من عصر النهضة وصولا إلى عصرنا الراهن. فكانت النتيجة أن نجح في أن يتصالح مع ذاته المعذّبة والقلقة من خلال أسلوب فني حديث لم يسبقه إليه أحد.

> لوحة أسادور فضاء يعاد فيه بناء الأشكال التي تم تفكيكها من قبل بعد أن شكل وجودها مصدر إثارة بصرية، دفعت بالرسام إلى أن يفتتها بحثا عما يمكن أن أسميه بـ«لحظة الافتتان الأولى» وهي اللحظة التي لم تكرس بعد المرئيات فيها معانيها المتاحة

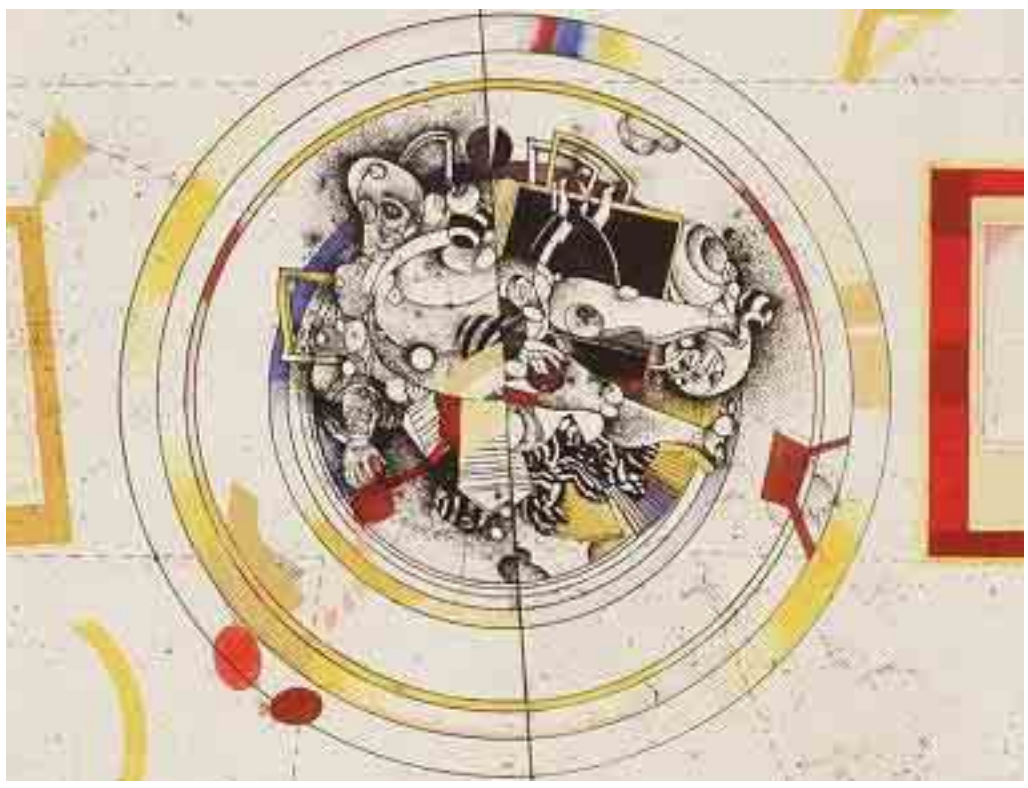

مواطنات لا ذميّات

النساء العربيات ومسألة المواطنة

حميد زناز
كاتب من الجزائر

❏ مهما طال الحديث واشتد الجدل حول وضعية المرأة العربية ووجوب إصلاح القوانين التي تُشرعِن الظلم المسلّط عليها، فلا نخرج بشيء ما دام المشرّع العربي مقيدا بأحكام ما يسمى "شريعة إسلامية". في مجتمع ذكوري يحتقر الأنوثة، من المفروض أن يكون القانون حاميا للمرأة ورادعا للمستهتر وأداة لتطوير الذهنيات وليس تكريسا للدونية واللامساواة كما هو حال قانون الأسرة في كل أقطار الوطن العربي ما عدا تونس، وإن لم تحصل التونسية على المساواة الكاملة بعد.

تكفي إطلالة سريعة على الوثائق للوقوف على الظلم القانوني المسلّط على النساء العربيات. يجعل منهن هذا التشريع المعتل مواطنات من الدرجة الثانية. وعموما ودون لفّ ولا دوران لا حديث جديّ عن حرية المرأة إن لم تستبعد فكرة القوامة نهائيا أو على الأقل إعادة النظر في مضمونها. فلا يمكن بحال من الأحوال ترك قدر المرأة معلّقا بين أيدي الفقهاء.

وحتى وإن اختلفت الأمصار والمصائر، فإننا نجد نفس الإشكاليات بحكم الاشتراك في التراث الثقافي عموما والديني منه على وجه الخصوص. ولكن لكل بلد خصوصيته، فلا مجال للمقارنة مثلا بين تونس -التي تجاوزت القوامة وتعدد الزوجات وغير ذلك من العادات الموروثة- وبعض البلدان العربية الأخرى التي يتساهل فيها القانون مع المجرمين الذين يقتلون النساء بدعوى الدفاع عن شرف العائلة وهو ما يعرف بـ"جريمة الشرف".

في الحقيقة الأطروحة الأصولية هي الغالبة اليوم في البلدان العربية وذلك تماشيا مع صعود المد الإسلاموي في هذه البلدان. ومن البداهة أنه كلما تأسلم المجتمع ضيّق على المرأة ومنع الاختلاط وانتهى بتأثيم النساء ليسهل حبسهن في المنازل.

ومع التنازل تلو الآخر للأصوليين في الجزائر على سبيل المثال وإشراك بعضهم في إدارة الدولة، ترسّخت السلوكيات البطريركية في المجتمع، بل أصبحت هي القانون السائد. وفي غياب أيّ مشروع مجتمع مدني في البلد يمرح ويسرح الإسلاميون ويعملون كل ما في وسعهم لحرمان النساء من العمل لمنعهن من الاستحواذ على مساحة من الفضاء الاجتماعي، خوفا من أن يؤدي ذلك إلى إعادة نظر في مشروع المجتمع القروسطي الذي يعدّونه للجزائريين في السرّ والعلانية.

كثيرا ما تتهم التنظيمات النسوية العربية بولائها للغرب بل حتى بأنها من صنعه، من أجل تشويهها وتحريف مطالبها الشرعية. ولكن فحتى وإن كان الأمر كذلك فأين المشكلة؟

لا تطالب الناشطات الجزائريات مثلا إلا بحدّ أدنى من الحريات ولا أظن أنهن يطالبن بالحبّ الحر على طريقة سيمون دي بوفوار وإنما يدافعن عن المساواة في الحقوق والواجبات وإلغاء المواد المهينة والظالمة من قانون الأسرة الجزائري، بمعنى تنقيته من مخلفات الماضي. وهو حال كل المناضلات النسويات العربيات..

في مجال حقوق الإنسان والحريات لم يعد هناك مجال للحديث عن المحلّي والخارجي لأنّ الأمور قد باتت كونية، فالرجم مثلا عملية مشينة تنبغي إدانتها ومنعها بكل الطرق في كل مكان لأنها لا تليق بالبشر بغض النظر عن أساسها الديني أو الثقافي. القضية ليست قضية رموز أو تاريخ أو تغريب إذ كل ذلك مجرد تفاصيل ثانوية يهدف من خلالها البعض إلى تعويم المسألة وتهميش السؤال النقدي. السؤال المشروع هو: هل نحن مستعدون للاعتراف بالمساواة الحقيقية بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات حتى وإن كان ذلك لا يتماشى مع الفهم الضيق للبعض للكثير من تقاليدنا المتعلقة بالمرأة؟

على ضوء الإجابة عن هذا السؤال يظهر المستور وتكشف الأصولية المقنعة عن وجهها.

وحتى وإن سلّمنا مع المناهضين لتحرّر المرأة المحافظين بـ"سطحية هذا الخطاب النسوي وشعاريته"، فذاك ليس مهما ما دام يطرح مسألة إنسانية نبيلة ويدافع عن قضية عادلة. ما ينبغي التنديد به هو المعاملة الهمجية التي تتعرض لها النساء في الشارع العربي إذ لا أظن أن هناك عبر العالم شارع تهان فيه المرأة وتتعرّض للتحرش مثل الشارع العربي. وقد وصل الأمر في الجزائر إلى درجة الابتذال والعنف والبربرية مما اضطر الحكومة الجزائرية إلى اقتراح قانون زاجر ضد المتحرشين سرعان ما قاومه الإسلاميون من داخل وخارج البرلمان! وقد صرّح نواب تحت قبة البرلمان أن تبرّج النساء هو سبب التحرش بهنّ! مما دفع بمنظمة العفو الدولية للتدخل في بيان نشرته يوم 5 مارس 2015 عبرت فيه عن استيائها مما جاء في كلامهم.

وفي مطلق الأحوال، لا أظن أن تجد مسألة حقوق المرأة في العالم العربي حلاً بمعزل عن قضية المواطنة، فلا حرية لامرأة ولا لرجل دون مواطنة حقيقية ولا مواطنة حقيقية دون علمانية صريحة.

* تخطيط: ساي سرحان

هل الرواية الجزائرية تصلح للقراءة؟

سعيد خطيبي
كاتب من الجزائر

❏ قبل أسابيع، خرج نقاد، من كهوفهم، للصّراخ عالياً، وللتعبير عن استيائهم، في مواقع التّواصل الاجتماعي، مرّة أخرى، عن قوائم التّرشيحات في جائزة «البوكر» العربية، وذهب البعض إلى الادعاء أن الأمر «مقصود»، وانضم إليهم روائيون لتبرير «تغييبهم»، بالبحث عن علل ترتبط -بحسب رأيهم- بمنطق «إقليمي» يحكم توجّهات القائمين على الجائزة نفسها، لكن السّؤال الأهمّ، الذي لم يُطرح، بشكل واضح، هل الرّواية الجزائرية، المكتوبة بالعربية، تستحق أولاً أن تُقرأ، قبل أن تفكر في مزاحمة روايات عربية أخرى؟

كُرة «النّقاش» ظلّت تدور بين طرفين، لا ثالث لهما، بين نقّاد وروائيين، نقّاد جلّهم من خريجي جامعة جزائرية مستبعدة من التصنيفات العالمية، وتحتل المراتب الدّنيا في تصنيف الجامعات العربية، وروائيون في غالبيتهم بلا رصيد، ونسينا العودة إلى عنصر ثالث مهمّ، ومُساءلة رأيه، وهو القارئ!

من المتّفق عليه أن الجزائر سوق جيّدة للرواية، ونقصد هنا أنها سوق للرواية المكتوبة بالفرنسية، لـ«البست سيلر» الأجنبية، لأسماء مثل باولو كويلو أو دان براون، لروايات قادمة من المشرق، والاسم المحلي الوحيد، الذي يكتب بالعربية، واستطاع منافستهم هو أحلام مستغانمي، عدا ذلك، فمبيعات أهمّ الروايات، لا تتجاوز بضع مئات من النّسخ، في بلد يُحصي قرابة 40 مليون نسمة، ونسبة الأميّة فيه لا تتجاوز 15 بالمئة.

الرّوائي الجزائري غير قادر على التّصالح مع القارئ المحلي، فلماذا يفكر في مكان له تحت شمس التّشريفات؟ ومن جهته، النّاقد، القابع في أروقة جامعة عاجزة عن تقديم بديل للمجتمع، غير قادر على متابعة ما يصدر من روايات، ولا مناقشتها بهدوء، ثم يغضب، فجأة، في مواقع التّواصل الاجتماعي، كلّما لاحظ الوضع الذي آلت إليه الرّواية في البلد. تاريخياً، لم تمثّل الرّواية الجزائرية، المكتوبة بالعربية، استثناءً في ثقافة البلد، ولم تلعب دوراً خارج الإطار «الكتابي»، على عكس التّاريخ النضالي والملتزم الذي قامت به نظيرتها، المكتوبة بالفرنسية، كما لم تعرف هذه الرّواية، لحظة تأسيسها (لمَ تأخّر ظهور أوّل رواية إلى عام 1971)، كُتّاباً «كباراً»، بالمفهومين النّقدي أو التّجاري للكلمة، فالمؤسسان عبدالحميد بن هدوقة والطّاهر وطار، كان لهما السّبق التّاريخي لا أكثر، كما أن الأسماء التي تكرّست، في السّنوات الأخيرة، بقيت تدور في حلقات ثانوية، تنافس على جوائز أدبية، من الدّرجة الثّانية، إن صحّ التّعبير، بينما الأسماء الأهمّ، والأكثر نضجاً ظلّت، في الدّاخل، تعاني تهميشاً مزدوجاً.

منذ سنتين، ارتفع عدد الرّوايات بالعربية، الصّادرة في الجزائر، بشكل ملحوظ، فالعام الماضي، بلغ الرقم ستين رواية، وهو رقم مهمّ، ومن الممكن أن يرتفع أكثر، بفضل التّحفيزات المعروضة، كتنظيم جائزتين موجهّتين للرواية، «جائزة علي معاشي» و«جائزة آسيا جبّار»، رغم أنّ الجائزة الأولى ما تزال تُدار من كتّاب الجيل القديم، وتعتمد قراءات أيديولوجية للنّصوص، والثّانية وُلدت ولادة قيصرية، بشكل لا يرقى لاسم الكاتبة التي تحمل اسمها، فإن دور النّشر المحلية تصرّ على التّرشح لهما، بإصدار روايات، سنوياً، مستفيدة من الدّعم الحكومي السّخيّ لها.

> الروائي الجزائري غير قادر على التصالح مع القارئ المحلي، فلماذا يفكر في مكان له تحت شمس التشريفات؟ ومن جهته، الناقد، القابع في أروقة جامعة عاجزة عن تقديم بديل للمجتمع، غير قادر على متابعة ما يصدر من روايات، ولا مناقشتها بهدوء، ثم يغضب، فجأة، في مواقع التواصل الاجتماعي

ضمن هذا المشهد المتذبذب للرواية الجزائرية، في الدّاخل، صادف القارئ، في السنتين الماضيتين، عددًا من الروايات، التي روّج لها في الإعلام، كتبت بلغة محلية لا يكاد يفهمها قارئ من مصر أو سوريا أو لبنان، وأحياناً لا يفهمها قارئ من منطقة جزائرية تختلف عن منطقة الكاتب نفسه، هكذا وقعت الرواية الجزائرية، المكتوبة بالعربية، في نرجسية الكاتب، وفي عدم اتضاح الرؤية لديه، من دون الحديث عن المطبوعات التي تصدر ولا تمتّ بصلة لجنس الرواية، لكنها تحمل هذا التّوصيف على غلافها.

إن إعادة مُساءلة النّتاج الرّوائي المحلي، في الجزائر، أمر ضروري، ووضعه أمام نقد واع شرط أساسي، قبل التّفكير في «شيطنة» أيّ طرف، أو التّحامل على جهة بعينها، أمام هذا التغييب المستمر للرواية الجزائرية من أيّ محفل إقليمي أو دولي.

* تخطيط: ساي سرحان

معايير عربية

عواد علي
كاتب من العراق مقيم في عمان

❏ في المجتمعات المتقدمة لا تُطلق صفة المفكر إلا على الشخص المؤهل بجدارة لحمل هذه الصفة، وهو، بشكل عام، ذلك الشخص المنتج للفكر، بصرف النظر عن تخصصه، الذي يتحلّى بالمعرفة الواسعة والحكمة والرؤية النقدية العميقة، وبُعد النظر، والقدرة العقلية المنهجية على التحليل والاستنتاج وتفهم المشكلات والأزمات واقتراح الحلول لها، والمرتبة العالية في صوغ المفاهيم والمقولات والمشاريع الثقافية والحضارية وإبداع الطروحات الجديدة، وغيرها من الميزات التي تجعله في طليعة المثقفين، أو من نخبة النخبة. وفي الانطباع العام يُعدّ المفكر أعلى درجة وأرفع رتبة من المثقف، وأقل درجة وأنزل رتبة من الفيلسوف، وبحسب هذا الانطباع الشائع فإن المفكر يقع في منزلة وسطى بين المثقف والفيلسوف، منزلة تخطت مرحلة المثقف، ولم تصل بعد إلى مرحلة الفيلسوف، لكنها تقع على هذا الطريق. الأمر الذي يعني أن المفكر لا يكون مفكرا إلا بعد أن يتخطى وضعية المثقف، والفيلسوف لا يكون فيلسوفا إلا بعد أن يتخطى وضعية المفكر. وسواء سلّمنا بهذا الانطباع أم لا، فإن ثمة مشتركات معرفية وإجرائية كثيرة تجمع بين الفيلسوف والمفكر، منها الوعي المتّقد وإنتاج الأفكار والرؤية النقدية واستخدام الأدلة والبراهين بكفاءة عالية.

يشترط بعضهم على المفكر أن يتصف بحبه الشديد للمعرفة والاحتفاء بالجديد والشعور بالمسؤولية والاستقلالية عن قيود الانتماء الحزبي والعرقي والديني والمذهبي، وأن يكون نسيجا لوحده، دائم التعرف على ما لديه، وكلما رأى جديدا ينسجم مع رؤيته أخذ به، وتخلى عن بعض أفكاره القديمة. ولذلك فإن عدد المفكرين، بالمعنى الذي حددناه، يكون محدودا، ولهم مكانتهم المرموقة بوصفهم رموزا وضمائر حساسة لشعوبهم وأوطانهم وللإنسانية. وإذا كان المفكر قديما، أو المتشوّف للتحصيل "يأخذ من كل علم بطرف"، في سياق تداخل العلوم والمعارف الإنسانية والطبيعية، فقد أصبح في العصر الحديث متخصصا، منهجيا، في حقل واحد أو اثنين أو ثلاثة، وصار يوصف بأنه مفكر سياسي أو مفكر اجتماعي أو مفكر اقتصادي أو مفكر أنثروبولوجي.. إلخ.

غالبا ما يعرف العالم المفكرين أكثر من الزعماء السياسيين الذين حكموا بلدانهم في عصورهم، فإن سألت اليوم أيّ إنسان متعلم تعليما بسيطا عن مفكّري وفلاسفة اليونان القديمة لذكر لك أسماء سقراط وأفلاطون وأرسطو، أو عن المفكرين والفلاسفة العرب القدامى لذكرك لك أسماء ابن رشد وابن خلدون وأبي حيان التوحيدي. ولو سألت متعلما على قدر جيد من الثقافة عن مفكرين وفلاسفة معاصرين لذكر لك أسماء مثل نيتشه وماركس وسارتر وماركوز وطاغور ومحمد إقبال وبردياييف ومالك بن نبي وغيرهم، أما لو سألت كليهما عن أسماء الزعماء السياسيين المعاصرين لهؤلاء المفكرين في بلدانهم لعجزا عن ذكر اسمين أو ثلاثة أسماء. ويصح هذا الأمر طبعاً على كبار الأدباء والفنانين أيضاً وليس المفكرين فقط لأنهم من صفوة شعوبهم وبلدانهم.

في عالمنا العربي اليوم صار بعض الإعلاميين وأنصاف المثقفين المنافقين والمرتزقة يطلق صفة المفكر على رهط من كتّاب المقالات أو مؤلفي الكتب، غثّها وسمينها، أو على كل من يحمل شهادة عليا، مثلما يمنح لقب "محلل سياسي" أو "خبير استراتيجي" في الفضائيات على كل من هبّ ودبّ ممن يجيدون "الردح الإعلامي"، أو ممن اعتادوا على إبداء آرائهم حول الأحداث السياسية التي تجري في العالم! والمصيبة أن هؤلاء الذين يوهَبون لقب مفكرين، عن جهل أو مصلحة، يوهمون أنفسهم بأنهم أصبحوا بالفعل مفكرين، وتهتز أنفسهم طربا لهذه الهبة، فيحاولون التطفل على المفكرين الحقيقيين أو مناطحتهم دون دراية.

ورود حمراء لأجل جورج طرابيشي

كتابات عنه وشهادة بقلمه

لم يكن مثقفا عاديا هذا الرجل الذي حمل اسم جورج طرابيشي، والذي غادر عالمنا قبل أيام في باريس منفاه الاختياري، وكان، بلا شك، يتابع في السنوات الخمس المنصرمة حريق وطنه سوريا بنار الاستبداد والغزو الخارجي. كان الرجل بكل المقاييس مثقفا شاميا استثنائيا.

أمضى بالتغيير وكافح لأكثر من نصف قرن بالقلم والدواة، تاركا وراءه أكثر من مائتي كتاب، بين كتاب موضوع وآخر مترجما. وهو الناقد الذي برحيله خسرت الحياة النقدية العربية مجادلا مشاكسا ومثقفا نقديا حارب الافكار الظلامية والأوهام الفكرية وطالب المفكرين والمثقفين بأن يتسلحوا بوعي نقديا يهادن النكوص الظلامي ولا يستسلم للسلط المستبدة بالبشر والتي جعلتهم سياساتها القمعية قطيعا بلا إرادة. لا يهادن النكوص الظلامي ولا يستسلم للسلط المستبدة بالبشر والتي جعلتهم سياساتها القمعية قطيعا بلا إرادة.

أمن بالترجمة بوصفها وسيلة للتعرف على تجارب إنسانية وثقافات مختلفة، وعتبة لتخليص المجتمعات من جمودها التاريخي، وجسرا للانتقال بها من القوقعة الشرقية إلى فضاء الحياة الحديثة والتفكير الحديث والرؤى الحديثة، التي انتجتها البشرية في أطوارها الجديدة مع الصعود الأوروبي حيث صارت العقلانية بديلا من التطرف، ومجتمع المواطنة بديلا من مجتمع رعايا السلطان، والفرد المبدع بديلا من الفرد الخانع التابع الخامل.

واحدة من أواخر اللقطات للمفكر الراحل

موهبة متألقة وإنسان كبير

المثقف المتوجس من الربيع

فواز طرابلسي
كاتب من لبنان

وردة حمراء لجورج طرابيشي الذي توفي يوم الأربعاء في منفاه الباريسي عن حياة حافلة بالنضال والإنتاج تاليفا ومقالات وترجمات.

تعرّفت إلى جورج في دمشق بواسطة الصديق ياسين الحافظ منتصف الستينات، زمن يسار حزب البعث. ثم زاملته في "دار الطليعة" ومجلة "دراسات عربية" للصديق الناشر بشير الداعوق. تابعته من الوجودية فالماركسية إلى الفرويدية والعقلانية. انفصلنا عندما غادر لبنان خلال الحرب لنعود فنلتقي في المنفى الباريسي وقد باشر جورج إعادة قراءة الإسلام في سجاله النقدي الثري مع محمد عابد الجابري، مع أني خالفته في نزعته الثقافوية التي استقرّ عليها أخيرًا.

فاتحته في مايو 2015 لإجراء مقابلة لمجلة "بدايات" عن تطوره الفكري والوضع في سوريا. ردّ معتذرًا عن عدم الكتابة وأرسل إليّ رسالة كان قد بعثها إلى صديق مشترك يبشر فيها ما أسماه "المارق الشال الذي أنا فيه بحكم الماساة التي يشهدها بلدي". وأنشر نص الرسالة أدناه.

اختار ابن حلب المنكوبة والمقاومة التمرّد الصمت. وغادر بصمت. والصمت هو احتجاجه المدوّي على الماساة التي يعيشها شعبه وبلده.

لشريكة حياته الكاتبة هنريت عبودي عبودي"، وأنجبت منها أوّل طفلة عمرها ستة أو سنتان، لم أعد أذكر. وكنت وأنا بالسّجن لا أفكر إلا بهذه الزوجة وبهذه البنت التي تركتها معها. ولست أدري كيف جاء حديث الشرف الجنسي الذي يقضي بوجوب قتل المرأة إذا أقامت علاقة جنسية غير مشروعة سواء كانت مسيحية أو مسلمة، وفي هذه الحال تقتل، والأفضل أن تذبح ذبحًا من قبل أخيها استردادًا للشرف المهان. ومن كلمة إلى كلمة قادنا النّقاش إلى ما يلي. قلت لهم: أنا أرفض مبدأ جريمة الشرف من أساسه، وهذا موقف لا أستطيع احتماله إطلاقًا من قبل إنسان يزعم نفسه تقدميًا أو اشتراكيًا أو يعتبًا. عندئذ هبّ واحد منهم غاضبًا وقال: أنت متزوج؟ قلت: نعم. قال: شو عندك؟ قلت له: عندي بنت. قال: صغيرة طبعًا؟ قلت: نعم. قال: الآن إذا كبرت -بنتي اسمها مَيّ- إذا كبرت هذه البنيّة وغلطت مع شابّ أفلا تذبحها؟؟ قلت له: أنا أذبح مايا بنتي إذا رأيتها تقبّل شابًا؛ فقال: كيف؟ أما تذبحها ؟ قلت له: يا رفيق أجنحتك!! أذبح مايا؟ قال: أنت ما عندك شرف! أنت لست عربيًا ولا تستاهل أن تكون عربيًا ولا بعتيًا! وأخذ هؤلاء الرّفاق المعتقلون معي قرارًا بمقاطعتي وبعدم الكلام معي لأنّي لا أستحق شرف أن أكون عربيًا أو بعتيًا ولو كنت معارضًا مثلهم للتيار الحاكم. ونتيجة لهذه المقاطعة ولما تلاها من عدائية نحوي قدّمت طلبًا إلى إدارة السجن بنقلي إلى غرفة منفردة، أي شبه زنزانة، بدلًا من أن أبقى مع رفاق يقاطعونني ويحتقرونني.

من يومها أيضًا تعلمت درسًا جديدًا وهو أنّ القضيّة ليست فقط قضية مسلمين وغير مسلمين، ومسيحيين وغير مسيحيين، من حيث الوعي الاجتماعي حتّى ولو كانوا ينتمون إلى أيديولوجيا واحدة. فالقضية أعمق من ذلك بكثير. قضية بنى عقليّة في المقام الأول. ففي داخل المخّ البشري تتواجد طبقتان: طبقة فوقية سطحية يمكن أن تكون سياسية، تقدمية، اشتراكية، وجدويّة، وطبقة بنيوية تحتيّة داخل هذا المخّ رجعيّة حتّى الموت، سواء كان حاملها مسيحيا أو مسلما. ومنذ ذلك اليوم توطد لديّ الاقتناع بان الموقف من المرأة في مجتمعاتنا يحدد الموقف من العالم بأسره. ومنذ ذلك اليوم أيضا ترسخ لديّ الاقتناع أكثر من أيّ يوم سبق بوجوب انضال بواسطة الكلمة من أجل تغيير العقليات، تغيير البنية الداخلية للعقل، وليس فقط البنية السطحية السياسية أو الأيديولوجية.

المحطة الرابعة: مرحلة فرويد

من حياتي، وبعد مرحلة القومية العربية والبعثية واليسارية والماركسية، جاء دور فرويد. وقصّتي مع فرويد بدأت بواقعة لا تخلو من طرافة. فبعد أن تزوّجت وصار عندي بنتان كنت، كلما جلست إلى المائدة لأكل الطعام، أمسك برغيف الخبز-عندنا في سوريا الخبز العربي، وهو غير دارج في معظم البلدان العربية الأخرى- فلا أجد نفسي إلا وأنا أقطعه من أطرافه لا شعوريًا وزوجتي وابنتيّ قاعدتان أمامي على المائدة تاكلان، وكنت لا أستطيع منع نفسي من تفتيت الخبز حتى عندما يكون معنا على المائدة ضيف.

كانت زوجتي تقول لي بلهجتها الحلبية: عيب يا جورج، النّاس بشوفوا، وبناتك بتعلموا بالعادة، وحتى عندما يكون عندنا ضيوف على المائدة يرونك تفتّت الخبز قدّامهم هكذا! وكنت أقول لها: معك حقّ، ولكن كل مرّة أنسى نفسي وأعود إلى تمزيق الرغيف دون قصد ولا انتباه مني. وهكذا إلى أن صادف ذات مرة أن قرأت مقالا -لا أعتقد أنّه كان لفرويد وإنما لأحد تلاميذه- يحكي عن هذه الظاهرة النّفسية ويعتبرها عرضًا عصابيًا بصفتها فعل تمزيق لا إرادي ولا شعوري لاب.

وأنا عندما قرأت هذا المقال أصبت برجفة: فأنا إذن أمزّق أبي! وبالفعل كنت على صدام في مرحلة معيّنة مع أبي. ومنذ أن قرأت ذلك المقال انفتحت على التحليل النفسي، وعكفت على قراءة فرويد ثم شرعت أترجم له. ووجدتني أتصالح مع أبي-وكانت قد مضت سنوات على وفاته- وأصفي حسابي مع نفسي تجاه أبي واستعيد نسبة كبيرة من الهدوء النفسي وأنظر إلى الحياة نظرة جديدة إلى حدّ ما. ولقد ترجمت لفرويد نحوًا من ثلاثين كتابًا، ولكني بطبيعة الحال لم أترجمها عن لغتها الأصلية الألمانية، بل عن اللغة الفرنسية. وأنتم تعلمون المثل الإيطالي الذي يقول "المترجم خائن" (Traduttore, traditore). وأنا إذ كنت أترجم عن لغة عن لغة فهي خيانة مزدوجة، ولكن كان هذا خيارًا لا بدّ منه لأنّه لا يوجد في الثقافة العربية، التي تهيمن عليها نتيجة الاستعمار السابق اللغتان الفرنسية والإنكليزية، من يتقن الترجمة عن الألمانية سوى قلة قليلة للغاية.

وأنا في رحلة نهاية عمر، وبعد عقود ستة من صحبة القلم الذي اثرته -عدا زوجتي وبناتي- على كل صحبة أخرى، أجدني أتوقف أو أعود إلى التوقف عند ستّ محطات في حياتي كان لها دور حاسم في أن أكتب كل ما كتبته وفي تحديد الاتجاه الذي كتبت فيه ما كتبته وحتى ما ترجمته.

ست محطات في حياتي

آخر ما كتب المفكر الراحل جورج طرابيشي

سمعت هذا التحذير الحسابي فاصابتني رعدة، -فقد فهمته بكل أبعاده إذ كنت في حينه تلميذًا متفوّقًا- وخرجت من المدرسة وسرت في الطريق وأنا أطاطئ راسي. ذلك أن المدرسة كانت تقع في حيّ عتيق جدًا وكئيب، تفوح منه روائح الأماكن المغلقة. وعلى بعد حوالي 200 متر كنا نخرج من الدرب الضيق والمقفل عليه ليلا بباب حديدي إلى شارع عريض ومفتوح تطالعنا منه، أول ما تطالعنا، بناية حديثة نسبيًا تقطن في الطابق الثاني منها اسرة إيطالية، لها ثلاث بنات جميلات جدًا، وغالبًا ما نجدهن جالسات في "الفيرندا" ومرئيات للناظر من الشارع في إطلالة اسرة. وما إن نظرت إليهن عصرئذ حتى اسرعت أخفض نظري وأغمض عيني. لماذا؟ هنا لا بدّ أن أعود إلى المسيحية التي ولدت فيها وعَدَدني أهلي عليها. ففي المسيحيّة يقال إن الخطيئة مثلثة: خطيئة بالعمل وخطيئة بالقول وخطيئة بالفكر. وحتى هذه الخطيئة الأخيرة قد تكون خطيئة مميتة، وعقابها جهنم إلا أبي آبد الأبدين حسب اللاهوت المسيحي إذا كان مدارها على الجنس نظرًا إلى الوصية التي تقول: لا تشته امرأة غيرك، والحال أن كل امرأة هي امرأة للغير ما لم تكن زوجة شرعية. ومن ثم، إن الشهوة الجنسية تغدو بحد ذاتها مسبّبة لخطيئة مميتة ولا يغفرها الله للإنسان ولا ينجيه من عذابات جهنم ما لم يعترف بها للكاهن.

وكان الكاهن يركز على خطيئة الفكر هذه في درس التعليم الديني لعلمه أن مدار تفكير الصبيان في طور المراهقة هو على الجنس. وعلى هذا النحو توزّعت نفسي وأنا أخرج من دير المرسية الضيق إلى الشارع المفتوح على فيرانداالصبايا الإيطاليات الثلاث بين الرغبة في النظر وبين الخوف من العذاب الأبدي في نار جهنم على ذلك النحو المرعب كما صوّره لنا الكاهن من خلال مثال الطائر والكرة الحديدية الأكبر من الأرض بملايين المرة. وهكذا لم أكتف بإغماض عينيّ، بل رحت أمشي في الطريق إلى البيت وأنا أحاول أن أطرد من فكري صورة الإيطاليات الثلاث وكلي خوف من أن تتشاء المصادفة أن يسقط فوق راسي من إحدى الشرفات أصيص زهر من الأصص التي كان من عادة سكان بلدتي حلب أن يزيّنوا بها شرفاتهم قاموا وأنا في حالة خطيئة مميتة.

ووصلت إلى البيت وأنا في شبه هذيان واصابتني حمّى حقيقية وبقيت يومين طريح الفراش، ثم لمّا أفقت كان ردّ فعلي الوحيد أنني قلت بيني وبين نفسي: لا، إن الله ذاك الذي حدثني عنه الكاهن لا يمكن أن يوجد ولا يمكن أن يكون ظالمًا إلى هذا الحدّ. ومن ذلك اليوم كففت عن أن أكون مسيحيًا.

المحطة الثانية: التعليم والدين

التي حدّدت اتجاهي النهائي في الحياة، عدا قصّة خروجي من المسيحيّة، كانت عند انتقالي في المرحلة الثانويّة إلى مدرسة رسميّة تابعة للدولة. كان ذلك على ما أذكر عام 1955. وقد كان ذلك بعد سقوط حاكم سوريا الدكتاتور والجنرال العسكري أديب الشيشكلي. وكان تحالف حزب البعث والحزب الشيوعي والإخوان المسلمين هو من أسقطه. فلمّا تفاوضوا فيما بينهم، سئل الإخوان المسلمون: ماذا تريدون؟ أي وزارة؟ فقالوا: نحن لا نريد وزارة، نحن لنا مطلب واحد وهو إدخال التعليم الديني إلى المدارس الثانوية. التعليم الديني كان مباحًا بل واجبًا في المدارس الابتدائية والإعداديّة ولكن ليس في الثانوية. في الثانوية كنّا ندرس علوم الأخلاق والتربية الوطنيّة وليس هناك تعليم ديني. وعلى هذا النحو تقرّر إدخال التعليم الديني إلى المدارس الثانوية، وأنا ذهبت في تلك السنة إلى المدرسة الثانوية.

ويومئذ، لمّا قيل لي هناك حصّة تدريس تعليم ديني، قلت لرفاقي، وكنت قد بدأت أميل إلى أن أصير حزبيًا اشتراكيًا من "حزب البعث": أريد أن أحضر درس التعليم الديني لأني أريد أن أطّلع أكثر، فأنا كنت في مدرسة لم أتلقّ فيها سوى التعليم المسيحي، ولكني أريد الآن أن أعلم المزيد عن الإسلام الذي هو دين الغالبية السورية. حضرتُ الدرس. شيخ طويل القامة بعمّة. أذكر إلى الآن لون جلبابه الرمادي الأنيق. وكان قد كتب على اللوح بالطبشور سلفًا "كل من هو ليس بمسلم فهو عدوّ للإسلام". كان هذا موضوع الدّرس. وبدأ يشرح ويشرح ورفاقي ينظرون إليّ، كل واحد منهم رمقًا، ليدركوا ردّ فعلي. ومضى نصف وقت الحصة وأنا أسمع الدرس. ثم قال الشيخ المدرّس: الآن أفتح باب النقاش. فسارعت أرفع يدي، فقال: تفضل، ما اسمك؟ فقلت وأنا أشدّد عليّ اسمي: "جورج طرابيشي"، وجورج اسم لا يطلق في سوريا إلا على المسيحيين. فوجئ هذا الشيخ وانبثقت حبات عرق على جبينه. وتابعت قائلًا: يا أستاذ، أنا لست مسلمًا، أنا مسيحي بالمولد، فهل أنا عدوّ لك؟

قال: أعوذ بالله-، من قال هذا الكلام؟ كيف تقول ذلك؟

قلت له: يا أستاذ منذ أكثر من ثلاثين دقيقة وأنت تقول: كل من ليس بمسلم فهو عدوّ للإسلام، فهل أنا عدوّ لك؟ فطفق الرّجل يتدارك خطاه، ويقول: لا، لا، فالمسيحيون أهل كتاب. وطبعًا كان السؤال الذي دار في نفسي: لماذا لم يتدارك ويستثنِ من البداية؟ وحتى لو لم أسأله فهل يكون كل من هو ليس بمسلم عدوًا للإسلام؟ وقد كان ينبغي عليّ أن أضيف السؤال: حتّى وإن لم أكن من أهل الكتاب فهل أنا عدوّ لك؟ ولكني أمسكت.

ابتداء من تلك اللّحظة وعيتُ أن مهمّة كبيرة جدًا لا تزال تنتظرنا في مجتمعاتنا وأن القضية ليست قضية تغيير سياسة ولا وزارة، بل هي أولًا وربما أخيرًا قضية تغيير على صعيد العقليات. وشاءت الصدفة فيما بعد، لمّا صرت أدرّس في الثانوية بدوري، ويوم افتتاح الموسم الدراسي، أن أفاجأ بوجود نفس الشيخ في قاعة الأساتذة ليكون مدرس التعليم الديني أيضًا في نفس الثانوية التي عُيّنت فيها مدرّسًا للغة العربية. قام عن كرسيه للحال وهجم نحوي وعانقني قائلًا: عذرًا يا أستاذ ، خطيئة ارتكبتها في حياتي لن أكررها أبدًا.

المحطة الثالثة: سياسي معارض

في حياتي تمثلت بحادثة مماثلة، ولكن هذه المرة مع رفاق حزبيين مسيحيين. كانت حادثة لها عمق تغييري كبير في نفسي وفي وعيي إذ كانت سببًا أساسيًا في تحوّلي إلى كاتب لأني شعرت أن الكتابة هي الشارع المفتوح الوحيد التي يمتطاعي أن أسلكها لكي أغيّر العقليّة في المجتمع. والتفاصيل كما يلي: دخلت السّجن كمعارض سياسي في نظام حزب البعث. كنت انتميت إلى حزب البعث قبل استلامه السلطة، ثم استقلت من الحزب بعد سنة من استلامه الحكم لخلافات سياسية وايديولوجية ليس المجال هنا للدخول في تفاصيلها.

وبعد أن استقلت وصرت معارضًا دخلت السّجن. في السّجن كان هناك عدد من البعثيين المعتقلين وإن كانوا ينتمون إلى تيار يميني غير التيار الحاكم وغير التيار اليساري الذي انتمي إليه أنا بعد أن نشأت الحزب إلى تكتلات، وكان معظم هؤلاء من جبل حوران في سوريا الذي كان قسم كبير من سكانه من المسيحيين من أيام الغساسنة ومنْ وُرّثتهم. وفي السّجن كان معي خمسة أو ستة من هؤلاء المسيحيين البعثيين في غرفة جماعية واحدة تضم عشرات المعتقلين. يمكن أن يكون ظالمًا إلى هذا الحدّ. ومن ذلك

> القضية ليست فقط قضية مسلمين وغير مسلمين، ومسيحيين وغير مسيحيين، من حيث الوعي الاجتماعي حتى ولو كانوا ينتمون إلى أيديولوجيا واحدة. فالقضية أعمق من ذلك بكثير. قضية بنى عقلية في المقام الأول

مآثر جورج طرابيشي

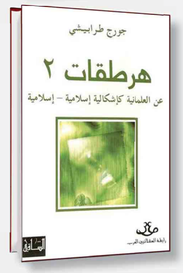

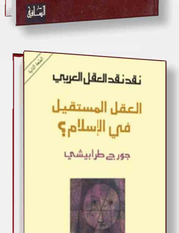

جورج العقل النهضوي غير المستقيل

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

غياب جورج طرابيشي المثقف السوري العلاّمة التنويري والنهضوي البارز الذي رحل عن زهاء مائتي كتاب جاء متزامنا مع غياب طائم من أعلام الثقافة السورية المعاصرة خلال الأسابيع الأخيرة، بدءا من الرسام البارع نذير نبعة وليس انتهاء بالمخرج السينمائي المبدع نبيل المالح.

لا شك أن وفاة جورج طرابيشي المثقف الكبير والمتمرس بأكثر من نظام معرفي والمفكر الموسوعي الذي بدا مترجما لروائع الأدب الفرنسي قبل أن ينتقل إلى نقد الرواية العربية المعاصرة بنزوع فرويدي لا يخلو من غلو هنا وغلواء هناك. ومن هذا الموقع الانتقادي وفي طفرة براعة بدا مهمة الحفر في دراسة التراث العربي الإسلامي، وفحصه بعقلانية مسؤولة بعيدة عن الموارية.

مشروع جورج طرابيشي النقدي للتراث، بلغ ذروته في نقده لأعمال محمد عابد الجابري في "نقد العقل العربي"، وهو المشروع الذي استغرق إنجازه زهاء عقدين من الزمن. فقد تمكن بتحقيق تاريخي بارع، من تفنيد الفكرة المركزية التي اعتمدها الجابري ومفادها أن الفلسفة العربية الإسلامية والفكر العربي استمرّا في المغرب العربي بعد ابن رشد، وانتهيا في المشرق العربي مع أبي حامد الغزّالي. واعتمد هذا التفنيد على اكتشاف مرجعية الجابري المستمدة من أعمال المستشرق الفرنسي ريمان الذي كان مصدر هذه الفكرة ومروّجها، وبالتالي البرهنة على أن بحث الفيلسوف المغربي هو بمعنى من المعاني إعادة إنتاج أنيقة وبارعة الأداء. وفي كتاب طرابيشي "العصابة كإشكالية إسلامية إسلامية" الصادر في عام 2008 استبصار نقدي، بل نبوءة لافتة لا توضح بصدورها قبل نشوب الثورة السورية أن ما يحدث الآن من صدام مذهبي ليس صداما بين الإسلام والمسيحية، وإنما هو صدام داخلي، صدام يحاط بغلاف أيديولوجي في داخل الإسلام نفسه.

وفي تقديري أن حصيلة هذا الاستبصار النقدي تكمن في رأي طرابيشي من أن نبوغ النهضة العربية "مرهون بتحرير العقل عموما وبتحقيق ثورة لإهوتيه خصوصا من خلال عملية نقد جذرية للتراث". كما أن قوله في كتابه "المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي" أنه "إذا كانت الثورات تنتهي بأكل أبنائها فإن الظلامية تبدأ به. فهي لا تطيق وجود متنوّرين حتى في صفوف دعاتها". هذا القول الذي يعود بتاريخه إلى عام 1991، ربما كان يجسد جوهر ما وصلت إليه الماساة السورية في وجه من وجوهها في الوقت الراهن.

والحال أن الفقيد الذي كان قد أسس لهذا الموقع الفكري في اختياراته المبكرة والملافتة للنظر فحسب، لكنني ختمها نتيجة طبيعية لأنّ ما طرحه يمسّ تكوينه الثقافي والمعاني، فحاولت البحث، على الرغم من أن العيش في جنوب الكرة الأرضية يخلق صعوبات جمة للحصول على كتب عربية، ولكن الإصرار لا بدّ له أن يجدك شرحًا في العزلة التي كنت أعيشها، وحين وصول "نقد نقد العقل العربي، نظرية العقل" شعرت وكأني وضعت يدي على كنز معرفي، وكان الكتاب مغريا لقراءة مشروع طرابيشي، الذي وضع يدي على أجوبة أسئلة طالما أرّقتني.

لا أظنني أعجبت بكتاب هو رأس على كتاب آخر، مثلما أعجبت بمشروع جورج طرابيشي في ردّه على مشروع محمد عابد الجابري، فهذا الكتاب لم يلعمني قراءة الأخير جيدًا بلا خداع وبلا انبهار، بل تعلمت أن القراءة فنّ صعب للغاية، وأن كثيرًا من الكُتّاب يخدعون حتى أساتذتهم ومشرفي أطروحاتهم، ونقّاد منجزهم، وإن القراءة الصحيحة، تبرز الخيانة التي مارسها ويمارسها كثير من المثقفين، بينما هم أبطال في المخيّلة الشعبية، ومن رموز النخب المثقفة الملتزمة بقيم وأخلاقيات عالية، كثيرًا ما تبجّحوا بها.

جورج طرابيشي، المسيحي الذي فكّك المنظومة الإسلامية، بوعي ومسؤولية مثقف، يؤمن أن الهوية العربية الإسلامية، هويته الكبرى، وأن مصير هذه الأمة وهذه الثقافة، تهمه، وتشغله وتؤرقه، وأن الالتزام الحقيقي، في نقدها وتفكيكها ودراستها وتحليلها، وتعرية ما أصابها من وهن وخرافة، واجب الجميع ومسؤوليتهم مهما كانت مرجعيّاتهم العقائدية والإثنية والقومية؛ حتى إن شعورًا تملّكني وأنا أقرأ "نقد نقد العقل العربي" بأن هذا المسيحي، له غيرة على دينه أكثر من الغالبية العظمى من العرب، أكثر من معظم مسلميه، على الرغم من اعتراف الراحل الكبير بأنه خرج من المسيحية، وهذا نادرًا ما نلمسه عند من وجدوا أنفسهم ضمن هويات صُغرى.

الكتب الجيدة حقًا هي التي تدفعك إلى تخوم جديدة من المعرفة والأسئلة، وتغريك بالبحث والتأمل، وهو ما وجدت نفسي عليه وأنا أقرأ مشروع جورج طرابيشي، فقرأت عن الفلاحة النبطية لابن وحشية السرياني السوراني (سوران، شمال شرق العراق)، وازداد يقيني بمَدَنيّة اللغة الفرقة النّاجية، مما يخضع الجميع تحت مشرط التفكيك والنقد والتحليل، لوضع اليد على مواطن الخراب فينا، لأن الإيمان بحقّ ما لفئة ما، هو تكريس لثقافة الفرقة الناجية، فدولة المواطنة، لا أقليات ولا اكثريات، ولا "سكان أصليون" ولا "سكان طارئون" أو "وافدون" أو "غرّاة" أو "فاتحون" فيها.

برحيل جورج طرابيشي، خسرت العقلانية العربية، علمًا من أعلامها، ومثقفًا كرّس حياته للمعرفة، واثرى المكتبة العربية بترجماته لا سيما مؤلفات فرويد، وأن مشروعه النقدي لا يقل أهمية عن مشروعه في الترجمة، وهنا لا أعني موسوعته "نقد نقد العقل العربي" فقط بل بقية كتبه مثل "هرطقات 1 و2"، و"مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام" وغيرها.

وفكري ومؤرخي وكُتّاب اللغة اليونانية، وغالبيتهم بحسب المفكر جورج طرابيشي، ليسوا يونانيين، وإنما كتبوا باليونانية، ممّا يدعوا إلى طرح السؤال التالي: لماذا لا نطلق على حضارتنا "الحضارة العربية" بدلا من الحضارة العربية الإسلامية، والتي في التسمية الأخيرة غبن للمسيحيين والصابئة واليهود ممّن ساهموا مساهمة فعّالة في بنائها، لا سيما وأن التاريخ لم يذكر لنا من نُعت الحضارة اليونانية بالحضارة اليونانية المتوسّطية، وأغلب من ساهم في تدوين منجزها الكتابي ليسوا من اليونانيين بل من أبناء ضفّتي البوانتين المتوسط"

جورج طرابيشي، أحد الذين نبهتني كتاباتهم، إلى خطورة ما تناقله المستشرقون والرحّالة والمبشّرون، وإن ما دوّنوه يجب تأمله جيدًا، وكان قد ساهم في نقلي من الدفاع عن حقوق الأقليات، إلى الإيمان أن مشكلتنا، ليست في أكثرية أو أقلية، وإنما في أنساق معرفية وحوامل اجتماعية مبنية على ثقافة الفرقة النّاجية، مما يخضع الجميع تحت مشرط التفكيك والنقد والتحليل، لوضع اليد على مواطن الخراب فينا، لأن الإيمان بحقّ ما لفئة ما، هو تكريس لثقافة الفرقة الناجية، فدولة المواطنة، لا أقليات ولا اكثريات، ولا "سكان أصليون" ولا "سكان طارئون" أو "وافدون" أو "غرّاة" أو "فاتحون" فيها.

برحيل جورج طرابيشي، خسرت العقلانية العربية، علمًا من أعلامها، ومثقفًا كرّس حياته للمعرفة، واثرى المكتبة العربية بترجماته لا سيما مؤلفات فرويد، وأن مشروعه النقدي لا يقل أهمية عن مشروعه في الترجمة، وهنا لا أعني موسوعته "نقد نقد العقل العربي" فقط بل بقية كتبه مثل "هرطقات 1 و2"، و"مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام" وغيرها.

معلم آخر يترجل

باسم فرات
كاتب من العراق

في مدينتي، كنت طفلاً وربما في بداية مراهقتي، حين كانت رفوف مكتبة "الدار الوطنية" تتصدّرها ترجمات جورج طرابيشي، لا سيما فرويد، هكذا عرفته مترجمًا أوّلًا أكثر منه ناقدًا ومفكرًا، ولكن قراءتي لمشروع محمد عابد الجابري "نقد العقل العربي" والتي أخبرني صديقي السودانيّ الذي أعارني الجزء الأول "تكوين العقل العربي" أنّ "من يقرأه لا يعود بعد أن يقراه كما كان قبل أن يقرأه". لم أكن أعلم أنها تعود إلى جورج طرابيشي، التي كتبها ضمن مقالته الاحتفائية بالكتاب.

ترك الجابري في سؤالًا، وعدم قناعة، في بعض طروحاته، لكنني ختمها نتيجة طبيعية لأنّ ما طرحه يمسّ تكويني الثقافي والمعاني، فحاولت البحث، على الرغم من أن العيش في جنوب الكرة الأرضية يخلق صعوبات جمة للحصول على كتب عربية، ولكن الإصرار لا بدّ له أن يجدك شرحًا في العزلة التي كنت أعيشها، وحين وصول "نقد نقد العقل العربي، نظرية العقل" شعرت وكأني وضعت يدي على كنز معرفي، وكان الكتاب مغريا لقراءة مشروع طرابيشي، الذي وضع يدي على أجوبة أسئلة طالما أرّقتني.

لا أظنني أعجبت بكتاب هو رأس على كتاب آخر، مثلما أعجبت بمشروع جورج طرابيشي في ردّه على مشروع محمد عابد الجابري، فهذا الكتاب لم يلعمني قراءة الأخير جيدًا بلا خداع وبلا انبهار، بل تعلمت أن القراءة فنّ صعب للغاية، وأن كثيرًا من الكُتّاب يخدعون حتى أساتذتهم ومشرفي أطروحاتهم، ونقّاد منجزهم، وإن القراءة الصحيحة، تبرز الخيانة التي مارسها ويمارسها كثير من المثقفين، بينما هم أبطال في المخيّلة الشعبية، ومن رموز النخب المثقفة الملتزمة بقيم وأخلاقيات عالية، كثيرًا ما تبجّحوا بها.

جورج طرابيشي، المسيحي الذي فكّك المنظومة الإسلامية، بوعي ومسؤولية مثقف، يؤمن أن الهوية العربية الإسلامية، هويته الكبرى، وأن مصير هذه الأمة وهذه الثقافة، تهمه، وتشغله وتؤرقه، وأن الالتزام الحقيقي، في نقدها وتفكيكها ودراستها وتحليلها، وتعرية ما أصابها من وهن وخرافة، واجب الجميع ومسؤوليتهم مهما كانت مرجعيّاتهم العقائدية والإثنية والقومية؛ حتى إن شعورًا تملّكني وأنا أقرأ "نقد نقد العقل العربي" بأن هذا المسيحي، له غيرة على دينه أكثر من الغالبية العظمى من العرب، أكثر من معظم مسلميه، على الرغم من اعتراف الراحل الكبير بأنه خرج من المسيحية، وهذا نادرًا ما نلمسه عند من وجدوا أنفسهم ضمن هويات صُغرى.

الكتب الجيدة حقًا هي التي تدفعك إلى تخوم جديدة من المعرفة والأسئلة، وتغريك بالبحث والتأمل، وهو ما وجدت نفسي عليه وأنا أقرأ مشروع جورج طرابيشي، فقرأت عن الفلاحة النبطية لابن وحشية السرياني السوراني (سوران، شمال شرق العراق)، وازداد يقيني بمَدَنيّة اللغة الفرقة النّاجية، مما يخضع الجميع تحت مشرط التفكيك والنقد والتحليل، لوضع اليد على مواطن الخراب فينا، لأن الإيمان بحقّ ما لفئة ما، هو تكريس لثقافة الفرقة الناجية، فدولة المواطنة، لا أقليات ولا اكثريات، ولا "سكان أصليون" ولا "سكان طارئون" أو "وافدون" أو "غرّاة" أو "فاتحون" فيها.

برحيل جورج طرابيشي، خسرت العقلانية العربية، علمًا من أعلامها، ومثقفًا كرّس حياته للمعرفة، واثرى المكتبة العربية بترجماته لا سيما مؤلفات فرويد، وأن مشروعه النقدي لا يقل أهمية عن مشروعه في الترجمة، وهنا لا أعني موسوعته "نقد نقد العقل العربي" فقط بل بقية كتبه مثل "هرطقات 1 و2"، و"مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام" وغيرها.

«حماقة ماركيز» تستعيد العراقيين من دفاتر الموتى

الكتابة عن سكرات الموت والأمل بعودة الروح

فيصل عبدالحسن
كاتب من العراق

❏ تؤسس رواية "حماقة ماركيز"، للكاتب العراقي عواد علي، لمرجعية نصية تحتفي بالحب بدلا من الكراهية، وتتناول الأحداث التي مرّت على العراق خلال أربعة عقود عبر مجموعة أصوات سردية لنساء ورجال تناولوا الأحداث حسب وجهات نظرهم.

من البديهي أن الكاتب الذي يؤرخ لأحداث بعينها عليه أن يستمد محكياته من الواقع، وإذا ابتعد عن الواقع فإنه سيهيم في دنيا الخيال، ويصير الخيال لا الواقع مرجعية لنصه. ولكن ما حيلته عندما يتحول الواقع إلى أغرب من الخيال؟ وكيف يستطيع أن يسجل واقعا يقع في خانة اللامعقول بالمعقول؟ هنا عليه أن يستنجد بما أنتجته المدارس الأدبية في العالم لكتابته للتعبير عن الواقع اللاواقع.

الواقع العراقي الحالي، في جزء كبير منه، هو واقع أقرب إلى ما بعد الخيال، وربما ما نراه يومياً هو في أبسط صوره الخيالية، رجال يموتون وتقطع أوصالهم ثم نلمحهم من جديد يمارسون حياتهم في شخصيات أخرى، أما كيف عادوا للحياة، فهذا له ألف حكاية.

يقول بطل الرواية سلمان البدر "نبي الله العزير أماته الله وحماره مئة عام ثم أحياهما من جديد، ولو حدثت هذه المعجزة اليوم لما صدقها الناس" (ص 34). ويروي سائق سيارة أجرة تنقل جثة البدر إلى أهله، للجندي مراد المكلف بإيصال الجثة، لتمضية الوقت الرتيب أثناء قيادة السيارة من البصرة إلى أرابخا، يروي غرامياته مع الغجريات! (ص36).

العقيد شاهين، الذي تزوج نورهان، حبيبة البدر، يُقتل بتفجير إرهابي بعد العام 2003، وتقول نورهان التي شغفت بروايات ماركيز لأن حبيبها البدر، الذي اختفى أثناء الحرب، كان يحب ماركيز "زاد شغفي به رقة قلبه، فهو يرفض الموت لأبطاله، وإن اضطر لقتل أحدهم، فإنه يبكيهم كما لو كانوا أصدقاء" (ص 72).

حكايات الرواية واقعية ولا سبيل لدحضها، فهي جزء من واقع عراقي هلامي: رجال دين لصوص، مواطنون خونة، عملاء للمحتل يقفون في واجهة الصورة كمناضلين وثوار، وكل هذا جزء من صورة مكروسكوبية لواقع بانورامي يعيش على ما خلفته الحروب، والاحتلال، والانتفاضات، والتطهير العرقي والطائفي، والصراع على السلطة والمكاسب.

فعندما يستدعي الكاتب الواقعية السحرية كما كتبها كتّابها، ابتداء من كتّاب ألمانيا وأسبانيا وحتى كتاب أميركا اللاتينية كبورخس وأستورياس وجورج أمادو وماركيز وغيرهم، فهو سيجد أن تقنياتها من منولوج وتيار وعي ونص شعري، وتحريك الأشياء والأمكنة، وجميع المحافل السردية لا تستجيب لواقع العراق الجديد، الذي هو نتاج عقود من الدكتاتورية المتوحشة، والحروب والاحتلال والدمار الروحي والمادي للإنسان.

يقول الروائي في مراسلة خاصة معي عن روايته "لا تجسّد النهايات المأساوية للأبطال في ذهني انعدام الأمل بعراق جديد ينبثق من جراحه، بل تجسّد الموت الذي ابتلع مئات الآلاف من العراقيين في الحروب الكارثية التي خاضها العراق، وكذلك الاقتتال الداخلي على الهوية الطائفية بعد الاحتلال. لكن للقارئ الحق في أن يقرأ هذه النهايات بوصفها علامات تشير إلى انعدام الأمل بعراق جديد".

سلمان البدر، الشخصية الرئيسية في الرواية، مشروع كاتب، وأنموذج رمزي للمثقف الذي تغدو لديه الثقافة خيارا مصيريا، ومراد صديقه الذي يتقمص شخصيته، فيما بعد ويروي يومياته من أحلام تتكرر عليه. تبدأ الرواية بموت البدر على الساتر الأمامي أثناء معركة الفاو، خلال حرب الخليج الأولى، وتنتهي بعودته للحياة بعد إصابته بجروح خطيرة في مواجهة له مع الجنود الأميركيين بعد 2003، وإنقاذه من قبل نورهان التي تهبه حياتها بفعل أسطوري. يقول الكاتب عن ذلك "الموت الأسطوري للبطلة نورهان هرمزلي ليحيا من جديد سلمان البدر تأكيد على خصوبة الحياة، وانبعاثها في أسطورة تموز، لكن بالمقلوب، فالمرأة هنا هي المخلصة والمضحية وباعثة الحياة".

لكن كيف عاد سلمان للحياة ثانية ليقاتل من جديد الجنود الأميركيين في مكان (له أكثر من رمزية للعراقيين) فـ"كركوك – أرابخا" هو المكان المشترك لعيش جميع الطوائف والأديان والقوميات؟

لهذه العودة حكاية، وقد حصلت للآلاف من العراقيين، أي عودتهم للحياة بعد أن سُجّلوا أمواتاً في تلك الحرب، وسواها، ثم اتضح أنهم كانوا في الأسر، وبينهم من فقدوا عقولهم أو ذاكراتهم، وضاعوا بين الناس في مختلف المدن العراقية أو الإيرانية بعد أن أُطلق سراحهم من الأسر، عقب نهاية الحرب مباشرة، والبدر أحد هؤلاء الذين أُطلق سراحهم بعد ربع قرن من الأسر.

الإشكالية النصية للرواية تتسع، ويتسع أفق الاكتشاف فيها، وتصير أكثر تعقيدا بتعدد الأصوات الساردة فيها، كحبيبة البدر نورهان، مراد، صوفيا ابنة نورهان وفادي حبيبها، فرهاد الكردي، هاشم أخو سلمان، باهر الكناني، وألماس خالة نورهان، وهي ضحية لاقتتال الأحزاب في السبعينات، إذ يُعدم حبيبها الشيوعي في العام 1979 من قبل النظام الحاكم.

يقول الكاتب عن الإشكالية النصية في روايته "اخترت قلعة كركوك فضاءً لأحداث كثيرة في الرواية كونها من أبرز المعالم التاريخية للمدينة، وترتبط بهويتها السومرية رداً على محاولات بعض الأطراف إضفاء هوية إثنية مختلقة عليها بدوافع سياسية وشوفينية".

تاريخ مدينة كركوك كان حاضراً كمحفل سردي رئيسي في الرواية، وأسّس عمقا فكريا وروحيا لها، فحوادث التاريخ التي مرت على المدينة، وأضرحتها ومزاراتها وعادات أهلها، وما وقع على أهلها من ظلم الفرس للمسيحيين فيها في عهد يزدجرد الثاني، وبعدهم ما واجهه الناس طوال التاريخ من الطغاة، أحدهم كان الأمير الأعور، ومجيء الأميركيين بدباباتهم بعد ذلك. وبالرغم من أن الكاتب ركّز على قصة حب رومانسية قتلتها الحروب، فإنها قالت كل شيء عن حياة العراقيين خلال أربعة عقود جمعتهم مدينة كركوك.

رواية "حماقة ماركيز" لعوّاد علي تجربة إبداعية ثرية بلغتها الشعرية وحبكتها المتفردة، ومحافلها السردية المتعددة، وتدفق مشاعر أبطالها، خصوصا في مشهد لا يُنسى وهو يصف سكرات الموت في شدتها وغمراتها الذاهبة بالعقل، والحلم باسترجاع دفق الحياة لدى بطلته نورهان لحظة موتها "تقرير طبي: استنادا إلى إفادة اثنين من الممرضين في المستشفى الجمهوري بأرابخا، اقتحمت يوم الرابع عشر من شباط/ فبراير 2009 امرأة مختلة العقل تدعى 'نورهان كمال هرمزلي'، مخزن المواد السامة، وأخذت منه إحدى الزجاجات، وأفرغت المادة القاتلة في جوفها ظناً منها أنها عصير ليمون، وسرعان ما بدأ أثر السم يدبّ في جسدها، وأصبحت أطرافها واهنة كالقطن، وتكسّرت عظامها تحت جلدها، وقفز قلبها من صدرها إلى الأرض وأخذ يذوب كقطعة ثلج، ويتسرب في خيط رفيع إلى صالة العمليات.

وهناك حدث ما يعجز الطب والعلم عن تفسيره: نفذ سائل قلب المرأة إلى صدر جثة رجل مات توّا يدعى 'سلمان إبراهيم البدر'، كان قد أصيب في مواجهة مع قوات التحالف، فعادت إليه الحياة فورا، رغم أن الأطباء فشلوا في إنقاذه".

إنها رواية مشوّقة جداً في أحداثها وشخصيّاتها وأسلوبها وتقنياتها، وتُعدّ إحدى أهم الروايات التي تمثّلت سردياً لأربعة عقود من نضال العراقيين في الدفاع عن وطنهم، والحلم بتحقيق حياة سعيدة للناس، الذين عانوا طويلاً من وحشية الحروب وحماقات الحاكمين.

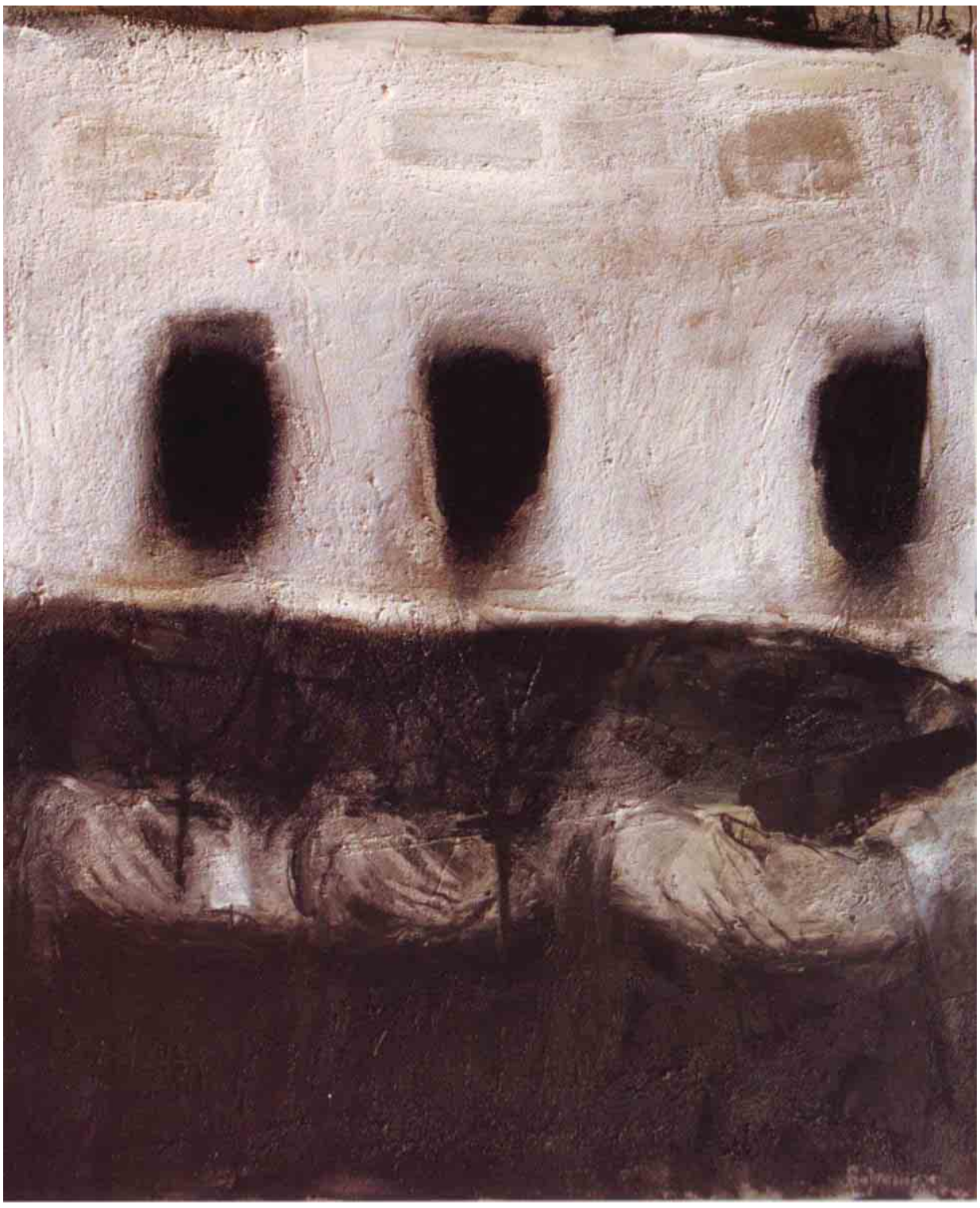

بطلة رواية عواد علي تعيد العراقيين من دفاتر الموتى

> رواية مشوقة جداً في أحداثها وشخصياتها وأسلوبها وتقنياتها، وتعد إحدى أهم الروايات التي تمثلت سردياً لأربعة عقود من نضال العراقيين في الدفاع عن وطنهم، والحلم بتحقيق حياة سعيدة للناس

رف الكتب

ما المرأة؟

❏ "ماذا تريد المرأة" كتاب جديد لعالم التحليل النفسي البلجيكي سيرج أندريه، يحاول من خلاله أن يجيب عن سؤال شغل التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان، وهو ما معنى أن "تكون امرأة"، وليس السؤال القديم "ماذا تريد المرأة" أيّ امرأة، ويلاحظ أن ثمة على مر التاريخ تأرجحا بين عبادة المرأة بوصفها كائنا غامضا وملغزا وكراهية هذه المرأة نفسها بوصفها زيفًا وخداعًا.

وهما موقفان ينمّان عن قلة دراية بالأنوثة، وإذا كان فرويد يؤكد أن الرجل لا يكف عن الحديث عما لا يستطيع قوله: الموت، الأب، المرأة، فإنه استطاع أن يصل، وكذلك لاكان من بعده، وكذا التحليل النفسي بعامة، إلى نتائج مغايرة، يحاول هذا الكتاب أن يفصّل القول فيها.

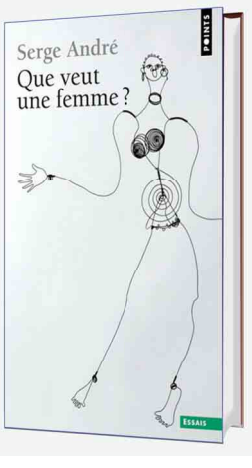

كتاب لفهم ما يجري في عالمنا اليوم

❏ "العلاقات الدولية والقضايا العالمية" عنوان كتاب جديد لفيليب مورو دوفارج، الدبلوماسي السابق ومدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية والأستاذ بمعهد العلوم السياسية بباريس، يقدم جملة من المفاتيح لفهم الانقلابات التي جدّت منذ مطلع الألفية كَشكل نظام اقتصادي عالمي بالفعل، انتقال أقطاب القوة الكبرى ببروز العمالقة الآسيويين، أزمات وصراعات ناجمة عن المطالبة بالديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، تحوّلات الحروب والعنف، البحث العصيّ عن أشكال حوكمة عامة، ليعالج القضايا التالية: ما النظام العالمي؟ لماذا يتغير؟ ما جدواه؟ كيف يمكن بناء السلم وضمانه؟ كيف تُدار الأزمات الاقتصادية الكونية؟ كل ذلك بطريقة بيداغوجية تتوقف عند شرح المفاهيم والمعطيات الأساسية وتقديم الحجج والطروحات.

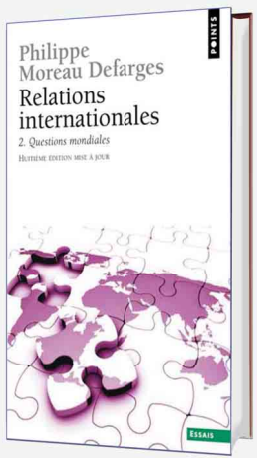

سياسة بوتين الخارجية على المحك

❏ صدر لجان روبير جواني أستاذ الحضارة ما بعد السوفييتية بمعهد العلوم السياسية كتاب هام لفهم السياسة الخارجية الروسية عنوانه "ماذا يريد بوتين؟" يبين فيه أن سياسة بوتين الخارجية تفسَّر خطأ بكونها تصدر عن نظام واثق من نفسه والحال أنها تعكس هشاشة روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وبالرغم من وعيها بهشاشتها تلك، تعجز عن تجاوز العُقد التي تسكنها. صحيح أن بوتين جعل روسيا على الصعيد الدولي رقما لا غنى عنه، ولكن عمّ يبحث بالضبط؟ إعادة مجد الإمبراطورية المنهارة؟ منافسة الحضارات الأخرى في تسيير العالم؟ ما هي نقاط الضعف التي يريد إخفاءها؟ كيف يمكن فكّ رموز أيديولوجيا سياسته الخارجية والمبادئ الموجهة لها؟ الإجابات عن تلك الأسئلة تقدم إضاءات عن موقف موسكو من الملفات الكبرى اليوم.

سؤال المحبة ووردة القلق

أزمة الشعور في رواية «جسد ضيق» لهويدا صالح

مختار سعيد شحاتة
كاتب من مصر

❏ تعودت أن أقرأ أيّ عمل يقع بين يديّ مرة أولى سريعة، وأخرى خالصة مدققة للتعلم أو الملاحظة. في المرة الأولى أخرج كل انفعالاتي بالعمل على هامش المطبوع بتأشيرات للتأمل فيها ومحاولة الحوار معها في قراءتي الأخرى. ربما أفعل ذلك في محاولة للوصول إلى درجة من الحياد حين أكون بصدد الكتابة عن ذلك العمل، فهل نحتاج في قراءاتنا إلى الانفعال أم الحياد؟ أعرف أن الأمر عندي بين بين، وتلك آفتي التي أجتهد -بحثيًا- للانفلات من براثنها.

يحمل عنوان هذه الرواية حتى بتصميمه وبنط الكتابة- ثمة تأويلات محتملة نحويًا وبلاغيًا، إذ تأتي كلمة "جسد" ببنط "البولد" الغامق للون "دم الغزال" فاللون تسميته هنا للتقريب- لنكتشف طوال القراءة أن الجسد يمكن أن يتحول إلى أزمة خاصة عكستها تفاصيل الأجساد -الشخوص- التي حكت عنها هويدا صالح وعن ضيقها المحتمل نفسيًا واجتماعيًا، بل وإنسانيًا في تأويل ما، عبر ذلك الضيق من المساحة المتاحة لهذه الأجساد، والتي ضغطتها بأزمات خارجة عن إرادتها، ودفعت بها نحو مزيد من الضيق يُضاف إلى ضيقها الأصيل في الصعيد المصري وثقافاته الشعبية والعقائدية وبعض طائفيته التي نُصرّ على إنكارها، ونحكي عنها ببعض التحفظ والحجل بديلا عن مواجهتها وفضحها.

وأما عتبة الإهداء عند صالح، فكانت لبنتها الأولى المحبة، وفي ظني الشخصي أراها أساس الكتابة لمن يمارسها، والبيت والعائلة، والمتمثل في إهداء العمل إلى "بيت أنتمي إليه وعلمني المحبة" -كما جاء بنص الإهداء- وإلى بعض تفاصيل ذلك البيت من الأب ثم الأم. هنا ثمة سؤال ضربني لحظة القراءة الثانية المتأنية، إذ كانت الرواية -وهويدا صالح- تحاول فضح أزمة المرأة في صعيد مصر -بغض النظر عن عقيدتها ومستواها الاجتماعي- فكيف لم تنتبه إلى أنها وقعت في نفس الأزمة بتقديم الإهداء إلى الأب مردفًا بالأم؟! وكأنها -وهي ابنة الصعيد بالأساس- وقعت بلا وعي في تلك الأزمة التي تحاول معالجتها بروايتها، والتنبيه على كون المرأة "جسدًا" يساوي الرجل "جسدًا آخر" في حقه من المحبة والحرية. أعرف أنه ربما يرى البعض سؤالي ذلك ساذجًا للغاية، ولكن ما أردت الإشارة إليه هنا، أننا بلا وعي وقعنا في تصدير الرجل وتقديمه على المرأة بلا أسباب عملية أو إنسانية وناجزة لأصالة ذلك التقديم، وأن تلك أزمة أخرى خفية نقع فيها في أحيان كثيرة. وأعيد سؤالي بمباشرة ووضوح "لماذا لم تقدم هويدا صالح في إهداء روايتها تكشف عن حال المرأة في الصعيد ببعض النبش المؤلم الجميل، السيدة "صباح محمد مرسي" -الأم- قبل السيد "عبد القادر صالح حسين" -الأب- والموجودان نصًا في نص الإهداء؟!". وهنا يجب أن اعترف أن كل تأويل أو تبرير تقدمه الكاتبة هو حقها الأصيل، ولكني أسأل بشكل عام عن تقديم الرجل على المرأة في رواية -أظنها- تنتصر للمرأة عبر فضح تفاصيل قهرها في صعيد مصر خاصة ومصر على وجه العموم؟!

وقبل أن نترك العنوان والإهداء نلفت إلى التصدير التالي للإهداء، والذي تستعيره من نص المزمور 50/16 (وللشرير قال الله "مالك تتحدث بفرائضي، وتحمل عهدي على فمك؟"). وهنا تأخذنا القراءة إلى عتبة جديدة يمكن أن نفهم منها أن المحبة فرض على المحبين من أهملها أهمله الله المحبّ، وألقى الشرير بشرّه عليه، وكأننا معشر الكتاب -حتى ولو كُنا في بيت للمحبة- سنظل عطاشى للمزيد؛ لنكتشف آفاقًا جديدة للمحبة، ونطمح للوصول إليها والوصول بقارئنا إلى بابها. وهو ما فعلته الرواية بأول جملة فيها "كان جديرًا به أن يصدّق أننا عبر الخيال يمكن أن نعبر بوابة الأمل..."، ليصبح الخيال والمحبة عكازًا لكل المريدين، وكأنها تقول، أحبوا ثم اسبحوا في الخيال. ذاك الخيال وتلك المحبة ستتخلى عنهما الرواية إذ ترمينا إلى صدمتها الأولى عبر واقع الحكايات التي تترى عبر فردوس وغيرها من هؤلاء اللائي نتابعهن بشغف طوال الرواية.

اللغة والمفردات

لعل تاريخ هويدا صالح المهني واضح في لغة تلك الرواية، والتي استطاعت فيها أن تخلص إلى "توليفة" لغوية خاصة بها، جمعت ما بين بساطة التركيب وسهولته، ووضوح غير مصطنع، إذ ابتعدت عن اللغة المقعّرة دون أن تفقد لغتها طعم الجزالة وحس الجمال عبر تلك التراكيب وتلك اللغة الخاصة بهويدا صالح، دون أن تنسى علاقتها باللغة والكتابة بالأساس بين السطور. وأظن أنها كانت تمتلك من ناصية اللغة ما كان يمكنها من تدوير لغة الحوارات من العامية إلى الفصيحة التي استخدمتها بسلاسة طوال العمل، لكن ليس كل ما نتمناه ندركه، وهنا أنأى بنفسي عن أيّ اتهام للعامية واستخدامها.

لغة الرواية كما قلنا جاءت بسيطة وواضحة وبعيدة عن استعراض عضلات الكاتبة اللغوية واللسانية، وهي سمة بارزة عبر العمل كله، وذلك الوصول إلى هذا المستوى من اللغة والتركيب البسيط ليس سهلا كما يظن البعض إذ هو غاية في الاجهاد كي تكبح جماح قاموسك الفصيح وتروّضه، وهو ما يبرر بعض الملاحظات على اللغة ومفرداتها، فمثلا كلمة "الورود" في الصفحة 15 جاءت جمعًا لكلمة وردة بالخطأ الشائع، وهو ما تكرر في غير موضع ومنه تكراره في الصفحة 169 مرة أخرى. ورغم بساطة الأمر لكنه له شجون حول مهنة "تحرير النص" وعمل المراجع اللغوي في غالبية دور النشر والمطبوعات حتى الكبرى منها، ففي الصفحة 16 جاءت كلمة "أية" وأظن الأليق لغويًا تذكير الكلمة "أيّ"، وكذلك في الصفحة 17 واستخدام الضمير "هاء الغيبة" للجمع في "عاشتهم"، إذ يعامل غير العاقل باعتبار أولى للمفرد لا الجمع، فتكون "عاشتها" أولى لغويًا منها. كما جاءت ملاحظة تحريرية ولغوية حول استخدام "الفاصلة"، في الصفحة 16 إذ جاءت في أول السطر، وهو خلل إملائي لا يمكن إغفاله، تكرر مصحوبًا بسؤال عن فهم المحرر والمراجع لاستخدام "علامة الاعتراض -....- " ففي الصفحة 27 جاءت (لا نعرف نحن -الفانين- حكمته)، وأظن احتمال التأويل والتخريج النحوي هو ما يسمح لنا بعدم الخوض في صحة ما بين علامتي الاعتراض "الفانيين" نحويًا، فلكل تأويل وتخريج أسباب يمكن قبولها هنا نحويًا وتأويلا، وهو ما نفعله مع الصفحة 124 مع استخدام الحرف "قد"، وفي الصفحة 125 مع استخدام الضمير في "وأبقى أنا وهي"، كما تفرق لغة هويدا صالح بين المحبة والعشق وتجعلهما أمرين، فتستخدم مفردة "العشق" باستفاضة مقابل مفردة "المحبة والحب" ففي الصفحة 81 تم استخدام مادة "عشق" خمس مرات مقابل مرة واحدة لمادة "حبب"، ووظفت ذلك بمهارة في وصف حال الرجال والنساء من هؤلاء العشاق والمحبين طوال الرواية.

وللإنصاف فلغة الرواية الإملائية والنحوية منضبطة بنسبة رائعة -هذا لا يمنع الطموح للانضباط الكامل لغويًا- إذا ما قورنت بمنشورات تصدر عن دور نشر تملأ الدنيا بمطبوعاتها ومنشوراتها طافحة بمهازل لغوية وبنيوية، وهو ما حرصت عليه هويدا صالح، وكما قلت فإن تاريخها المهني وعلاقتها بالتدريس له بعض الأثر الملحوظ هنا على لغتها ومفرداتها الطيّعة غير المراوغة عبر التنويع بين تقنيتي الراوي العليم والراوي المحايد، وإن غلب العليم على المحايد معظم الوقت وفي الصفحة 191 يتضح ذلك التحول بين الراوي العليم والمحايد بشكل ناصع جدًا ومتقن، ورغم ذلك ثمة ملاحظة مع علامات الترقيم المحررة بالنص المنشور.

رواية تنهج لغتها درب البساطة وتبتعد عن التعقيد الفني

الأسئلة الأهم

سؤال المحبة والقلق، أبرز الأسئلة تلك، فتقول فردوس في الصفحة 218 "وهل اختارت هي من تحب؟ وهل العشق يأتي بقرار؟" ليكون السؤال هنا أحد أهم أسئلة الرواية وعلامات استفهام كثيرة طرحتها الرواية بوعي عن صعيد مصر والمرأة، هو سؤال المحبة، والذي ضفرت معه عبر نسيج السرد علامات استفهام أخرى حول القهر الذي طال وتمكّن من روح فردوس وغيرها من بطلات الرواية، بل طال الرجل كذلك في بعض موضع، وذلك عبر أزمة المحبة بين شباب المسلمين والمسيحين في مصر كلها والصعيد بوجهٍ خاص.

ففي -مثلاً- الصفحة 190 تضفر القلق بالمحبة بشكل رائع فتقول "حنا زوجها الذي بذل في سبيل إرضائها كل السبل، لماذا لم تسمح لنفسها أن تحبه؟! لماذا لم تسعد معه؟!.. ما الممتع في القلق والحزن جعلها تتخذهما طريقًا لها دون كل طرق بني الإنسان؟!".

وما دمنا بصدد الأسئلة يأتي سؤال الرواية عن "الشك" وكيف يمكن أن يتحول المرء من خلال ذاك الشك إلى ظلال من يقين يردفه متى أخلص في شكّه عبر تشكك حقيقي في المنسوب سلفًا إلى يقين مطلق لا مبرّر له ولا محاولة لفهم حكمته قبل التسليم به، وأنه إذا ما بدأ سيتتابع بمزيد من الأسئلة والشكوك -والتي أراها حقًا إنسانيًا أصيلا- كتلك التي جاءت في الصفحة 42 حيث تقول البطلة "... لكن يسوع لم يستمع إلى فجيعتي المحتومة، وأمّه لم تخلصني من بين يدي الشرير، ومار جرجس لم ينقذني.." تلك أسئلة وشكوك تطال البعض حول ثوابتها المطلقة في بعض لحظات الألم والإحباط، وهو ما فعلته هويدا صالح عبر أسئلتها على لسان أبطالها بشكل مباشر ومبطّن حول مفاهيم العقيدة والإيمان والوحدة الوطنية والمحبة، بل وكل وجود الإنسان ومختلف علاقاته وتماهياتها وتشعباتها في بيئة صعيد مصر الحادة والمحافظة والمتعصبة في كثير من أحوالها حين تقول على لسان بطلتها في الصفحة 170 "فمن غير المعقول أن يتخلى المسيح عن أبنائه الذين قدموا في محبة أمه البتول ..". لا تكتفي بذلك بل تصرخ كيف يمكن أن تكون المحبة فيها جريمة لا تغتفر، بل ويعاقب عليها الدين عبر رجالاته -المسلم والمسيحي- وتأمل ذلك في الصفحة 124 في فصل يحمل عنوان "سلوى" تقول "كنتُ أشفق عليها، فالحب في عرف أهل الجنوب جريمة، فما بالك بحب غير مشروع بين المختلفين دينيًا؟!". كذلك طرحت سؤالها الشائك حول شجن "الاعتراف" في المسيحية وما يمكن أن يعانيه المعترف من صراع بين حتمية الاعتراف وحقيقة ما يريد كما في الصفحة 167 إذ تقول "لم تخبره عن كراهيتها المكتومة لسارة" في لحظة الاعتراف لتؤكد أن المعترف به أقل كثيرًا من المسكوت عنه، وعن ازدواجيتنا الفطرية في كثير من الأمور.

رف الكتب

حقوق الإنسان والديمقراطية

❏ "محاكمة حقوق الإنسان، جينالوجيا الارتياب الديمقراطي" كتاب جديد صدر لجوستين لاكروا وجان إيف باتشير الأستاذين بجامعة بروكسل الحرة، يطرح فيه المؤلفان الامتعاض المتصاعد من "ديانة حقوق الإنسان" بسبب نرجسية الفرد المهموم بحقوقه الخاصة وحدها، والخوف من دوامة مطالبات لا تنتهي، وضغوط الشروط الأسرية والاجتماعية والسياسية، ما أدّى إلى تعطيل التزامات العمل السياسي. وفي رأي المؤلّفيْن أن تلك الهجومات الصادرة عن الكاثوليك المحافظين وعن بعض المفكرين مثل ريجيس دوبري ومارسيل غوشيه وجان كلود ميشيا قد تعكس فكرا لاديمقراطيا، ولكنها في الواقع امتداد لمجمل ما ووجهت به حقوق الإنسان منذ 1789، من مفكرين مختلفي المشارب من إدرموند بورك وجوزيف دوميستر إلى أوغست كونت وكارل ماركس.

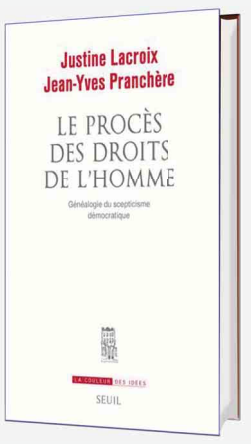

عالم عربي جديد

❏ جان بيير فيليو هو أحد المتخصصين في العالم العربي الإسلامي، وهو أستاذ بمعهد العلوم السياسية، يقدم في كتابه الجديد "العرب، مصيرهم ومصيرنا" تاريخا عن العرب يخالف تاريخ المناهج المدرسية ليبين أن تاريخا مشتركا يجمع بين العرب وأوروبا منذ حملة نابليون على مصر عام 1798، ليس تاريخ الحروب والاستعمار الذي يقرّ الكاتب بذنب الغرب فيه ولكن تاريخ الأنوار العربية، أي النهضة التي رأت النور خلال القرن التاسع عشر باحتكاكها بالأنوار الغربية، وما رافق ذلك من تنامي الوعي والتفتح على العلوم الحديثة وبوادر الدعوات إلى الديمقراطية والثورات المجتمعية التي تتوق إلى التحرر من الاستعمار ومن الأنظمة الاستبدادية. وهو في ذلك يصل الحاضر بالماضي ويعتقد أننا نشهد الآن ولادة عالم عربي جديد.

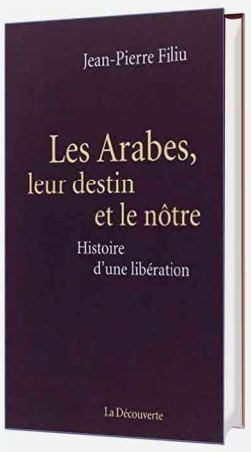

الفكر المتطرف

❏ جديد عالم الاجتماع الفرنسي جيرالد برونر كتاب بعنوان "الفكر المتطرف. كيف يغدو بشر عاديون متطرفين"، يحاول أن يتلمس فيه إجابة عن السؤال الذي يشغل كل من يرى شخصا ذا سلوك عادي كسائر البشر، يتحوّل فجأة إلى متطرف وإرهابي وجهادي قادر أن ينسف ويفجّر ويذبح ببرودة دم. كيف نفسر العقلانية المفارقة لأولئك الذين يستسلمون لجنون التطرف؟ لفهم هذه الظاهرة، يستكشف الباحث العالم الذهني الذي يبعث الخوف بالاعتماد على أعمال حديثة في علم الاجتماع والعلوم السياسية وعلم النفس المعرفي، ويرسم صورة غير مسبوقة لمرض ينخر الديمقراطيات المعاصرة وهو راديكالية الأذهان. يستند إلى عدة أمثلة وتجارب سيكولوجية اجتماعية ليصف المراحل التي تؤدي إلى التطرف، ويختم باقتراح بعض الحلول لعلاج المتطرفين.

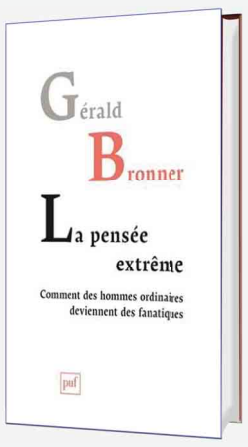

الحركة المفاجئة للفنان أبعد من الخير والشر

جان فيليب توسان يحول ضربة رأس زيدان إلى نص أدبي

أيمن حسن
كاتب من تونس

كان ذلك في مدينة ليون الفرنسية آخر أيام شهر نوفمبر2006 الباردة. كنت أجوب المكتبات بحثا عن جديد الإصدارات التي قدمت الكثير منها على صفحات جريدة "لابريسّ"التونسية. لو لا شهرة جان فيليب توسان الذي كنت قد التقيته في ديسمبر 2002 بدار المعلمين العليا بتونس حيث جاء لتقديم روايته الأخيرة، "ممارسة الحبّ"، لما كنت اهتممت بكتيّب "ميلانخوليا زيدان". إذ بدا لي أنّ العنوان يشتكي شيئا من التملق، فما علاقة زين الدين زيدان بالميلانخوليا؟ صحيح أنّ زيدان لاعب ماهر لطالما عانى من العدوانية وربما من الفظاظة مثلما فعل مع اللاعب السعودي خلال كأس العالم سنة 1998، لكن لا علاقة له بالقلق، السأم، الضجر، الملل أو "فيض المرارة السوداء في ليلة منعزلة"، تلك الصفات التي تميز الشعراء عن غيرهم من الناس.

إنما لا يبدو هذا رأي جان فيليب توسان الذي يدخلنا منذ مطلع النص في عالم يلتحم فيه الأدب بكرة القدم وذلك عبر تناغم عجيب للسرد مع الشعر "كان زيدان ينظر إلى سماء برلين دون أن يفكّر في أيّ شيء، سماء بيضاء مع سحب رمادية ذات بريق أزرق، إحدى تلك السماوات الشاسعة والمتحولة المتعلقة بالريح في فن الرسم الفلمندي، كان زيدان ينظر إلى سماء برلين فوق الملعب الأولمبي مساء التاسع من يوليو 2006، وكان يشعر بشدة خانقة بإحساس كونه هنا، بكل بساطة هنا، في الملعب الأولمبي ببرلين، في هذه اللحظة بالذات من الوقت، مساء نهائي كأس العالم لكرة القدم".

يُعبِّرُ هذا الوصف المشفوع بالخطاب الحر غير المباشر عن تعجب زيدان من كونه "هنا" وفي الآن ذاته عن تعجب الكاتب الذي يرى نفسه في اللاعب حيث يقول "ميلانخوليا زيدان ميلانخوليائي الشخصية، أعرفها، غذيتها وأعاني منها".

ميلانخوليا زيدان: ضربة رأس هي ما فوق الخير والشر

❑ كان زيدان ينظر إلى سماء برلين دون أن يفكّر في أيّ شيء، سماء بيضاء مع سحب رمادية ذات بريق أزرق، إحدى تلك السماوات الشاسعة والمتحولة المتعلقة بالريح في فن الرسم الفلمندي، كان زيدان ينظر إلى سماء برلين فوق الملعب الأولمبي مساء التاسع من يوليو 2006، وكان يشعر بشدة خانقة بإحساس كونه هنا، بكل بساطة هنا، في الملعب الأولمبي ببرلين، في هذه اللحظة بالذات من الوقت، مساء نهائي كأس العالم لكرة القدم.

حتما مساء هذا النهائي لم يتعلق الأمر إلاّ بالشكل والميلانخوليا. أوّلا، وفي الحال، يتعلق الأمر بالشكل في نقاوته، ركلة الجزاء التي سجلها زيدان في الدقيقة السابعة، بانينكا (مرتخية اسم طريقة ركلة جزاء، مأخوذ من اسم لاعب تشيكي كان ينفذها كذلك) أصابت القائم العرضي ثم تجاوزت الخط وخرجت من المرمى، مسيرة بيلياردو، تشابه في مداعبتها الضربة الأسطورية لجوف هورست في ومبلاي سنة 1966. لكن لم يكن ذلك سوى شاهد، احتفاء لا إرادي بحلقة أسطورية من مسلسل كأس العالم. الحركة الحقيقية لزيدان مساء هذا النهائي -حركة مفاجئة كفيض المرارة السوداء في ليلة منعزلة- لن تحدث إلا في ما بعد وستمحو كل شيء، نهاية المباراة والوقت الإضافي، ركلات الترجيح والمنتصر، حركة حاسمة، عنيفة، سوقية وروائية: لحظة غموض تام تحت سماء برلين، بعض ثوان من التأرجح شديد الدوران، حيث الجمال والسواد، العنف والعشق يتصلون ببعض ليتسببوا في تماس لحركة لم ترها عين من قبل.

كان لضربة رأس زيدان صفتا المباغتة والرسم الدقيق لحركة في فن الخط. إن لم يتطلب القيام بها إلا بضع ثوان، فإنها لم تحدث إلّا بعد تمش بطيء من النضج، إلّا بعد تكوين طويل سرّي ولا مرئي. حركة زيدان تجهل الفئات الإستيتيقية للجميل أو للأغر، إنها تتموقع في ما هو أعلى من الفئات الأخلاقية للخير والشر، قيمتها، قوتها وماهيتها لا تتعلق إلا بمطابقتها اللامشروطة للحظة دقيقة من زمن حصولها. تياران شاملان وسريّان جاءا بهذه الحركة من بعيد: الأول، من العمق، عريض، صامت، قوي، عنيد، متأت في الآن ذاته من الميلانخوليا المحضة ومن الشعور الأليم لتدفق الزمن، مرتبط بحزن النهاية المعلنة، بمرارة اللاعب الذي يخوض آخر مباراة في مسيرته والذي لا يمكن أن يقبل بالنهاية. ما كان زيدان ليقبل أبدا بالنهاية، إنه متعود على الخروج المزيف (ضد اليونان) أو الخروج الفالشل (ضد كوريا الجنوبية). كان دائما من المستحيل لديه إنهاء مسيرته، وحتى لو كان ذلك، أو خاصة لو كان ذلك، بطريقة جميلة، لأن إنهاءها كذلك يعني للأسف النهاية، أي إغلاق الأسطورة: رفع كأس العالم يعني القبول بالموت، في حين أنّ الفشل في الخروج يسمح بفتح الآفاق، الآفاق المجهولة والحيّة. التيار الثاني الذي دفع بحركته، وهو تيار مواز ومتناقض، يغذيه إفراط في الحزن وتأثير كوكب زحل عليه، يتمثل في الرغبة في الانتهاء بسرعة من كل شيء، في الرغبة العارمة في مغادرة الميدان بشكل مفاجئ والرجوع إلى حجرة الملابس (رحلتُ بشكل مفاجئ ودون أن أعلم أي شخص- توسان، "غرفة الحمام" -رواية)،لأنّ الملل هنا مفاجئ، لا متناه، التعب، الإنهاك، الكتف المتسببة في الألم، زيدان غير قادر على التهديف، لم يعد يقدر على تحمل رفاقه ولا خصومه، لم يعد قادرا على تحمل العالم وحتى نفسه. ميلانخوليا زيدان ميلانخوليائي الشخصية، أعرفها، غذيتها وأعاني منها. يصير العالم قاتما، تصير الأعضاء ثقيلة، تبدو الساعات وكأنها في حالة سكون، تبدو أكثر طولا، أكثر بطءا، ولا نهاية لها (المرجع السابق). يحسُّ بالإنهاك ويصيرُ شديد التشنّج. "شيء ما بداخلنا ينقلب ضدّنا" (جان ستاروبنسكي، "حبر الميلانخوليا"). وفي حالة ثمل من التعب والضغط العصبي، ليس بوسع زيدان إلا أن يلجأ إلى فعل العنف الذي يكون به الخلاص، أو الهروب الذي يعيد الطمأنينة، لأنه غير قادر على فكّ العقدة العصبية التي تستبد به بطريقة أخرى "وهذا هو الهروب النهائي أمام استكمال العمل (سيغموند فرويد، ذكرى من طفولة ليوناردو دا فنشي)". منذ بداية الوقت الإضافي، ما انفك زيدان يعبّر عن قلقه بطريقة لا واعية مع شارة القيادة التي ما برحت تسقط، شارة القيادة تلك التي تتوسّعُ والتي أضغن في شدّها على ساعده بطريقة غير متقنة. هكذا يعبّر زيدان ورغما عنه عن رغبته في مغادرة الملعب والرجوع إلى غرفة تبديل الملابس. لم تعد له الإمكانيات، أو القوة، الطاقة، الإرادة للقيام بعمل جبار أخير، حركة أخيرة تكون الشكل الأكثر نقاوة -ضربة الرأس، وما أجملها من ضربة تلك التي صدّها بوفون بضع لحظات من قبل ستفتحُ عينيه نهائيا على وهنه الذي لا دواء له. يغيب عنه في الحاضر الشكل- وهذا ما لا يقبله أيّ فنان، لأننا ندرك العلاقة الوثيقة التي تجمع بين الفن والميلانخوليا. إن كان غير قادر على شد الأذهان بهدف فسيتمكن من شد الأذهان.

أقبل الليل الآن في برلين، انخفضت الكثافة الضوئية، وفجأة أحس زيدان بدنيًا أنّ السماء تسودُ فوق كتفيه، لم يتبقّ في السماء إلاّ أذيال متقطعة من الغيوم الشفقية السوداء والوردية. "الماء الممزوج بالليل ندم قديم يرفض أن يخلد للنوم (غاستون باشلار، الماء والأحلام)".

لم يفهم أحد في الملعب ما الذي جرى. من مكاني في مدارج الملعب الأولمبي، تابعت استئناف المباراة، الإيطاليون يعودون إلى الهجوم والحركة تبتعد باتجاه المرمى المقابل. بقي لاعب إيطالي طريح الأرض، كانت الحركة قد تمّت، كان قد تمكن الآلهة العدائيون للميلانخوليا من النيل من زيدان. أوقف الحكم المباراة، وجرى الجميع في كل الاتجاهات على العشب، باتجاه اللاعب المطروح أرضا وباتجاه حكم الخط الذي تجمّع حوله عدد من اللاعبين الإيطاليين، كانت نظراتي تجوب يمنة ويسرة، وبعد ذلك ركّزت في منظاري على زيدان، تلقائيا، النظرات تتوجه إلى زيدان، شبح زيدان داخل قميصه الأبيض، وهو واقف في الليل وسط الميدان، ووجهه مُكبَّرٌ في مجهر منظاري، وحارس المرمى الإيطالي بوفّون يهبُّ نحوه ويشرعُ في محاورته وفي تدليك رأسه، في تمسيد جمجمته ورقبته، في حركة مفاجئة، مُداعِبَة، مُحْتَوية، في حركة كالتّعميد، كالذي نقومَ به لطفل، لمولود جديد، لتهدئته، لبعث السكينة فيه. لم أفهم شيئا من الذي حصل، لم يفهم أحد من الحاضرين في الملعب ما حصل، اتجه الحكم نحو المجموعة الصغيرة من اللاعبين حيث زيدان وأخرج من جيبه بطاقة سوداء أشهرها في وجه سماء برلين، وفهمت أنها كانت موجّهة لزيدان، تلك البطاقة السوداء للميلانخوليا. (هنا إيحاء إلى إحدى أشهر الصور الشعرية للأديب جيرار دي نرفال (1808-1855) الذي يقول في قصيدته "الملعون"، "نجمتي الوحيدة ماتت، وعودي المرصّع/يحمل الشمس السوداء للميلانخوليا"-المترجم).

تُعْتَبرُ حركة زيدان اللامرئية وغير المفهومة شديدة الفرجوية خاصة وأنها لم تحدث قطّ. إنّها بكل بساطة لم تحدث إن اقتصرنا على الملاحظة المباشرة للأحداث في الملعب وللثقة المشروعة التي نمنحها لحواسنا، لم ير أحد أيّ شيء، لا المشاهدون ولا الحكام. لا فقط إنّ حركة زيدان لم تحدث، لكن وإن حدثت، حتى وإن انتابت زيدان الإرادة المجنونة، الرغبة أو الهاجس لضرب أحد منافسيه بالرأس، لم يكن لرأس زيدان أن يصل إلى المنافس، لأنّ كل مرة يحاول فيها رأس زيدان عبور نصف الطريق التي تفصله عن صدر المنافس، يبقى له أن يعبُرَ النصف الآخر، ثم نصفا آخر، ثم نصفا آخر كذلك، وهكذا دواليك إلى الأبد، بحيث أنّ رأس زيدان، وهو يتقدم دوما نحو هدفه لكن دون أن يصل إليه أبدا، وكأنه في مشهد بطيء وقع تركيبه ليعاد باستمرار، لن تتمكن أبدا -وهذا فيزيائيا وحسابيا أمر مستحيل (إنّه تضاد زيدان، إن لم يكن تضاد زينون)، من الوصول إلى صدر المنافس- أبدا، وحدها الحماسة الطريدة كانت مرئية في عيون مشاهدي العالم بأسره.

ويصل هذا التعرف إلى حد التماهي حين يستشهد جان فيليب توسان مرتين بروايته البكر "غرفة الحمام". وعندما يستشهد بجون ستروبنسكي، سيغموند فرويد وغاستون باشلار، فليس ذلك كتلك "البانكا" التي قام بها زيدان والتي اعتبرها توسان "احتفاء لا إراديا بحلقة أسطورية من مسلسل كأس العالم"، بل تمكّنه هذه المرجعيات الأدبية والفلسفية من "أستقة" أو إضفاء بعد "إستيتيقيّ" أو جمالي على "الحركة المفاجئة" لزيدان. نعم، إنها نظرة للعالم، فهي تشرّع لهذا الحدث الكوني الفوضوي الذي وقع في برلين ليلة 9 يوليو 2006 "أوقف الحكم المباراة، وجرى الجميع في كل الاتجاهات على العشب، باتجاه اللاعب المطروح أرضا وباتجاه حكم الخط الذي تجمّع حوله عدد من اللاعبين الإيطاليين، كانت نظراتي تجوب يمنة ويسرة، وبعد ذلك ركزت في منظاري على زيدان، تلقائيا، النظرات تتوجه إلى زيدان، شبح زيدان داخل قميصه الأبيض، وهو واقف في الليل وسط الميدان، ووجهه مُكبَّرٌ في مجهر منظاري...".

لماذا زيدان؟ هل يجب النظر نحوه أولا عندما تحل الفوضى بسبب كونه الهداف وأفضل لاعب وقائد الفريق؟ أو لأنه حسب نظر جان فيليب توسان اللاعب الميلانخولي الوحيد في الميدان؟ في كل الحالات، بعد أن وقع فك اللغز، أشهر الحكم "بطاقة الميلانخوليا السوداء" في وجه زيدان. وانطلاقا منها شرع الأديب في خوض فعل التفكير هذا عن الميلانخوليا بإعلاء "الحركة المفاجئة" للفنان "كان لضربة رأس زيدان صفتا المباغتة والرسم الدقيق لحركة في فن الخط".

لكن، عندما نتحدث عن فن الخط، فنحن نتحدث عن كتابة في حالة حركة، عن إيقاع، عن تفكير، عن معرفة وخاصة عن "تمش بطيء" وعن "تكوين طويل سريّ ولا مرئي". شأنه شأن فن الخط العربي الذي يتميز به نجا المهداوي أو حسن المسعودي، فن زين الدين زيدان يتجاوز الكمال التقني ويرتقي، بفضل لعب القدمين، المراوغات، التمريرات الدقيقة، قطع اللعب، إعادة تنظيمه، الهجوم والدفاع، إلى السموّ الفني. وحيث لا يفعل الآخرون سوى اللعب، زيدان يرقص ويرسم. لن تكون إذن ضربة الرأس تلك، أو "الدماغ"، وصمة عار من شأنها أن تقلل من شأن زيدان أمام عشاق كرة القدم. وربما هذا سر تلك العبارة اللاذعة التي استعملها جان فيليب توسان "تُعْتَبرُ حركة زيدان اللامرئية وغير المفهومة شديدة الفرجوية خاصة وأنها لم تحدث قطّ". هل هي ضرب من البلاغة؟ ربما هي كذلك! لكن لم ير أحد فعلا رأس زيدان يلمس صدر ماتيرازي، في حين "وحدها الحماسة الطريدة كانت مرئية في عيون مشاهدي العالم بأسره".

إن كان جان فيليب توسان يُشَرِّعُ لحركة زيدان المفاجئة، فإنه يفتح خاصة أعيننا على السلطة اللامتناهية التي تمتاز بها الكاميرات وهي التي باتت قادرة على تغيير السير التاريخي للأمور. ليست "ميلانخوليا زيدان" بالقصة ولا بالمقالة ولا بالقصيدة ولا بالرسالة النقدية أو الهزلية، إنها عمل أدبي وحسبه أنْ يعيد النظر في علاقتنا بالواقع.

في هذا السياق، صاحب "آلة التصوير" (1989) و"التلفزيون" (1997) يواصل على طريقته أبحاث غي ديبور الذي برهن من خلال "في الليل ندور بلا هدف ونحن نحترق بالنار" حالة الاغتراب التي نعيش ومدى استحواذ "مجتمع الفرجة" علينا.

جان فيليب توسان: الأدب والكرة والمجتمع والأعماق الغامضة للكائن

* ت: أ. حسن

السودان.. صحراء وغابات وأنهار وأهرامات من دون سائحين

أرض «ملتقى النيلين» تحاول استقطاب الزائرين

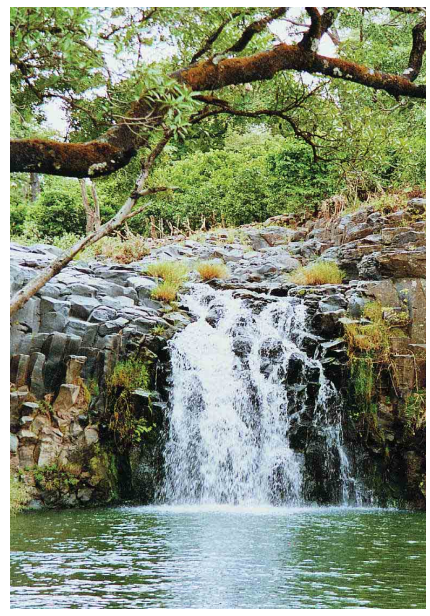

أيام العز!

يزخر السودان بالمعالم السياحية التي أبدعتها الطبيعة وجسّدتها بصورة لا مثيل لها في العالم، ولكنها "منسية" لا يعرفها الكثيرون، وبالرغم أن البلد يمثل حلقة الوصل والربط بين أفريقيا والعالم العربي ومنبع النيل من جنوبه إلى شماله، فإن عوامل كثيرة تمنع السياح من التمتع بها.

الخرطوم – أقرّت وزارة السياحة السودانية بافتقار البلد إلى البنيات الأساسية الخاصة بالمقاصد السياحية، في وقت أكدت فيه تميز البلد وحضارته منذ آلاف السنين.

وأعرب وزير السياحة محمد أبوزيد مصطفى، عن حاجة السودان إلى الترويج لآثاره ليتمكن الناس من معرفته أكثر، ونوّه باهتمام الدول الخارجية وإدراكها لمكنونات السودان الأثرية، لكن العائدات السياحية تبقى ضعيفة مقارنة مع الدول العربية الأخرى إذ سجلت البلاد دخول 700 ألف سائح خلال العام الماضي.

وقال الوزير مصطفى "هناك خبراء أجانب يحدثوننا عن أنفسنا في وقت نعجز فيه عن الحديث عن أنفسنا"، منبّها إلى حاجة السودانيين إلى إعادة النظر في حضارتهم وقراءة تاريخهم، وأضاف قائلا "إن للسودان حضارة قديمة تبلغ أكثر من 7 آلاف سنة، كما أن له مزايا يتفرد بها دون الدول والشعوب"، واستند في ذلك إلى كبر مساحة البحر الأحمر البالغة 700 كلم والتي تحوي أكثر من 1600 جزيرة.

وقد شجع الاستقرار الأمني السودان على القيام بحملات ترويج قوية لأهدافه السياحية في معرض برلين الدولي للسياحة الذي امتدت فعالياته على مدى يومين في 12 و13 من شهر مارس 2016 وحضرته غالبية دول العالم.

وركزت هذه الحملات على تشجيع السياحة الداخلية والسياحة من دول الجيران ودول منطقة الخليج.

ويعد السودان أكبر قطر في أفريقيا من حيث المساحة، ويقطع فيه نهر النيل أطول مسافة في مجراه، ويحتوي على بيئات طبيعية متنوعة بين غابات وأدغال وأنهار وشواطئ وصحراء مما أتاح وجود مقاصد سياحية عدة للاستجمام ورحلات السفاري والاستشفاء والرياضات البحرية والنهرية والصحراوية.

ويتمتع السودان كذلك بتنوع حضاري ثري يختصر لقاء الغابة والصحراء والبحر في منظومة سكانية جعلت للمكان سحره، لا سيما وأن البلد يحتل موقعا استراتيجيا، فهو أولا يمثل حلقة الوصل بين أقطار العالم العربي ودول القارة السمراء، وله حدود مشتركة مع عشر دول، وعلى امتداد أراضيه الشاسعة يعيش ائتلاف فريد من الأعراق ويتكون من قبائل عربية ونوبية وأفريقية.

وللبلد ميزة خاصة وهي أن النيل الذي يعدّ من أهم المجاري المائية في العالم يحيطه من كل جانب، وما يزيده روعة وجود شلالات منها شلال "السبلوقة" وهو من أهم الجوانب السياحية في هذه منطقة التي تعرف بمناخها شبه الصحراوي وطبيعتها الجبلية مما جعلها منطقة سياحية بكل المواصفات.

ويعتبر شرق السودان المنطقة السياحية الأولى في البلد وذلك لما تمتاز به من جواذب سياحية بحرية وبرية تحت الشمس الساطعة طوال العام والآثار التاريخية القديمة والقبائل المتعددة التي تختلف في عاداتها وتقاليدها الاجتماعية وفنونها الشعبية.

ومن أهم المدن في شرق السودان مدينة "بورتسودان"، وهي ميناء رئيسي ومركز تجاري وصناعي وسياحي هام، كما تمتاز كذلك بأحيائها الشعبية والحديثة. ومن أهم الأنشطة السياحية بهذه المدينة نجد سباق الهجن، الذي يقام كل يوم الثلاثاء من كل أسبوع.

ومن أهم المدن أيضا مدينة "سواكن" وهي مدينة تاريخية قديمة مبنية على جزيرة مرجانية ويحيط بها سور فتحت به خمس بوابات لمراقبة الداخلين والخارجين. ويربط الجزيرة بالساحل جسر وعلى بعد حوالي ميلين من الجزيرة توجد ثمانية أبراج للمراقبة. وتمتاز مباني سواكن بأنها مبنية من الحجارة المرجانية إضافة إلى جمال نقوشها وتصميمها.

ولا يمكن كذلك التجول على الضفاف الشرقية للنيل دون زيارة أهرامات مدينة "مروي" وهي مدافن لملوك وملكات من الأزمنة القديمة وقد وقع تشييدها على أفخم طراز بحيث أصبحت تشبه في شكلها أهرامات مصر.

واستخدمت الأهرامات لأول مرة كمدفن ملكي، ومعظمها يحتوي معابد جنائزية ورسومات ونقوش جدارية تصور الحياة الدينية المروية.

ويعدّ الساحل السوداني الذي يتلألأ به البحر الأحمر بنقاء مياهه وشفافيتها من أكثر المناطق الطبيعية جاذبية، حيث يستقطب حاليا جزءا كبيرا من السياح، خاصة من رواد هواية الغطس تحت الماء والرياضات المائية الأخرى، فضلا عن أنه أصبح يتمتع بسمعة ممتازة على مستوى العالم ويزخر بالشعب المرجانية كما توجد به جزيرة "سنقنيب" وهي الجزيرة الوحيدة كاملة الاستدارة وتزخر بالأحياء المائية.

ويضم هذا الساحل كذلك جزرا وقرى تغري روادها بالغوص على غرار "سنجيب" وهي جزيرة مرجانية بها فنار لإرشاد السفن وتكثر بها الشعب المرجانية والأسماك خاصة أسماك القرش والدلفين، كما تعتبر الجزيرة من أجمل مناطق الغوص في العالم. وهناك أيضا قرية "عروس" السياحية التي بنيت كقاعدة لممارسة الغوص والتصوير تحت الماء.

وتعد "أمبريا"، وهي عبارة عن باخرة أُغرقت بالبحر الأحمر، من أجمل مناطق الغوص والتصوير تحت الماء لما تتميز به من روعة شعابها المرجانية.

ولا يمكن إغفال مصيف "أركويت" أو كما يطلقون عليه "فردوس الشرق" الذي حبته الطبيعة بطقس غاية في الاعتدال والسحر في فصل الصيف، حيث يتميز بهطول الأمطار في فصلي الشتاء والصيف، لذلك فهو موقع خصب لنمو أنواع الأشجار المختلفة، وتحفه الجبال من كل الجهات بارتفاعات متفاوتة توفر الراحة والهدوء.

ويتميز السودان بمصنوعاته الشعبية الخاصة ومن أشهر الصناعات اليدوية فيه الحليّ النسائي المصنع من الفضة والنحاس.

وإن كان وزير السياحة السوداني قد أقرّ بافتقار بلاده للبنية الأساسية للمقاصد السياحية كالفنادق والمنتجعات والطرق المعبدة والخدمات للمقاصد السياحية، فقد دعا لتوفير تلك الخدمات بهدف تيسير وصول السائح إلى السودان والبقاء فيه، لينعم الزائر بروائع البلد منذ وصوله إلى العاصمة الخرطوم ملتقى النيل والشواطئ الرملية والمعالم الطبيعية الخلابة.

السياحة الثقافية هي العمود الفقري للسودان حيث المناطق الأثرية والمعابد والمتاحف وشواهد الأمم والحضارات

أما الشمال فهو وجهة مناسبة لمحبّي الثقافة حيث المناطق الأثرية والمعابد والمتاحف وشواهد الأمم والحضارات التي نشأت وشهدها تاريخ السودان كالحضارات الفرعونية والقبطية والإسلامية. وقد قامت جهات عالمية بتسجيل عشرة مواقع أثرية في السودان كجزء من التراث الإنساني.

وتمتاز الصحراء في السودان بوجود منطقة "المصورات الصفراء" التي تشتمل على مركب هندسي عجيب عرف بالسور الكبير وهو مبنى ضخم يشبه المتاهة، يرجع تاريخه إلى القرن الأول للميلاد.

وتعتبر الحياة البرية في السودان مصدرا هاما من مصادر السياحة، فهي تضمّ العديد من المحميات الطبيعية مثل محمية "الدندر" التي تعتبر أكبر حظيرة للحيوانات والطيور في قارة أفريقيا وتوجد بها البحيرات والبرك وملتقيات الأنهار الصغيرة والغابات، بالإضافة إلى مركز للعلاج الطبيعي في أماكن المياه الكبريتية.

ويعتبر جنوب السودان بأكمله منطقة جذب سياحي قوية حيث تغطي أراضيه الأنهار والغابات والأدغال، وتتعدد فيه أنماط الاجتماعية والفنون والمصنوعات اليدوية، بالإضافة إلى تنوع كبير في الحياة البرية ووجود طقس معتدل طوال العام.

ومن أبرز ولايات الجنوب التي تظهر فيها مقومات السياحة ولاية دارفور التي تضم "جبل مرة" الذي يجتذب السائح بطقسه المعتدل وشلالاته وبحيراته البركانية المحاذية له، كما يتمتع الجبل بانفراده دوليا بمجموعات كبيرة من الحيوانات النادرة والأليفة.

وتوجد بإقليم الجنوب أيضا منطقة "قلول" ذات الغابات الكثيفة والشلالات الدائمة إلى جانب منطقة "مرتجلو" وبها أيضا شلال جذاب وتكثر فيه أنواع من القرود والحيوانات البرية الأخرى ومنطقة "سوني" المرتفعة، إضافة إلى منطقة "ضريبة" وهي تمثل الفوهة البركانية للجبل وتوجد بها بحيرتان.

وهنالك محمية "وادي هور" التي تزخر بأنواع كثيرة من الحيوانات البرية بجانب الآثار القديمة وبها المياه الكبريتية في "عين فرح" وكذلك مناطق "وادي أزوم" التي تصلح لهواة التصوير وهواة المغامرات والطبيعة الوعرة.

أما الولايات الوسطى فتضم مدينة "ود مدني" التي تحتوي على عدة أنواع من الحيوانات البرية كما أنها تعتبر منتجعا لأنواع كثيرة من الطيور النادرة.

وقد أوضح وزير السياحة محمد أبو زيد مصطفى "نطمع في أن تكون 'ود مدني' مأوى للسياحة العلاجية لما لها من إمكانيات وقدرات صحية وعلاجية سواء أن كانت مؤسسات صحية أو مختصين وأطباء ذوي تخصصات نادرة".

ومن ناحية أخرى تعتبر ضفاف النيل الأزرق بانحداره الشديد مجالا رحبا لممارسة أنواع مختلفة من الرياضات المائية، إلى جانب ضفاف النيل الأبيض بتياره البطيء وتعرجاته الكثيرة ومستنقعاته المغطاة بالأعشاب والغابات، وتعتبر من أشهر مناطق صيد الطيور في السودان.

ولا يمكن للسائح أن يغفل عن مناطق ومواسم الصيد في السودان، حيث يتمتع هذا البلد بتباين النطاق المناخي والبيئي ويتضح ذلك جليا في وجود ثروة كبيرة من الحيوانات وأنواع متعددة من الطيور، كما أن شركات السفاري التي تقوم بتنظيم الصيد تضع خبراتها ووسائلها ومعداتها في خدمة هواة الصيد بما يمكنهم من الحصول على أكبر قدر من المتعة.

■ أخبار سياحية

◄ طائرة المستقبل رحلة بين واقعين

■ طائرة المستقبل التي يرجّح أن تدخل الخدمة بحلول عام 2050، وهي من تصميم طلبة في كلية لندن، ستدشّن مرحلة جديدة في عالم الطيران المدني، كما أنها تتميز بضخامتها غير المسبوقة، إذ أنها تتسع لنحو 1000 شخص يملك كل واحد منهم نظارة خاصة للواقع الافتراضي لمشاهدة أحدث الأفلام بتقنية الأبعاد الثلاثية وممارسة ألعاب الفيديو، فضلا عن أنها تتضمن شاشات عملاقة تعكس جمال المناظر الخارجية.

وتتضمن أيضا مناطق مخصصة للطعام والشراب بحيث يحصل الفرد على أعلى درجات التفاعل والتواصل مع الآخرين.

◄ رحلات سياحية أسهل مع غوغل

■ غوغل تعلن عن إطلاق وظيفة جديدة لعشاق السفر والسياحة، بمناسبة انعقاد بورصة برلين السياحية. وأوضحت الشركة الأميركية أن وظيفة البحث عن "الوجهات السياحية على غوغل تتوفر في المتصفح الجوال على الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية أو في تطبيق البحث".

وأكدت أنه تم تصميم الوظيفة الجديدة لمساعدة المستخدم على التخطيط لرحلته التالية، بالإضافة إلى توفير المعلومات والمساعدة أثناء عمليات حجز رحلات الطيران والفنادق.

ومن خلال النّقر على وصلة "تخطيط رحلة"، فإنه يتم عرض البيانات الخاصة بأسعار تذاكر الطيران والفنادق.

◄ «الحرذون» يستأنف رحلاته في تونس

■ يستأنف القطار السياحي "الحرذون الأحمر" رحلاته السياحية اليومية نحو جبال الثالجة بمنطقة المتلوي في محافظة قفصة، حيث سيؤمن طيلة العطلة المدرسية الحالية رحلة كلّ يوم لفائدة مجموعات متعددة من السيّاح أغلبهم من التونسيين بعد أن أصبح نشاط القطار مرتبطا بحركية السياحة الداخلية في فترتي عطلتي الشتاء والربيع، ولم يعد هناك طلب على هذه الرحلات من قبل الأجانب. وإن كانت الرحلة إلى جبال الثالجة عبر الحرذون الأحمر ولسنوات طويلة فقرة قارة ومحطة هامة في سلسلة تنقلات السائح الأجنبي.

◄ دير فلسطيني ضمن قائمة اليونسكو

■ دير "مار سابا" مرشح من قبل وزارة السياحة والآثار الفلسطينية، ليكون في صدارة القائمة التمهيدية لـ20 موقعا سيتم ضمّها إلى قائمة منظمة اليونسكو للتراث العالمي بوصفها منطقة من أثرى بقاع الأرض بالأديرة والكنائس.

ومن بين المواقع الأخرى في القائمة "جبل جرزيم" و"كهف شقبا" و"تل أم عامر" و"ميناء غزة القديم" و"قرى الكراسي" و"بلدة الخليل القديمة".

ويقع دير مار سابا في صحراء وادي القدرون التي تبعد نحو 20 كيلومترا عن مركز مدينة بيت لحم.

◄ مصر في صالون السياحة الفرنسي

■ المكتب السياحي المصري بفرنسا يشارك في الدورة الـ41 للصالون الدولي السياحي السنوي بباريس، من 17 إلى 20 مارس الجاري بأرض المعارض الكبرى في حي "بورت دو فرساي". وتأتي أهمية هذا المعرض لكونه يستهدف مباشرة الجمهور ويعد فرصة لبث رسائل الطمأنة بشأن استقرار الأوضاع في المقصد السياحي المصري وتكثيف إجراءات تأمين الوجهات السياحية المختلفة وكافة المطارات. وسيضم الجناح المصري شركة مصر للطيران ومنظمي الرحلات.

الهاكرز يزدادون جرأة وذكاء

الحكومات تضع في أولوياتها التصدي للهجمات الإلكترونية قبل فوات الأوان

تتواصل اللعبة بين الشركات التكنولوجية وخبرائها من جهة والقراصنة الأذكياء من جهة أخرى، فكلما تفطن المختصون الى ثغرة ونجحوا في التصدي لها إلا وظهرت لهم حيل أكثر دهاء مما كانوا ينتظرونه حتى اتجهت شركات وحكومات إلى انتداب قراصنة ليخترقوا تطبيقاتها.

❏ **دبي** - يسلّط "أسبوع تكنولوجيا المستقبل"، والذي يقام هذا الشهر في دبي، الضوء على سبل تزويد المؤسسات الحكومية والخاصة بالمعرفة التقنية والبنية التحتية اللازمة لتكنولوجيا المعلومات بما يضمن حمايتها من الهجمات الإلكترونية المحتملة؛ حيث يشغل التصدّي لهذه الهجمات مرتبة هامّة في قوائم أولويات الحكومات في شتّى أنحاء العالم، بما فيها حكومات الشرق الأوسط ودول مجلس التعاون الخليجي.

ودعا مختصون في مجال الأمن المعلوماتي الشركات الكبرى إلى وضع الأمن الإلكتروني في صدارة أولويّاتها، بعد أن باتت الهجمات الإلكترونية أكثر تعقيدا، وتؤثر في نحو 90 بالمئة من هذه الشركات حول العالم رغم اتفاقهم على أنه لا يوجد حل سهل لمقاومة الهجمات الإلكترونية، إذ أصبحت أكثر تركيزا وذكاء، كما اتسعت دائرتها حتى أصبحت على نطاق عالمي أوسع.

وأكدت شركة "تريند مايكرو" في تقريرها الأمني السنوي بشأن أهم الحوادث الأمنية التي جرت على مدار عام 2015، أن القراصنة أصبحوا أكثر قوة وذكاء وجرأة في هجماتهم عبر الإنترنت.

وكانت الهجمات الإلكترونية والابتزاز على شبكة الإنترنت خلال سنة 2015 أحد أهم المصادر المقلقة، ويتضح ذلك في الهجمات التي تعرضت لها العديد من المنظمات البارزة، والاحتيال لسرقة بيانات الملايين من الموظفين والعملاء.

> السبب الواضح لقوة القراصنة هو التطور التكنولوجي السريع المعزز بنبوغهم الذي جعل بينهم وبين شركات الأمن الإلكتروني منافسة طريفة، منافسة تجمع بين فريق يستنبط وسائل حماية جديدة وفريق آخر مقابل يستنبط كل الطرق المختلفة لاختراقها

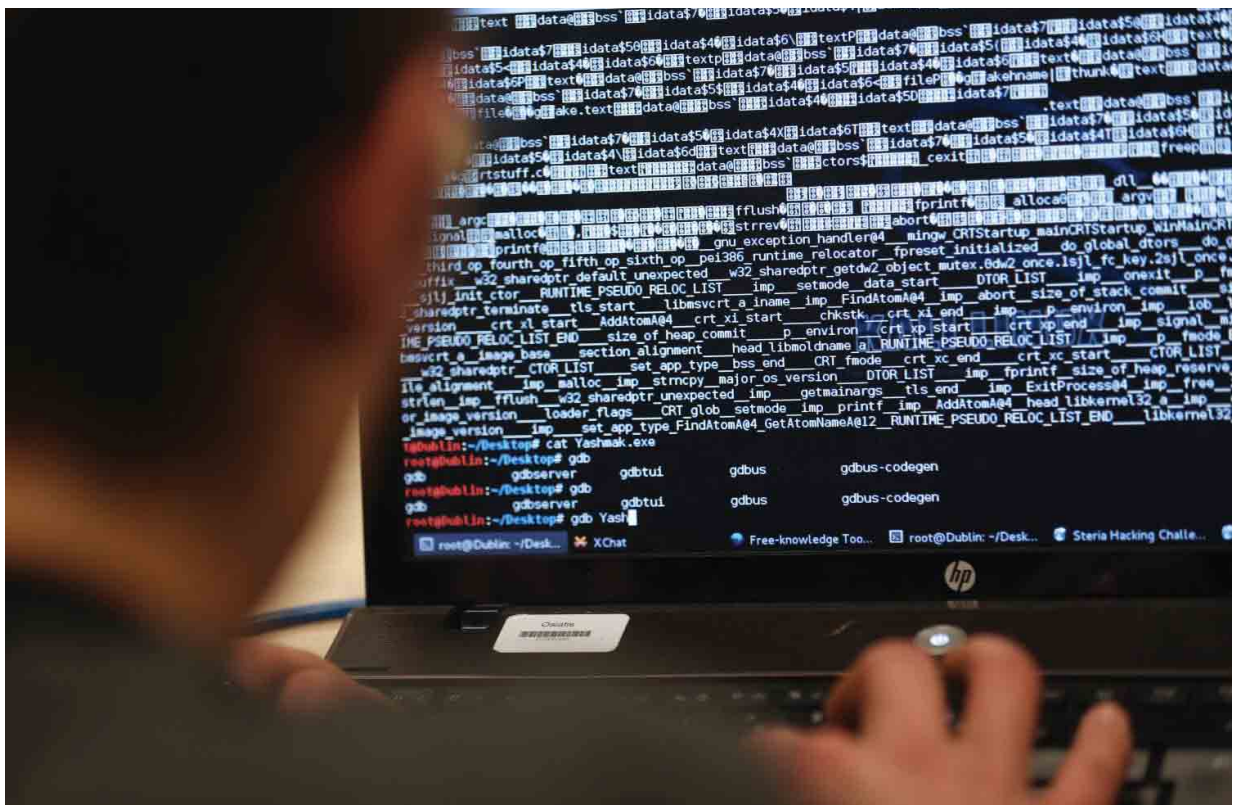

الصراع متواصل بين القراصنة وشبكات الأمن الإلكتروني

وبانطلاق عام 2016، قرر القراصنة أن يكونوا أكثر جرأة حيث تظهر التقارير أن هناك المزيد والمزيد من عمليات الاختراق والمحتوى المزعج الذي يظهر في صفحات نتائج محرك البحث غوغل.

وقال غوغل إنه لا علاقة بهذه الزيادة في المحتوى المزعج على التحديثات الأخيرة في خوارزمياتها وهذا الموقع تمت إصابته من قبل الهاكرز.

إن السبب الواضح لقوة القراصنة هو التطور التكنولوجي السريع المعزز بنبوغهم الذي جعل بينهم وبين شركات الأمن الإلكتروني منافسة طريفة، منافسة تجمع بين فريق يستنبط وسائل حماية جديدة وفريق آخر مقابل يستنبط كل الطرق المختلفة لاختراقها.

وتصدر شركات أمن المعلومات باستمرار تحذيرات بشأن مخاطر القرصنة الإلكترونية التي ترتفع وتيرتها مسببة خسائر سنوية تقدّر بمئات الملايين من الدولارات.

وهو ما دفع بالكثير من الشركات في العالم مثل مايكروسوفت بتعيين هؤلاء الهاكرز بمرتبات عالية ومهمّتهم محاولة اختراق أنظمتها المختلفة والعثور على أماكن الضعف فيها، إضافة إلى عمل بعض الباحثين على اكتشاف الثغرات التي تعاني منها بعض الأجهزة الذكية والتي تساعد على سهولة قرصنتها. واخترق الباحثون بنجاح هاتفي "سامسونغ غالاكسي إس 6، و"هواوي أونور 7، باستخدام طابعة حبر ثنائية الأبعاد، ونوع معين من الحبر والورق، وفق ما ذكرت صحيفة الغارديان البريطانية.

وأخذ الباحثون صورة من بصمة الإصبع باستخدام الطابع الضوئي، ثم طبعوها باستخدام الطابعة بالاعتماد على حبر يولد شحنة كهربائية، وورق يستخدم عادة في صنع الدوائر الكهربائية.

وحذر باحثون في الأمن الإلكتروني من أن هناك أشياء بسيطة للغاية يمكن أن تتسبب في اختراق جهاز الكمبيوتر الخاص ووضع المعلومات الشخصية الخاصة في خطر، مثل "الماوس ولوحة المفاتيح اللذين يعملان بشكل لاسلكي، حيث أن القراصنة يمكنهم السيطرة على جهاز الكمبيوتر الخاص من خلال الأجهزة اللاسلكية المتصلة بها.

وحدث مؤخرا انقطاع للتيار الكهربائي في أوكرانيا والذي أثر على الآلاف من المواطنين، ويرجع السبب إلى هجمات شنتها مجموعة من الهاكرز ضد البنية التحتية الأوكرانية، في محاولة منهم لإثارة فزع العالم والذي زاد من التخوفات الخاصة بقدرة مجموعة الهاكرز على التأثير والتدمير في البنية التحتية لأيّ دولة كانت، وتعطيل جزء مهم من هذه البنية من خلاله أعمال قرصنة عديدة. وباتت الولايات المتحدة الأميركية تخشى هذا النوع من الهجمات، ما دفع مايكل روجرز مدير وكالة الأمن القومي الأميركي بالتصريح قائلا "إن هجوم القراصنة ضد البنية التحتية الخاصة بالولايات المتحدة الأميركية، على طريقة انقطاع الكهرباء في أوكرانيا أمر لا مفر منه، وإن الاستهداف للخدمات الأساسية تعتبر مسألة وقت ليس إلاّ"، وكما ورد في بيان للولايات المتحدة فإن الأمر الذي يقلق الإدارة الأميركية هو أن عملية هجوم الهاكرز على أوكرانيا لن تكون الأولى وأنهم سيبدأون الحرب الشرسة على عدة دول مختلفة ولا أحد يمتلك القدرة على التوقع بالتوقيت الذى سيحدث فيه ذلك.

وعلى غرار برامج المكافآت التي ابتكرتها شركات الإنترنت العملاقة مثل فيسبوك وغوغل وغيرها، فقد أعلنت وزارة الدفاع الأميركية عن إطلاق برنامج مكافآت لمن يكتشف ثغرات أمنية في شبكاتها وأنظمتها وخدماتها التي يبلّغ عنها القراصنة والباحثون الأمنيون.

وقد أطلق البنتاغون على برنامج المكافآت اسم "قرصن البنتاغون" والذي سيبدأ العمل به بدءاً من أبريل القادم، في محاولة منها لاكتشاف مهارات الهاكرز والحدّ منها، لكن هل توقف هذا المبادرات لاستخدام الهاكرز في الحدّ من حيل القرصنة المتجددة؟

عصفور تويتر يعود إلى سرب مواقع التواصل الاجتماعي

لم يعد يشغل الشركة التي أنشأت موقع التواصل الاجتماعي تويتر سوى تحريك اهتمام الناس به من جديد من خلال إحداث تغييرات عميقة، مستغلة الحملات الانتخابية في الولايات المتحدة الأميركية لبث الروح في العصفور الأزرق ليغرد من جديد.

❏ **سان فرانسيسكو**- بعد عشر سنوات على إنشائه يبقى تويتر موقعا متميزا في قطاع التكنولوجيا لكنه يعاني من صعوبات في زيادة مستخدميه وتوليد عائدات بالرغم من اعتباره رائدا ومؤسسا لوسيلة تواصل جديدة ونافذة.

فمنذ إطلاق هذا الموقع للتواصل الاجتماعي قبل عقد من الزمن بات أداة لا غنى عنها للصحافيين والناشطين والمشاهير وغيرهم، لكنّه يعاني من صعوبات في التوسع خارج فضاء المغردين المخلصين هذا.

ويرى خبراء وأخصائيون بمواقع التواصل الاجتماعي أنه بات من الصعب الدفاع عن حق موقع التواصل الاجتماعي تويتر في التواجد بعد الحال الذي وصل إليه.

وكان العديد من المشاركين يستعملون تويتر كخدمة لا غنى عنها تتيح بتغريدة لا تزيد على 140 حرفا ورمزا، الاطلاع على شؤون الساعة وآخر المستجدات، إلا أن التعديلات الجديدة التي تجعل من الصعب متابعة الدردشات أو الأحاديث إضافة إلى غياب الصرامة في التأكد من موثوقية المصادر يجعل المعلومات موضع ريبة.

إلى ذلك، انتشر على موقع تويتر في الفترة الأخيرة العديد من الخطابات التي تحث على العنف والكراهية بالإضافة إلى التهديدات، وبدت شركة تويتر غير مستعدة للتعامل مع هذا الشكل من أشكال العنف على الإنترنت حيث لم تكن لديها أدوات تذكر لكسر تلك الموجة.

ولاحظت مجلة "نيويوركر" أن تويتر لم يتمكن حتى من حماية المشاهير الذين يستخدمون موقع المدونات الصغرى مشيرة إلى أن زيلدا ابنة الممثل الراحل روبن وليامز توقفت منذ صيف 2014 عن استخدام تويتر بسبب سلسلة من الهجمات الشرسة عليها. لكنّ عددا من المحللين الآخرين يتوقعون انطلاقة جديدة للموقع في النهاية بفضل المرشحين الرئاسيين الأميركيين الذين يستعينون به للتواصل مباشرة مع الناخبين.

وأول هؤلاء المرشح الجمهوري دونالد ترامب الذي اعتبره البعض من أفضل مستخدمي الموقع الذي يتمثل شعاره بعصفور أزرق صغير. وقال المحلل لدى "غلوبال أكويتيز ريسيرش للأسهم" تريب شاودري "ليس من مرشح يعيش ويتنفس تويتر كما يفعل دونالد ترامب".

وأضاف "انظروا إلى النتيجة، فقبل ثمانية أسابيع كنت واثقا من أن أيام تويتر معدودة، لكنّني اليوم لا أرى ذلك".

وأصر شاودري على أنه لا يدعم ترامب إطلاقا لكنه يريد إثبات فعالية الأداة التي يوفرها تويتر لمن اعتمدها مؤكدا "إنه مشروع يحمل إمكانات كامنة. تويتر صانع ملوك". وأشار شاودري إلى أن "النجاح على تويتر فن، وهو فاعل جدا".

مع صعود نجومية شخصيات نافذة كترامب على تويتر تزداد فرص تحوّلهم إلى مثال يحتذيه متابعوهم. وقال شاودري "أعتقد أن الأسوأ مضى بالنسبة إلى تويتر". وأوضح "شكل تويتر ثورة في طريقة تواصلنا. بالنسبة إليّ أصبح كالكهرباء أو الهاتف، إنه جزء فعلي من حياتي اليومية".

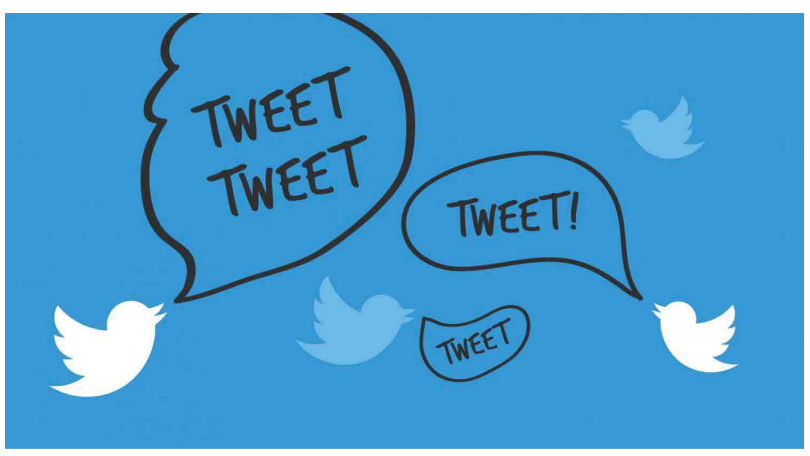

تويتر يبحث عن موقع في المستقبل

يذكر أن عدد مستخدمي تويتر في الولايات المتحدة لم يسجل زيادة خلال الفصول الثلاثة الأولى من عام 2015، خاصة وأن فيسبوك لم يعد المنافس الوحيد الذي تخطى تويتر بعدد المستخدمين بل إن خدمات مثل "إنستغرام" و"واتس آب" وحتى "وي تشات" لديها الآن من المستخدمين ما يزيد عددهم على مستخدمي تويتر.

وأشار لو كيرنر المحلل في "فلايت فنتشرز كومباني" إن تويتر قام "بعمل خارق" عبر إنشاء طريقة جديدة للتواصل، لكنه يبدو راكدا حاليا بدلا من أن يكون حضوره طاغيا.

وأضاف "لتحريك اهتمام الناس عليهم إجراء تغييرات عميقة. لكن المشكلة تكمن في أن التعديلات الكبرى تنطوي على مجازفات كبرى".

وفي مطلع العام الحالي أجرت المجموعة تعديلات واسعة على فريق إدارتها، وعاد أحد مؤسسيها جاك دورسي بعد استقالة الرئيس التنفيذي السابق دك كوستولو وبقاء الشركة بلا رئيس طيلة صيف 2015، علما بأنه خلال العام الذي سبق عودة دورسي ارتفع عدد مستخدمي توتير بنسبة 11 بالمئة فقط.

ومن أولويات تويتر للعام الجاري بحسب رجل الأعمال البالغ 39 عاما أن يصبح أكثر بساطة وأن يتطور باتجاه الفيديو بالبث المباشر.

وأجرى الموقع تعديلات في الشهر الماضي من أجل تثبيت التغريدات "الأفضل" في أعلى الصفحة بالرغم من الاعتراضات. كما يتم التداول في فكرة إطالة التغريدة المحددة حاليا بـ140 حرفا.

هذا وتردد أن خدمة تويتر ستبدأ السماح بتغريدات حجمها 10 آلاف حرف ورمز مع إمكانية تحميل صور متعددة أو فيديوهات.

جديد التكنولوجيا

❏ غوغل تعلن عن جلب ميزة جديدة لخدمة البريد الإلكتروني "إنبوكس" وهذه الميزة اسمها ميزة الرد الذكي التي تعمل على تحليل نصوص الرسائل الواردة، ثم تقدم ثلاثة ردود مصممة يمكن للمستخدم تجاهلها أو التركيز عليها، حيث تعتمد على أحد فروع الذكاء الاصطناعي، المعروف باسم "التعلم العميق" أو "تعلم الآلة"، وهي نفس التقنية التي تستخدمها غوغل لإعطاء خدماتها شيئًا من التطور العقلي الذي يجعلها تُجاري العقل البشري.

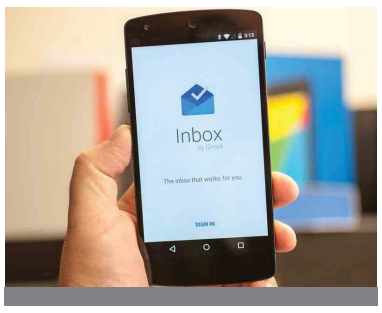

❏ تطبيق إنستغرام للصّور يعتمد برنامجا معلوماتيا جديدا لاختيار المحتويات، بحسب أهميّتها وليس بحسب تسلسلها الزمني. وشرحت إدارة هذا التطبيق قائلة إن "ترتيب الصور وأشرطة الفيديو سيستند إلى مدى أهمية المحتويات بالنسبة إليكم وعلاقتكم بالأشخاص الذين ينشرونها وتاريخ صدورها". وتنشر المحتويات راهنا في إنستغرام من الأحدث إلى الأقدم.

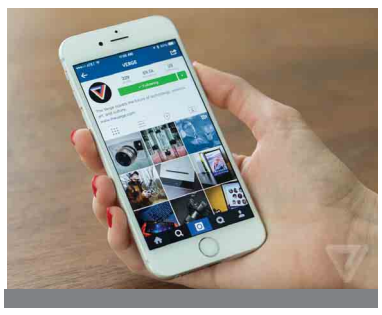

❏ ياهو تعلن عن إيقاف خدمة التراسل الفوري "لايف تكست" الجديدة، والتي أطلقتها خلال فصل الصيف الماضي، ولم تحقق من خلالها الانتشار المستهدف.

وأكدت ياهو أنه سيتم إيقاف أجهزة الخوادم الخاصة بخدمة دردشة الفيديو "لايف تكست" مع حلول نهاية شهر مارس الجاري، وعلاوة على ذلك أعلنت الشركة عن إيقاف بوابة الألعاب الخاصة بها بدءا من 13 مايو القادم.

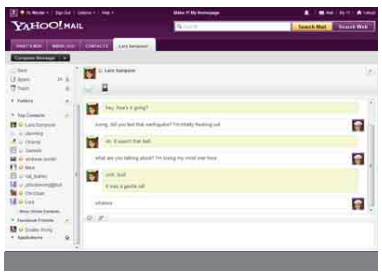

❏ موقع أمازون يحصل على براءة اختراع جديدة من شأنه إحداث ثورة كبيرة في عالم الشراء الإلكتروني، إذ سيمكن الموقع مستخدميه من الدفع مقابل المشتريات والتحقق من المدفوعات باستخدام الغمز والسيلفي عبر الهاتف أو الكاميرا الأمامية للتابلت، وسيتم التعرف على المستخدم من خلال معالجة صورته باستعمال تقنية التعرف على الوجه، التي صممت لتعزيز الأمن والدفع عبر الإنترنت.

❏ سوني تعلن رسميا عن موعد إطلاق نظارتها للواقع الافتراضي الخاصة بجهاز ألعابها الشهير "بلاي ستيشن" وذلك بحلول شهر أكتوبر القادم. وأكدت سوني بأن النظارة تشتمل على مواصفات تقنية عالية منها شاشة من نوع "أوليد" قياس 5.7 بوصة قادرة على عرض ألعاب حتى 120 إطار في الثانية بدقة وضوح 1920×1080 بكسل بألوان "آر جي بي".

وقالت الشركة إنها ستطلق نحو 50 لعبة ذات محتوى افتراضي مميز قبل نهاية العام الجاري، وذلك بالعمل مع 230 مطورا وناشرا.

الإحماء مرحلة ضرورية لتهيئة عضلات كبار السن لتمارين الاتزان

حركات التمدد تسرع سريان الدم وتعزز المرونة

يغفل الكثيرون مرحلة الإحماء ويشـرعون مباشـرة في ممارسة التمارين الرياضية دون فسـح حيز بسيط لتهيئة العضلات والمفاصل والجهاز التنفسي للتدرج في بذل الجهد. فإسـقاط مرحلة الإحماء قد يتسبّب في حدوث بعض الإصابات وإجهاد الجسم، بسرعة. لكنّ الخطر يتفاقم أكثر، إذا تعلق الأمر بفئة كبار السن، فعلاوة على أنهم الأكثر تعرضا للكسور والسقوط تفقد أجسامهم الكثافة العظمية والعضلية والقوة اللازمة لتحمل الجهد والضغط. وهم بذلك الأكثر حاجة للتمارين الإحمائية، لا سـيما قبل أداء حركات الاتّزان أو الرياضات المجهدة، بعض الشيء.

الشباب.. شباب الروح

❑ **كولونيا (ألمانيا)** – نصحت الهيئة الألمانية للتوعية الصحية كبار السنّ بضرورة القيام بالإحماء قبل ممارسة تمارين الاتزان وتدريبات تقوية العضلات، والتي تجنّبهم خطر الانزلاق والسقوط على الأرض.

وأوضحت الهيئة الألمانية أنه من الأفضل البدء بالمشي في المكان لمدة دقيقة أو دقيقتين مع الإمساك بمقعد ثابت أو ترك الأذرع تتمايل بحرية. ثم الوقوف بعرض الفخذين وإدارة الرأس يميناً ويساراً ببطء، مع مراعاة تحريك الرأس فقط وتكرار هذه الحركات 5 مرات.

وفي وضع الوقوف ذاته، يمكن ممارسة تمارين إطالة الرقبة بوضع إصبعين على الذقن والضغط المضاد عليها حتى تشعر بانبساط الرقبة، مع مراعاة تكرار هذا التمرين 5 مرات أيضاً. وبعد ذلك يتم وضع الأيدي على الجزء السفلي من الظهر أو الأرداف ثم الميل بحذر إلى الخلف مع ثني الركبتين قليلاً، مع تكرار هذا التمرين 5 مرات.

ومن ضمن التمارين الأخرى، دوران الجزء العلوي من الجسم والرأس فقط، دون الفخذين، جهة اليمين إلى أقصى نقطة لا تفتقر بها إلى الشعور بالراحة، ثم العودة إلى المنتصف والدوران ناحية اليسار بنفس الطريقة، ويتم تكرار هذا التمرين 5 مرات.

وبالنسبة إلى تمارين إطالة القدمين فإنه ينبغي الجلوس بظهر مستقيم على مقعد وفرد إحدى الساقين إلى الأمام وإلى أعلى وثني الركبة قليلاً ثم جذب أطراف القدم في اتجاه الجسم 5 مرات بالتناوب مع القدم الأخرى.

وشددت اختصاصية العلاج الطبيعي الألمانية أوته ريبشليغر على ضرورة إجراء عملية الإحماء لمدة 3 إلى 5 دقائق قبل ممارسة تمارين تقوية العضلات، موضحةً أهمية ذلك بقولها "يعمل الإحماء على تهيئة العضلات والمفاصل للتحميل عليها بشكل سليم، وحمايتها من التعرض لتحميل زائد".

وأردفت ريبشليغر أنه "يفضّل البدء بإحماء الجسم بأحد أجهزة بذل الجهد (الكارديو)، ولا سيما جهاز التجديف؛ لأنه يعمل على إحماء الأذرع والسيقان معاً"، إلا أنها حذرت من استخدام جهاز المشي للإحماء؛ لأنه يعمل على إحماء الساقين فقط.

وبعد الانتهاء من الإحماء، ينبغي إرخاء الجسم بعض الشيء، ثم البدء في ممارسة تمارين الإطالة للأجزاء العضلية التي سيتمّ التحميل عليها بصفة خاصة أثناء تمارين تقوية العضلات. وأوضحت الخبيرة الرياضية ريبشليغر "يحتاج جسم الإنسان إلى بضع دقائق، كي يتسنّى له التكيّف على الانتقال إلى وضعية التحميل".

وعند البدء في ممارسة تمارين تقوية العضلات أكدت ريبشليغر على ضرورة زيادة كميّة تدفق الدم إلى العضلات على نحو مقصود، موضحة "يمكن تحقيق ذلك من خلال تأدية نفس التمرين الذي سيتم ممارسته على الجهاز، مع الالتزام في البداية باستخدام أوزان قليلة قدر الإمكان مع تكرار ذلك بصفة متواصلة". وبعد ذلك، تتم الزيادة في شدة التمرين والأوزان.

وبعد الانتهاء من ممارسة تمارين تقوية العضلات، تنصح الخبيرة الألمانية بالتمرين على أحد أجهزة الكارديو لمدة تتراوح بين 5 و10 دقائق. ولفتت إلى أنه لا بأس من استخدام جهاز المشي في هذا الوقت. ويفضل أيضاً الإبطاء من سرعة ممارسة التمرين في نهايته، مع الانتهاء بممارسة بعض تمارين الإطالة.

ويعد العامل الرئيسي الذي يعيق كبار السن في الحياة اليومية هو تقييد الحركة الناتجة عن ضعف العضلات وقلة المرونة. بالمقابل فإن العامل الهوائي لا يعيق عادة حياة كبار السن اليومية، وعلى سبيل المثال فالمسن الذي تكون لديه صعوبة في القيام عن كرسي منخفض، تكون عادة عضلات ساقيه ضعيفة وغير مرنة بما يكفي.

ووجدت دراسات مختلفة أن القيام بممارسة تمارين رياضية لكبار السن مفيد جدا. والقيام بتمارين اللياقة البدنية بشكل منتظم يساعد على منع أو تأخير الأمراض والصعوبات في الأداء اليومي. وبين باحثون أنه حتى القيام بتمارين اللياقة البدنية الخفيفة جدا يمكن أن يحسن صحة كبار السن الذين يعانون من الضعف أو أمراض الشيخوخة المختلفة.

وقد أظهرت العديد من البحوث أن تدريبات القوة تشجع على زيادة كتلة العضلات حتى لدى المتدربين من كبار السن. واتضح أن التحسن في قوة العضلة الناتج عن تدريبات القوة بالمقارنة مع وضع الجسم في البداية يكون متطابقا بالنسبة إلى كبار السن والشباب على حد سواء. وهذا يعني أنه إذا كان الشاب يستطيع في غضون أربعة أشهر أن يحسّن قوة العضلات لديه بنسبة 50 بالمئة، فإن المسن أيضا يلاحظ تحسنا بنفس النسبة.

وكشف مدربو اللياقة أن تحسن قوة وكتلة العضلات مهم للأداء اليومي لكبار السن وقدرة أجسامهم على القيام بمهام بسيطة وضرورية، مثل رفع مجموعة من أكياس المشتريات وصعود الدرج وغيرها.

وتعد التمارين السويدية من أكثر أنواع تدريبات المقاومة رواجا وتشمل تمارين القوة مقابل وزن الجسم وتدريبات القوة مقابل الأثقال وتمارين القوة باستخدام الأجهزة وتدريبات القوة بمساعدة المطاط.

وتساعد تمارين المقاومة والقوة كبار السن على التعامل بشكل جيد مع الأنشطة الأساسية المنزلية والحدّ من الانخفاض الطبيعي في كثافة العظام وخفض ضغط الدم وتثبيت نسبة الدهون في الدم وتقليل خطر التعرض للسقوط وتحسين التوازن والاستقرار.

وتشير الكثير من الدراسات إلى الأثر الإيجابي لتدريبات المرونة على الاستقرار لدى كبار السن وعلى القدرة على الحركة في التدريبات التي تشمل تدريب التوازن.

وأكد خبراء نفسيون أن هناك علاقة بين النشاط البدني والمتغيّرات النفسية لدى كبار السن. فالنشاط البدني يؤدّي إلى تدفّق الدم في الجسم ويزيد النبض وينشّط الهرمونات التي تعمل على تحسين المزاج. وبعد ممارسة النشاط البدني، يشعر المسنون بقدرات بدنية أعلى وبالتالي يزيد هذا من رغبتهم بممارسة الأنشطة الترفيهية.

ووفقا لوكالة معاهد الصحة الوطنية في الولايات المتحدة، تظهر الدراسات أن ممارسة تدريبات اللياقة البدنية يوصى بها لجميع الأعمار وكبار السنّ يمكنهم الاستفادة كثيرا من القيام بها بشكل تدريجي ومنضبط.

ويؤدّي نمط الحياة الخالي من تدريبات اللياقة البدنية إلى ضعف القوة البدنية والتوازن والمرونة وقدرة تحمّل القلب والرئة.

وأكدت الجمعية الألمانية لطبّ الأعصاب أن ممارسة الرياضة ليست مفيدة للجسم فحسب، وإنّما لها أيضا تأثير إيجابي على الكثير من العمليات الذهنية بالمخ. واستندت الجمعية في تصريحها إلى نتائج مجموعة متنوعة من الدراسات التي أثبتت أن ممارسة الأنشطة الحركية لا يمكنها أن تحدّ من خطر الإصابة بالأمراض العصبية مثل السكتة الدماغية أو الزهايمر فحسب، بل تعمل أيضا على تحسين مهارات التفكير.

وشددت الجمعية على أهمية ممارسة الرياضة بقدر من التحميل على الجسم، حتى ولو بالحد الأدنى منه، فصحيح أنه يجب ألا يتم التحميل بشكل مفرط وحاد على الجسم أثناء ممارسة الرياضة، إلا أنه ينبغي أن يصل الجسم إلى مرحلة التعرق على الأقل للتمتع بهذا التأثير على العمليات الذهنية بالمخ.

وأوضحت الجمعية أن التأثير الإيجابي للرياضة على الذهن ربما يرجع إلى زيادة معدّل سريان الدم بداخله أثناء ممارستها، إذ يتم إمداد المخ بكميات أكبر من العناصر الغذائية عندما يزداد أداء القلب والأوعية الدموية أثناء ممارسة الرياضة. بالمقابل أكد الباحثون أنه لا يمكن زيادة القدرة الذهنية للمخ بشكل واضح من خلال ممارسة تمارين الاسترخاء أو إطالة العضلات مثلا.

ويقول البروفيسور كارل رايمرز، رئيس قسم طب الأعصاب بمستشفى "باد بركا" المركزي بولاية تورينغن الألمانية، إن تقييم الدراسات العلمية التي تمّ نشرها حتى بداية عام 2012 أثبت أن المواظبة على ممارسة الأنشطة الحركية سواء لفترات طويلة أو قصيرة تؤثر إيجابا على قدرة المخ على الحفظ وقوة الذاكرة، إذ ثبت تراجع خطر الإصابة بالزهايمر مثلا لدى كبار السن الذين يمارسون الرياضة، وذلك بمعدل 37 بالمئة مقارنة بغيرهم.

> الإحماء يعمل على تهيئة العضلات والمفاصل للتحميل عليها بشكل سليم وحمايتها من التعرض لتحميل زائد

ويؤكد العلماء أن لممارسة الأنشطة الحركية تأثيرات متنوعة ومختلفة على القدرات الذهنية بالمخ، وذلك وفقا لمدة التحميل على الجسم، إذ يكتسب الأشخاص الذين يمارسون الرياضة لمدة تصل إلى ساعة كاملة القدرة على معالجة المعلومات على نحو أفضل والاستجابة لها بشكل أسرع. في حين يمكن لمن يمارس الرياضة لمدة أطول أن يتمتع بقدرة أكبر على الانتباه ومعالجة المعلومات على نحو أسرع وكذلك تذكّر ما يتم تخزينه بشكل أفضل.

ويشرح البروفيسور غيرد كيمبرمان من المركز الألماني لعلاج الأمراض العصبية بمدينة دريسدن، أنه تم إثبات التأثير العلاجي والوقائي لممارسة الأنشطة الحركية من خلال العديد من الدراسات على نحوٍ لم يحدث مع أيّ نشاط آخر.

ولتحقيق أفضل تأثير من ممارسة الرياضة، أوصى كيمبرمان بربط الأنشطة البدنية بأنشطة ذهنية أثناء ممارستها، وذلك كي يتم تنشيط المخ لمعالجة ما يستقبله من معلومات جديدة على نحو أمثل، ويمكن فعل هذا من خلال ممارسة الأنواع العديدة من الرياضات الجماعية مثلا.

ألعاب بسيطة تقوي أقدام الأطفال وتعزز مرونتها

❑ **بايربرون (ألمانيا)** – أوضحت مجلة "الأسرة والطفل" الألمانية أن ركض الطفل حافي القدمين يساعد على تقوية الجهاز العضلي لهما بصفة خاصة، ويمكن تعزيز ذلك أيضاً من خلال بعض الألعاب البسيطة.

وأضافت المجلة الألمانية أنه يمكن للطفل بناء برج من الكؤوس بأقدامه مع إمكانية تسهيل ذلك بجلوسه على وسادة مرتفعة قليلاً أمام الكؤوس، ولكي يصبح التمرين أكثر صعوبة يمكن وضع الذراعين بمحاذاة جانب الجسم.

ومن ضمن الألعاب البسيطة الأخرى يمكن أن يضع الآباء كتاباً من الورق المقوّى على الأرض ويقوم الطّفل بتقليب صفحاته بأصابع قدميه؛ بحيث يضع إحدى قدميه على الصفحة المطوية لتثبيت الكتاب وتقليب الصفحات بأصابع القدم الأخرى.

> ركض الطفل حافي القدمين يساعد على تقوية الجهاز العضلي لهما بصفة خاصة

وكشفت الدّراسات أن الطفل الرضيع، رغم أنه يتعلّم غالبًا المشي بحلول عيد ميلاده الأول، فإنّ السبل العصبية التي تتحكّم في عنصر تناوب السّاق في المشي موجودة لديه، منذ سنّ مبكرة جدًا، ربما حتى أثناء الولادة أو قبلها. ويثبت ذلك من الأطفال الذين يبلغون شهرًا إلى شهرين وتتمّ مساعدة أقدامهم التي تلامس المشاية الآلية؛ حيث ظهرت قدرتهم على القيام بخطوات متناوبة ومتناسقة بشكل جيّد. وإذا لم تكن هناك مشكلة في تبديل التوازن من قدم إلى أخرى، فيستطيع الأطفال المشي في وقت أبكر. وقد أجريت اختبارات على أطفال في مرحلة الحبو والمشي؛ حيث تمّ وضع منحدرات في طريقهم وينبغي عليهم أن يقرّروا ما إذا كانت آمنة أم لا. وأثبتت الاختبارات أن الأطفال الذين تعلّموا للتوّ كيفية المشي لم يكونوا على دراية بما يمكنهم القيام به وكثيرًا ما كانوا يهبطون المنحدرات غير الآمنة، بينما علم الأطفال الذين يستطيعون المشي ولديهم خبرة ما يمكنهم فعله. ووفقًا لمركز الأطفال المكفوفين غير الربحي، "دون التدريب الخاص، ربما لا يستطيع الطفل الرضيع القادر تمامًا والذي يعاني من إعاقة بصرية، الحبو أو المشي في سن مناسبة، ولن تتطور مهاراته الحركية الكبرى والدقيقة كما ينبغي". فعندما لا يستطيع الطفل رؤية شيء معين، فلا يكون لديه الحافز لمحاولة الوصول إليه. وبالتالي، لا يرغب في التعلّم بمفرده. وغالبًا ما يكون تعلّم المشي بتقليد الآخرين ومراقبتهم. وسيقلّد الطفل غيره من الأطفال وسيتعلّم المهارات بسرعة أكبر بكثير من ارتكاب أخطائه الخاصة. ويستطيع الوالدان تقديم المساعدة بإخبار الطفل باتجاه الشيء وتشجيعه على الوصول إليه. وينبغي أن يتحلّى الوالدان بالصبر لأن لكلّ طفل جدول النمو الخاص به، وهو ما ينطبق تمامًا على الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

وجدير بالذكر أن المشي بقامة منتصبة يتطلب القدرة على الوقوف وموازنة وضعية الجسم من قدم إلى أخرى. ويعد أهم عامل للمشي هو عضلات ظهر قوية يحصل عليها الرضيع برفع رأسه وهو مستلق على بطنه، لذلك يوصي الخبراء أن يقضي الطفل فترات منتظمة من اللعب على بطنه، وتحفيزه بألعاب مثيرة تكون بعيدة عن متناول يده بمسافة بسيطة جدا لحثّه على الوصول إليها. وبمجرد أن يستطيع الجلوس، يفضّل مساعدته على أن يدرّب نفسه على التوازن والحركة بدحرجة كرة للأمام و للخلف أو تحريكها إلى اليمين والشمال فيتشجع على الميل معها ومحاولة الوصول إليها. وبمجرد أن يتشجع ويبدأ في الزحف أو الحبو، تقوى عضلات الرقبة والظهر والذراعين والرجلين مما يعطيه قدرة أكبر على التحكم في عضلات الفخذين وكذلك يقدر على النهوض والجلوس مرة أخرى.

النقاب ليس قضية مصيرية للمجتمعات والمرأة العربية

قوانين حظر النقاب.. نقلة تاريخية بهدف تقويض مفاهيم التدين الظاهري

النقاب من زي اجتماعي وديني إلى استعراض قوة بين جماعات الإسلام السياسي والمعارضين لها

طرح مسألة النقاب في المجتمعات العربية لم يكن بهذا التواتر ولا بنفس الأسلوب الذي أصبح يطرح به في السنوات القليلة الماضية وتحديدا منذ قيام الثورات العربية. وسواء تعلق هذا الطرح به كظاهرة اجتماعية أو دينية أو ثقافية فإنه يربط دوما بتأثيره على واقع المجتمعات المسلمة وخاصة على مكانة النساء في هذه المجتمعات والنظرة التي يرمقن بها على أنهن عورة يجب حجبها عن الأنظار. وبين المدافعين عن النقاب من جهة وبين الرافضين له من جهة أخرى تثار من حين إلى آخر قوانين حظر النقاب مشفوعة بجدل واسع بين الطرفين دون الوصول إلى حل يضع حدا لهذه المسألة كأحد أبرز قضايا المرأة والمجتمعات المسلمة.

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

❏ لا يمكن أن يكون ارتداء النقاب بما يحمله من خلفيات ومعان واحدا من القضايا المحورية التي يهتم بها الرأي العام في المجتمعات المعاصرة خاصة وأن العصر الراهن شهد إنجازات علمية وتقنية متعددة جعلت المجتمعات الغربية تتفوق على نظيراتها العربية والمسلمة. كما شهد تطورات من ناحية واقع المرأة التي أصبحت أكثر تعلما واكتسابا للمهارات وحققت هي الأخرى إنجازات تدحض المقولات التي تتبنى دونيتها، لكن هذا التناقض الحاصل يقودنا إلى التسليم بأن هناك قوى مؤثرة في العالم العربي هي التي تريد أن تجعل من النقاب قضية هامة بالنسبة إلى المسلمين.

النقاب أثر سلفي

هذه القوى الدينية المتشددة والمتطرفة تعمد إلى البرهنة على دونية المرأة وعلى أنها عورة وجب سترها وتغطية كل جزء من جسدها لحمايتها من الآخر ولحماية الآخرين من مفاتنها، وهي الفلسفة التي تتبناها السلفية المتشددة بالذات والتي سعت لنشرها على أوسع نطاق في المجتمعات العربية المسلمة منذ سنوات وفق مخططات واستراتيجيات مدروسة مكّنتها من إيصال فكرها وأيديولوجيتها للعديد من المجتمعات العربية. وأثبت الواقع في هذه المجتمعات اليوم من أنها تمكنت أيضا من إحداث الأثر ومن النجاح ولو نسبيا في الإقناع بمبادئها وأفكارها ليس فقط في الأوساط المتدينة والسلفية بل حتى في الفئات الاجتماعية غير المتدينة والمتعلمة من النساء والرجال.

السجال الذي تثيره مسألة شرعية النقاب والنقاشات التي تواكب أيّ محاولات لوضع قوانين تحظره في الأماكن العامة والدفاع الأعمى والمتطرف عن شرعيته ووجوب ارتداء النساء له من بعض رجال الدين مظاهر تثبت بما يدع مجالا للشك ما حققه الفكر السلفي من انتشار وتأثير في المجتمعات المسلمة وفي الدول العربية التي لم تكن فيها مسائل التدين والتطرف الديني مطروحة بهذا الشكل.

المجتمع التونسي مثلا كان قبل ثورة ديسمبر 2010 مجتمعا لا يحظى فيه النقاب بالأهمية التي تجعله موضوعا يرتقي ليطرح للنقاش في الفضاء العام وأمام الرأي العام. وكذلك أغلب المجتمعات العربية ماعدا بعض المجتمعات التي اعتمدت النقاب كلباس يومي مثل بعض المجتمعات الخليجية.

تأثيرات الفكر السلفي التي تسربت شيئا فشيئا إلى البيوت العربية، عبر وسائل الإعلام والقنوات الفضائية الدينية ثم عبر وسائل الاتصال الحديثة والإنترنت وأيضا عبر احتكاك السلفيين والإسلاميين بصفة عامة من باقي الدول العربية بحاملي التفكير السلفي، غيّرت ملامح السلفية ومبادئ التدين عند الكثيرين وهو ما جعل فكرهم الذي يستهدف المرأة بالذات يجد صداه في الدول العربية التي شهدت بدورها صعودا للتشدد الديني خاصة بعد ما سُمّي بثورات الربيع العربي. ثورات أرادت منها شعوب هذه الدول رجالا ونساء تغيير واقعهم نحو الأفضل في اتجاه كسب مزيد من الحقوق والحريات فإذا بالنساء يجدن أنفسهن عائدات بقوة نحو التخلف والرجعية والظلامية عندما يطرح موضوع ارتدائهن للنقاب وللباس الشرعي على رأس كبريات قضاياهن بدل طرح المشاكل الأساسية مثل فرض حقوقهن في التعليم وفي العمل وفي المشاركة على قدم المساواة في بناء الاقتصاد وفي التنمية وفي المشاركة في أخذ القرار وتسيير الشأن السياسي.

حظر النقاب

اليوم في مصر ثاني دولة تشهد ثورة من ثورات الربيع العربي تقدم مسألة حظر النقاب في الجامعات وفي الفضاءات العامة من مستشفيات ووسائل نقل عمومية وغيرها ليتم حسمها داخل قبة البرلمان بعد أن أعلن أكبر تحالف برلماني عن إعداد مسودة قانون تهدف لمنع النقاب في المرافق العامة فتقابل آراء أعضاء هذا التحالف بمخاوف من ردود فعل عنيفة من تنظيمات الإسلام السياسي في مصر لأنها ستشهر سلاح اتهام البرلمان والحكومة بمعاداة الدين والشريعة الإسلامية وبمعاداة حماية المرأة وكذلك بمخاوف من فئة من الحقوقيين الذين سيرفعون في الجهة المقابلة راية حرية اللباس والمظهر. ومن ممثلي الداعين لحظر النقاب نجد آمنة النصير عضو التكتل ورئيسة لجنة التعليم والبحث العلمي البرلمانية التي تقول بأن "النقاب ليس فريضة إسلامية" موضحة بأن القرآن يدعو للباس المحتشم وغطاء الرأس، إلا أن ارتداء غطاء كامل للوجه "تقليد شعبي" تبنته القبائل العربية.

منطلقات إعداد هذا المشروع لحظر النقاب في مصر تأتي بعد الانتشار الملحوظ لهذا اللباس في الشارع المصري وما رافقه من مشاكل أدارها بشكل مباشر أو غير مباشر الإخوان المسلمون ودعاة التشدد الديني ضد الحكومة المصرية ومؤسساتها وشملت المؤسسات التعليمية والجامعات وخاصة بعد أن فرض عدد من الجامعات المصرية حظرا للنقاب داخلها.

ومثّل هذا القرار نقطة تحول هامة في الصراع بين دعاة التشدد الديني وبين الرافضين لفرض النقاب كنمط لباس شرعي على النساء، وقد مثّل الفضاء الجامعي أبرز ساحات الصراع الدائر بين الطرفين على مرّ الأجيال في استحضار لنجاحات سابقة حققها الفكر السلفي انطلاقا من الحرم الجامعي في سنوات السبعينات بمصر غير أن تصوراته ورؤيته حول النقاب اليوم عاشت أولى انتكاساتها بحظر قانوني بدءا بالجامعات.

ولأن لمصر وزنها في المنطقة العربية، وتأثيرها كان دوما ملحوظا على محيطها وعلى المجتمعات العربية فهي مثلما تصدّر الثقافة والفن والسينما تصدّر أيضا طرق التفكير وطرق اللباس وتساهم في تشكيل نمط العيش في المجتمعات العربية، لذلك فإنه عندما بدأ النقاب ينتشر فيها في السبعينات من القرن الماضي سرعان ما انتقل إلى مجتمعات شمال أفريقيا وبعض دول الشرق الأوسط لذلك لا يمكن فصل ظهور النقاب في المجتمع المصري، عن انتشاره في أقطار عربية أخرى. وترتبط أسباب هذا الانتشار في مصر بالظرفية السياسية والتاريخية التي شهدتها سنوات أواخر السبعينات من القرن العشرين.

وتزامن ظهور النقاب في الشوارع المصرية، مع ظرفية سياسية عامة بدأت أولا بوفاة جمال عبدالناصر عام1970، ليتقلّد بعده محمد أنور السادات مقاليد الرئاسة المصرية. السادات "الرئيس المؤمن" دشّن حكمه بمحاولة استمالة الإسلاميين وأطلق سراح المئات منهم والذين زج بهم عبدالناصر في السجون.

السادات صاحب شعار "دولة العلم والإيمان" في محاولته القضاء على التجربة الناصرية، وفي سعيه لمغازلة الأوساط الشعبية وفي بحثه عن التحالف مع الإسلاميين، لم يكن يدر في خلده أنه كان يفتح الباب لمرحلة جديدة من عمر التيارات الإسلامية، ترافقت مع ظواهر اجتماعية وسلوكية كثيرة ومتداخلة منها إقبال النساء على الظهور في الحجاب والنقاب.

الجماعة الإسلامية في مصر التي نشأت أوائل سبعينات القرن العشرين في الجامعة المصرية، وداخل هذا المناخ السياسي الجديد، والتي كان من أبرز رموزها ناجح إبراهيم وعمر عبدالرحمن وغيرهما، هي جماعة خرجت من رحم جماعة الإخوان لكنها اعتمدت أيديولوجية أكثر تشددا وآمنت بفكرة التغيير بالقوة على أسس جهادية، وقد نجحت في أن تسرّب إلى المجتمع المصري أفكارا وعادات جديدة، تبدأ من الأنشطة الثقافية في الجامعات، وصولا إلى التغيّر الذي طال المجتمع المصري وانتشار النقاب الذي اعتبره قادة الجماعة مؤشرا على "الصحوة الإسلامية"، رغم أن غطاء المرأة أو "احتجابها" عادة اجتماعية أكثر منها دينية موجودة في المجتمع المصري، وخصوصا في الارياف، منذ القدم، ومن قبل ظهور هذه "الصحوة".

كما أن سياسة السادات للانفتاح الاقتصادي فتحت الحدود أمام المصريين للسفر من أجل العمل في الخليج وبدأ المصريون يتوافدون إلى هناك ويعودون بأفكار سلفية.. ثم ظهرت على هؤلاء ملامحها الظاهرية وظهر لباس الجلباب الأبيض القصير واللحية الطويلة وتأثرت النساء المحيطات بهم أيضا بذلك. كما أنه بعد قيام الثورة الإيرانية عام 1979 بدأ الفكر السلفي يغزو العالم الاسلامي في محاولة لمقاومة المدّ الثوري الشيعي الذي أعلنه الخميني. فلم تعد المصريات في حاجة إلى الذهاب إلى الخليج كي يعدن بالعباءة والخمار أو النقاب، ثم بدأت هذه الأفكار تهب على المجتمع المصري كما بقية المجتمعات العربية عن طريق الدعاة ووسائل الإعلام والصحف.

ثورات الربيع العربي

الأحداث السياسية والغليان الاجتماعي عقب ثورات الربيع العربي أعادت تشكيل المشهد لتطفو مظاهر التشدد الديني من جديد ولتعود معها مطالب فرض النقاب (بمفهومه الديني المسيس) على المرأة العربية المسلمة. ولم تقف المطالبة بفرض النقاب على النساء عند المجتمعات التي شهدت بلدانها ثورات الربيع العربي بل إن امتدادها وانتشارها ألغى الحدود الجغرافية في مواكبة لانتشار التطرف الديني في جميع دول العالم العربي وبالتوازي مع انتشار الإرهاب الذي لم يعترف بالحدود الجغرافية مستعينا في ذلك بما يتيحه تطور وسائل التواصل والاتصال القادرة على دخول جميع الفضاءات الخاصة والعامة.

لم تثر قضية النقاب أزمة في أيّ مجتمع عربي، في السابق، مثلما تثيره اليوم، حيث يجرى تسييس هذا الموضوع بشكل لافت، فإذا دخلت قوى مدنية في أزمة مع نظيرتها الدينية فجرت قضايا، من نوعية النقاب، وهي الحجة أو الذريعة نفسها التي تجعل القوى الدينية تشحذ أدواتها لكسب نقاط جديدة في معركة قديمة، تتجدد عندما يحتاج إليها أحد الطرفين.

ويتناسى الطرفان أن هناك مجتمعات ودولا، بعضها معروف عنه انفتاحها، يرتدي نساؤها النقاب، وفيها يعدّ زيّا ثقافيا وحضاريا يرتبط أساسا بجذور ذلك البلد وتاريخه وعاداته وتقاليده، ما يجعل الحديث عن النقاب أو اللباس الذي يغطي كامل جسد المرأة، ويكون في الغالب أسود اللون، أقرب إلى القضية الاجتماعية الثقافية والحضارية التي تختلف وتتعدد فيها الآراء. وما يعتبره البعض انغلاقا قد ينظر إليه البعض الآخر على أنه حرية شخصية أو تقليد اجتماعي وهوية لا علاقة لها بالتوظيف بين أنصار تيار الإسلام السياسي والمعارضين له

لكن، بعد الثورات العربية لم تجد المرأة في مصر وتونس وليبيا نفسها فقط تقاوم التشدد الديني والرجعية التي ينشرها السلفيون والمجاهدون وكل حاملي ومتبني الفكر المتشدد بل أصبحت هذه المواجهة تعني كل المجتمعات المسلمة والعربية وهو ما جعل مسألة النقاب والمطالبة بحظره ومنعه في المؤسسات التعليمية والجامعية وفي الفضاءات العامة تأخذ حجما أكبر من حجمها الحقيقي وتستغرق وقتا طويلا في السجال والنقاش وكأنما ارتداء النقاب أو خلعه إحدى كبريات قضايا المرأة في العالم العربي وفي الدول المسلمة بينما مشاكلها الواقعية تتجاوزه بكثير من حيث العمق والتأثير.

> منطلقات إعداد مشروع لحظر النقاب في مصر تأتي بعد الانتشار الملحوظ لهذا اللباس في الشارع المصري وما رافقه من مشاكل أدارها بشكل مباشر أو غير مباشر الإخوان المسلمون ودعاة التشدد الديني ضد الحكومة المصرية

النقاب ليس قضيتنا

ارتداء النقاب أو حظره لا يمكن أن يكون قضية النساء في سوريا وليبيا وفلسطين واليمن اليوم فهن يبحثن عن الحق في الحياة وفي السلام وفي الكرامة والاستقرار أولا، بسبب ظروف الحروب والنزاعات المسلحة التي تشهدها بلدانهن. وهو ليس قضية المرأة المصرية التي مازالت تكافح لدحر الأمية ولكسب نصيبها في سوق العمل ولبلوغ التمثيلية التي تليق بها في مواقع الإدارة والتسيير في المجالين الاقتصادي والسياسي. وهو لا يمكن أن يكون قضية المرأة التونسية التي تناضل من أجل فرض المساواة في إدارة الشأن العام، وعلى هذا المنوال لا يمكن أن يكون النقاب قضية المرأة العربية ولا قضية مصيرية بالنسبة إلى المجتمعات العربية ليسخّر لها كل هذه المساحات للنقاش.

المصادقة على قانون يحظر النقاب في الأماكن العامة في مصر من شأنه أن يمثل نقلة تاريخية قد تزعزع مفاهيم التدين الظاهري في المنطقة العربية برمتها، وهي كذلك قد تمثل نقطة مفصلية حول نظرة الرجل للمرأة وقد تثير مراجعات عميقة حول مبادئ الدين الاسلامي والشريعة الاسلامية فيما يخص مكانة المرأة ولباسها بعيدا عما تريد تيارات الإسلام السياسي فرضه. كما أن سن قوانين ونصوص تشريعية يمكن أن يضع حدودا لمفهوم اللباس الشرعي للمرأة وبذلك يوقف هذا الإسهاب في الجدل حوله ويتم تعديل المسار فيما يخص طرح قضايا المرأة العربية الفعلية واليومية دون إلهاء المجتمع والنخب السياسية بمسائل ثانوية مثل النقاب لإلهاء الجميع عن حاجيات المرأة الحقيقية والقضايا التي تؤرقها.

> ما يعتبره البعض انغلاقا قد ينظر إليه البعض الآخر على أنه حرية شخصية أو تقليد اجتماعي وهوية لا علاقة لها بالتوظيف بين أنصار تيار الإسلام السياسي والمعارضين له

الحب والعلاقة الحميمية يقويان مناعة الزوجين

العناق بين الأزواج وسيلة فعالة لنقل الدعم والمساندة

للحب والعلاقة الحميمية قوة سحرية لا يدركها الكثيرون، ولهما تأثير إيجابي لا يتوقف عند الفوائد النفسية والسلوكية فقط، بل يمتد إلى تعزيز صحة الإنسان، والوقاية من الأمراض، ليكونا إحدى الضروريات للصحة العامة للإنسان، وليسا مجرد مشاعر وأحاسيس.

محمد رجب

العناق ينتج طاقة إيجابية

❏ كشفت دراسة صدرت مؤخرا أن الحب والعناق وممارسة الجنس قد يكون لها آثار إيجابية على الصحة، فالرجال المستقرون في علاقاتهم العاطفية ويحظون بحبّ زوجاتهم أقل عرضة لخطر الإصابة بالجلطة وأمراض القلب، حتى لو كان لديهم عوامل خطر مثل كبر السن أو ضغط الدم المرتفع.

وأشارت الدراسة التي أجرتها جامعة بولونيا الإيطالية وشملت 10.000 رجل، إلى أن الرجال معرضون لارتفاع خطر الإصابة بقرحة الاثني عشر حال كان لديهم مشاكل مع زوجاتهن ولم يتمتعوا بالحب والدعم الكافيَيْن.

وقال الباحثون إن هناك عناصر أخرى تحسّن الصحة ومرتبطة بالحب وهي العناق وممارسة الجنس، حيث وجدوا أن الأزواج الذين تعانقوا لمدة تتراوح بين 20 إلى 30 ثانية وأمسكوا بأيدي بعضهم البعض لمدة 10 دقائق كانوا أقل توترا، وساعدهم ذلك في الحفاظ على ضغط الدم الطبيعي، بينما لوحظ أن الأزواج الذين لم يتلامسوا انخفض لديهم معدل دقات القلب والضغط، كما وجدت الدراسة أن العلاقة الحميمية بين الأزواج مفيدة جداً لتعزيز صحة القلب، وتحسين الحالة والشعور النفسي.

وتوصلت دراسة أخرى في مدرسة الطب بجامعة "كارنيجي ميلون" في ولاية بنسلفانيا الأميركية، إلى أن العناق بين الأزواج يكون بمثابة وسيلة فعالة جدا لنقل الدعم والمساندة، وزيادة وتيرة العناق وشدته تكون أداة فعّالة للحدّ من الآثار الضارة للإجهاد والضغط والتوتر، حيث تمّ إجراء أبحاث على حوالي 600 رجل وامرأة من فئات عمرية مختلفة، وتبيّن أن أكثر من 60 بالمئة تتحسّن حالتهم الصحية والنفسية، وتقلّ احتمالات إصابتهم بالأمراض عندما يمارسون العناق مع الحبيب أو المقرّبين إليهم، في حين تراجعت تلك النسبة، عندما تم حظر العناق أثناء الدراسة واقتصار اللقاء على المصافحة بالأيدي وتبادل الأحاديث بعيدا عن مشاعر وأحاسيس الحب والمودة.

ومن أهم النتائج التي توصّل إليها العلماء من خلال أبحاثهم، أن الحب والعلاقة الحميمية يعملان على تقوية جهاز المناعة، وتخفيف ومكافحة الإصابة ببعض أنواع الفيروسات، كما أوضحت الأبحاث أن للعناق تأثيرا إيجابيا في حماية المرء من التوتر الناجم عن التعرّض للعدوى، والإصابات الفيروسية، كما أنه عند عناق المقربين أو شخص ما مصدر ثقة، يتحرّر هرمون الأوكسيتوسين في مجرى الدم، مما يعمل على تخفيف حدة التوتر، وبالتالي تحسين قوة الذاكرة وعمل الدماغ، إضافة إلى أن العلاقة الحميمية والعناق يعملان على تحفيز الجهاز العصبي السمبتاوي لتحقيق التوازن والهدوء، ومن ثمة الشعور بالطمأنينة والاستقلالية وتفريغ شحنات الغضب، ممّا يعمل على صفاء الذهن وتعزيز قوة الذاكرة.

وقد يجهل بعض الأزواج الآثار الصحية التي تأتي من العلاقة الزوجية، حيث أنها تعود بالعديد من الآثار الصحية والنفسية على حياتهم، فالعلاقة الزوجية المنتظمة من حيث النوعية، ولا يشترط زيادة عدد المرات، تعالج الكثير من الأمراض وتقوّي جهاز المناعة.

وقال باحثون في جامعة ساوباولو في البرازيل إن ممارسة العلاقة الجنسية بين الزوجين ليست فقط لتفريغ شحنات من الهرمونات المسؤولة عن الرغبة، أو قضاء بضع دقائق من اللذة، بل هي ممارسة لها منافع كثيرة على صحة الإنسان سواء الجسدية أو النفسية، فالنشوة الناجمة عن ممارسة الجنس تزيد من كمية ما يعرف بمادة "بولاكتين" في الدم، وأوضحوا أن لعدم ممارسة المعاشرة الحميمة آثارا سلبية، وهي لا تقاس بالكمّ بل بالنوعية، وحذرت الدراسة كذلك من ممارسة المعاشرة بمعدل أكثر من 3 مرات في الأسبوع، ما يشكل ضررا على جهاز المناعة عند الإنسان، لأن المبالغة تؤدي إلى الإصابة ببعض الالتهابات الخطيرة.

وفي هذا السياق، يوضّح عبدالهادي الجيلاني، أستاذ الصحة العامة بطب القصر العيني في مصر، أن للحب والعناق الحميم تأثيرا إيجابيا على صحة الإنسان سواء النفسية أو الجسدية، لافتا إلى أن المعانقة المقصودة هنا هي ذلك العناق النابع من الحب والارتياح مع الأشخاص المقرّبين. مشيراً إلى أنه عند الشعور بالحب والاقتراب من الشريك، يتم إنشاء شحنات عاطفية تحفز الغدة الزعترية، التي تُفرز هرمون "الثيموسين" الذي ينظّم بناء المناعة في الجسم، ويساعد على إنتاج كرات الدم البيضاء وإنتاج الخلايا الليمفاوية، وبالتالي زيادة قوة الجهاز المناعي، حيث تُعتبر خلايا الدم البيضاء أحد أهم أجزاء الجهاز المناعي، والتي تقوم بالدفاع عن الجسم ضد مسبّبات الأمراض المختلفة. وتابع الجيلاني قائلا "تنقسم خلايا الدم البيضاء إلى خمسة أنواع، فهناك نوع يعمل على تحطيم الخلايا البكتيرية المختلفة، والثاني يعمل على هضم البكتيريا والفطريات، والثالث يفرز أجساما مضادة للبكتيريا والفيروسات والأجسام الغريبة، والأخير يقوم بمهاجمة الطفيليات الضارة".

> عند الشعور بالحب والاقتراب من الشريك، يتم إنشاء شحنات عاطفية تحفز الغدة الزعترية، التي تفرز هرمون «الثيموسين» الذي ينظم بناء المناعة في الجسم

من جانبه، يشير خليل فاضل، استشاري الطب النفسي، إلى أن العلاقة الحميمية النابعة من الحب تنتج طاقة إيجابية، وهي تؤثر على الإنسان نفسياً وصحياً، وتعود عليه بفوائد كثيرة، موضحاً أنه أثناء تقارب الشريكين ترتفع مستويات هرمون "الأوكسيتوسين" الذي يفرز في حالات الحب والثقة والهدوء، حيث أن زيادته تعمل على زيادة قدرة الأفراد على الثقة بالآخرين، كما تعمل على خفض هرمون "الكورتيزول" الذي يفرز في الأساس استجابة للإجهاد، ممّا ينبّه المستقبلات الحسية للضغط واللمس الموجودة في الطبقة العميقة من الجلد والمسماة "جسيمات باتشيني" لإرسال الإشارات العصبية إلى الدماغ لخفض مستويات ضغط الدم.

ويضيف فاضل "الحب والعناق يلعبان دورا جوهريا في تفريغ الضغط، والتخلص من التوتر والإجهاد، فعناق شخص موثوق به يُعتبر وسيلة لنقل الدعم ممّا يعزز الثقة بالنفس والأمان، وبالتالي التخلّص من الإجهاد والتوتر والضغوطات النفسية".

طبق اليوم

صدور الدجاج بخليط الاجبان والخردل

* **المقادير:**

- 6 صدور دجاج مسحب.
- كوب ونصف جبن تشيدر مبشورة.
- ¾ كوب حليب كامل الدسم.
- نصف كوب جبنة بارميزان مبشورة.
- 3 ملاعق كبيرة زبدة.
- 2 ملاعق كبيرة طحين.
- ملعقة ونصف حبوب خردل.
- نصف ملعقة صغيرة من مسحوق الثوم.
- ملح وفلفل أسود مطحون.

* **طريقة الإعداد:**

- يتبل الدجاج بالملح والفلفل ومسحوق الثوم ثم يوضع في صينية غير قابلة للالتصاق، ويخبز في فرن متوسط الحرارة لمدة 20 دقيقة.
- في أثناء طهي الدجاج توضع الزبدة في مقلاة على النار حتى تذوب ثم يضاف الطحين ويقلب حتى يتحول للون الذهبي.
- ترفع المقلاة من على النار ويضاف الحليب بالتدريج مع التقليب حتى يتكون خليط متجانس.
- يوضع الخليط على نار هادئة لمدة 5 دقائق ثم يضاف جبن التشيدر والبارميزان والخردل والملح والفلفل ورشة من مسحوق الثوم مع التقليب حتى يذوب الجبن.
- يتم إخراج الدجاج من الفرن وتوزع فوقه الصلصة ثم تدخل الصينية إلى الفرن مرة أخرى لمدة 25 دقيقة وتقدم صدور الدجاج الساخنة بخليط الأجبان والخردل.

موضة

أزياء مستلهمة من ليالي لوس أنجلوس

❏ استلهم المصمم زهير مراد مجموعته للأزياء الجاهزة لموسم خريف وشتاء 2016 من ليالي لوس أنجلوس الجامحة، وضمّت المجموعة تصاميم شبابية طغى عليها الطابع المرح والعصري.

قدم زهير مراد مجموعة من قطع الأزياء الجامحة تناسب الإطلالات الليلية الساهرة، كالفساتين القصيرة الضيقة والمزينة بالشراشيب، كما ضمّت المجموعة عدداً من القطع الرسمية كالجاكيتات الأنيقة مع البناطيل الكلاسيكية والجمبسوت الراقي.

نوبل للأمهات الثكالى

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ قد لا تكون مجرد صدفة أن بداية ثورات الربيع العربي قريبة لحد الالتصاق بعيد الأم العربية والسورية خاصة، ولا يمكن مهما كابرنا وحاولنا تجميل الألم وإعلاء شأنه إلا أن نتحطم ألما في عيد الأم الذي يبدو متماهيا مع عيد الشهداء، لأن العيدين -عيد الأم وعيد الشهداء- أشبه بوجهين لعملة واحدة هي الألم فوق تحمل البشر، وهو على الأدق عيد الموت، لأن تغيرا طفيفا سيتم في تغيير الأدوار، فبدل أن يقدم الشاب وردة حمراء متفتحة كقلبه لأمّه الحبيبة في عيدها المتزامن مع بداية الربيع، ستقوم الأم بوضع وردة حمراء متورّمة من الألم كقلبها على ضريح ابنها.

وسيتم الاحتفال بعيد الأم في المقابر، وسط روائح الريحان والزهور والهواء العابق بأنفاس الأحبّة الأشبه بحريق والمُندى بدموع الأمهات الثكالى اللاتي دون أن يُخططن سابقا خرجن صباح الـ21 من مارس من بيوتهن أشبه بمسيرات أو مظاهرات -لا فرق - متوجهات إلى المقابر التي تضم بقايا ضريح من أبنائهن وفي أحسن الأحوال الضريح كاملا.

وستناجي كل أمّ ابنها مناجاتها الخاصة الأجمل من كل صلوات العالم وستتحد أصوات الأمهات الثكالى في ترنيمة الحزن الأبدية على أولادهن الذين لم يعد يعنيهن كيف ماتوا ومع أيّ فصيل قاتلوا؟ وهل آمنوا حقا بالقضية التي حشوا أدمغتهم للإيمان بها. ستصل ترنيمة الأمهات الثكالى إلى الله في عرشه وسيبكي ألما على مصير الأم والشهيد والمذبوح والغريق، والمخطوف والذي لا يعرف أحد عنه شيئا إذ تبخر كدخان.

سيكون الاحتفال بعيد الأم هذا العام في المقابر الشاسعة التي ارتصت تربتها بأجساد شبان ماتوا غدرا، لم يطيقوا الموت ولم يؤمنوا بقضية يدفعون حياتهم ثمنا لها، فهم يتوقون للحياة، للحب، للعيش، للأطفال والعمل والفرح.

ستتحول المقابر إلى ما يشبه حقولا من شقائق النعمان بسبب الورود الحمراء التي حرصت الأمهات الثكالى على إحضارها معهن في الصباح الباكر من عيد الأم، وستبدو الأمهات بوضعية واحدة -كأنهن اتفقن عليها- سيكنّ هياكل مقوّسة من الألم، راكعات قرب القبور يذرفن الدمع وبعضهن جفّ دمعهن، وقد تواسيهن الذاكرة بصور أولادهن الشبان الذين قتلهم شياطين العالم وسيتذكرون طفولة أبنائهن، لكن الفرح قصف في ذروته كما تلوي عنق وردة متفجرة بالشذى والنضارة، ولن يعود الألم محتملا ولا أن تناجي كل أم ابنها بمحتمل، ستتماسك الأيدي النحيلة الرقيقة للأمهات الثكالى وستحكي كل منهن لصديقتها في الفاجعة قصتها وقصة جرحها، وبعضهن دفن أكثر من شاب، ستقوم أمّ كالمجنونة تمزّق قميصها وتنتزع خصلات من شعرها وهي تئن بصوت جفّفه الصراخ: مات ثلاثة من أبنائي، ماتوا في سبيل وطن يتفنّن في قتلهم، وستحاول أخرى مواساتها بأن ابنها مات تحت التعذيب في أقبية النظام بينما الآخر خطفته جبهة النصرة وقطعت رأسه، وهي تريد أن تعرف إن كان الإنسان يوم القيامة يلتحم جسده المقطع أشلاء بعضه ببعض.

وستتنافس الأمهات الثكالى في سرد مآسيهن متمنيات لو كان المشهد كله مجرد كابوس وسيكتشفن أيّ شبه كبير بين كلمة -أم وكلمة ألم- بمجرد سقوط حرف اللام تصير الأم ألما مُتخمّرا كأنها لم تأت إلى الحياة إلا لتنجب أطفالا ترضعهم وتنتظر عودتهم من المدرسة ويتراقص قلبها فرحا وهي تتأمل علامات البلوغ عليهم ثم فجأة تتخثر الحياة.

الموت يُخثّر الحياة، وعلى الأمهات الثكالى أن يُنافسن أيوب في صبره، وعليهن أن يصبن بالعمى من شدة البكاء، أو أن يقمن ما تبقى من حياتهن في الذهول، لأن أعلى مراتب الألم هو الذهول.

وحدها عدالة الموت ستزيل الفوارق بين الشبان المقتولين، فالموت لا يعترف بالتصنيف، فلان من جيش النظام وآخر من الجيش الحر وآخر من فصيلة الفاروق أو أحرار الشام أو الشياطين، الموت يمسح براحته الشاحبة الباردة على الوجوه كلها فتتشابه حدّ التطابق.

أمهات عاشقات حتى النخاع يتنفسن حب أبنائهن الموتى مع كل شهيق وزفير لا يزلن أحياء، حياة لا تشبه الحياة في شيء فهي تكرار أبدي للحزن بانتظار لحظة التوحد مع الحبيب الميت، أيّ ألم أكبر فجيعة أن تتكوم أمّ قرب جثامين أولادها.

وسيحاول الشهداء بكل أطيافهم أن يعزّوا أمهاتهم في عيد الأم: نحن مرتاحون هنا حيث لا رصاص ولا دبابات ولا صواريخ ولا زعيق طائرات ترمي الناس بالبراميل المتفجرة وتجفل العصافير والبشر والحجر. نحن لم نملك قرار حياتنا حين كنا أحياء، قادونا إلى الموت كما تُقاد النعاج للذبح، الآن الموت رحمنا، حيث لا دم ولا صراخ ولا حزن، حيث الهدوء يعمّ المكان كما لو أن الله سيعيد خلقنا من جديد. نحن هنا لا نخاف الذبح ولا الموت تحت التعذيب ولا الموت غرقا ولم يعد يعني لنا أيّ شيء وطن لم يقدم لنا سوى الأكاذيب والمقابر. فقط نحن نشتاق إلى خبز أمّي وقهوة أمي، وأعشق عمري لأني إذا متّ أخجل من دمع أمي.

سيسمونها احتفالية عيد الأم، يا للعار! كم هو مخز أن تُسمى احتفالية خاصة في سوريا، كل ما تتمناه الأمهات أن يمر هذا اليوم بأقصى سرعة ممكنة، سرعة ليتها تتجاوز سرعة الضوء كي لا يضطررن أن يُجررن إلى الشاشات والفضائيات أيّا كانت ويقلن ذاهلات نحن فخورات أن أبناءنا ماتوا في سبيل الوطن.

في عيد الأمهات الثكالى لا أبالغ ولا أدّعي فالأمهات الثكالى يستحققن جائزة نوبل للألم. ومن أجل احترام الأرواح الشابة التي سقطت قتيلة كما تموت الفراشات المحترقة بالنور، عيب أن نقول إن لهذا العيد بهجة فأولادنا معظمهم في مقابر جماعية والأمهات أيقونات للألم.

الثلاثي الرهيب يحول كرة القدم إلى فن

ميسي وسواريز ونيمار صداقة تصنع من برشلونة فريق الأحلام

قاد الثلاثي الرهيب المؤلف من الأرجنتيني ليونيل ميسي والأوروغوياني لويس سواريز والبرازيلي نيمار المعروف بـ"أم أس أن" برشلونة الأسباني حامل اللقب إلى ربع نهائي دوري أبطال أوروبا لكرة القدم. وسجل ثلاثي برشلونة أكثر من 100 هدف هذا الموسم حتى الآن في جميع المسابقات.

□ **برشلونة** – كثر الحديث منذ العام الماضي عن الـ"أم أس أن" وهم ثلاثي برشلونة الأسباني الرهيب الأرجنتيني ليونيل ميسي والأوروغوياني لويس سواريز والبرازيلي نيمار. ثلاثة لاعبين يمتلك كل واحد منهم قدرة كبيرة على الاحتفاظ بالكرة وتجاوز أكثر من لاعب وهو ما يسمح بخلق ثغرات في دفاع المنافس مهما كان قويا ويصعّب جدا من مهمة إيقافهم إن لم يجعلها مستحيلة. يضاف إليها قدرة عالية جدا على التهديف خاصة سواريز الذي يثبت يوما بعد يوم أنه يستحق المبلغ الذي دفع من أجل انتدابه وهو أحد أفضل مهاجمي العالم إن لم يكن أفضلهم، وهذه القدرات تعطي انطباعا أنهم قادرون على التسجيل متى أرادوا وهو ما يعطي الفريق راحة نفسية كبيرة بالقدرة على العودة بالنتيجة وتحقيق الفوز في أيّ وقت من اللقاء.

وتحدث الكثيرون عن سرّ هذا الانسجام، منهم من أرجعه للإدارة التي عرفت كيف تختار اللاعبين ومنهم من رده الأمر إلى المدرب الذي عرف كيف يؤلف ثلاثة نجوم من هذا الحجم سويا وكل ذلك صحيح ولا غبار عليه. لكن الاحتمال الأرجح هو أن اللاعبين أنفسهم يستمتعون باللعب سوية وهناك ألفة كبيرة بينهم. ولولا ذلك لرأينا التنافس على أشده على سرقة النجومية ولما استطاع البارصا تقديم ما يقدمه الآن.

وأشاد الفرنسي أرسين فينغر مدرب أرسنال الإنكليزي بثلاثي برشلونة الأسباني الرهيب ميسي وسواريز ونيمار، ورأى أنه قادر على تحويل كرة القدم إلى فنّ رفيع بعد قيادته الكاتالوني إلى ربع نهائي دوري أبطال أوروبا لكرة القدم. وخرج أرسنال للموسم الخامس على التوالي من دور الـ16 بعد سقوطه 5-1 بمجموع المباراتين أمام برشلونة حامل اللقب.

وقال فينغر "يجب أن نقدّر الفن، يملكون لاعبيْن أو ثلاثة قادرين على تحويل كرة القدم إلى فن". وتابع "يجب القول إننا لعبنا أمام فريق يملك أفضل مهاجمين رأيتهم في حياتي. الثلاثي استثنائي، ويمكنه خلق الفرص من لا شيء". وسجل الثلاثي أكثر من 100 هدف هذا الموسم في مختلف المسابقات.

وواصل فينغر قائلا "لم نستغل الفرص التي سنحت لنا، فيما كان إبداع لاعبي برشلونة في الثلث الأخير استثنائيا وخصوصا ميسي. لم يخسر الكرة من اللمسة الأولى خلال الدقائق التسعين". ودافع فينغر عن نفسه لخروجه مبكرا من المسابقة الأوروبية "في السنوات الست الماضية خرجنا أمام فرق كبرى أحرزت اللقب. في مناسبة واحدة، كانت الظروف لا تصدق ضد موناكو كي نخسر، وفي الباقي خرجنا أمام برشلونة وبايرن".

شجاعة خارقة

اتفق لويس أنريكي مدرب برشلونة مع فينغر على وصف مهاجميه لكنه حيّى أيضا شجاعة فريقه قائلا "من الواضح أننا نملك لاعبين استثنائيين قادرين على إيجاد حلول دائمة. المهم أنهم في خدمة الفريق هجوميا ودفاعيا. هذا هو مفتاح نجاح هؤلاء اللاعبين". وأضاف "يملكون أيضا فريقا وراءهم يسمح لهم بالحصول على الكرات. يحبون بعضهم ونحن سعداء لتواجدهم في فريقنا".

وببلوغه ربع النهائي لتاسع مرة على التوالي، أصبح برشلونة مرشحا قويا كي يصبح أول فريق يحتفظ بلقبه منذ حصول ميلان الإيطالي على اللقب في 1990. وعن الفريق الذي لا يتمنى مواجهته في ربع النهائي، قال لويس إنريكي مازحا "إنه برشلونة".

وأعرب إنريكي عن سعادته لزميله السابق بيب غواردیولا مدرب بايرن ميونيخ الألماني الذي تخطى يوفنتوس الإيطالي بعد التمديد بصعوبة فائقة "أنا سعيد جدا لبيب، لا يمكنك استبعاد فريقه.. العام الماضي اضطررنا لمواجهة أبطال كلّ دوريّ، لذا سنرى أيّ مفاجأة تنتظرنا". من جهته، قال سواريز صاحب الهدف الثاني الرائع "لا أتذكر كيف سددت الكرة ولكن الأهم هو أنها انتهت داخل الشباك". أما الظهير البرازيلي داني ألفيش فقال "كنا نعرف أنها ستكون مباراة مفتوحة. حافظنا على هدوئنا وفي النهاية كنا نستحق الفوز .

إشادة تاريخية

يعتبر مدرب منتخب تشيلي الأول، خورخي سامباولي ثلاثي هجوم برشلونة هو "أسوأ" ما شهدته كرة القدم لأنه قادر على اكتساح أيّ منافس، مشيرا في الوقت ذاته إلى أن ثلاثي هجوم ريال مدريد (بي. بي. سي) يفتقد للتواصل بنفس القرب الذي هو عليه مهاجمو البارصا.

وصرح سامباولي، الذي اختير ضمن أفضل ثلاثة مدربين على مستوى العالم من قبل الفيفا عن عام 2015 "الصداقة بين ليو ونيمار وسواريز هي أسوأ ما شهدته كرة القدم. فليو وحده بإمكانه قيادة الفريق للفوز، فما بالك بتواجد سواريز ونيمار إلى جانبه، هذا لا يقدر بثمن. وينبغي منعهم، أما الاختلاف مع ريال مدريد، فهو أن بيل وكريستيانو وبنزيمة ليس فقط لا يتواصلون بقوة ولكن كلّ منهم يعمل على تحييد دور الآخر".

وأردف "كريستيانو يبدأ وينهي الهجمة وبيل نفس الشيء، أما بنزيمة فيتشبث بما يتبقى من فرص، لكونه هدافا، ولكنهم لا يصنعون نفس خطورة هجوم برشلونة".

ولم يخف سامباولي إعجابه بالمدرب الأسباني بيب غواردیولا، الذي كان مرشحا هو الآخر لجائزة أفضل مدرّب من أصل ثلاثة، وهي الجائزة التي حصل عليها مواطنه لويس إنريكي "إنه مدرب ثوري، شجاع، يحاول تطبيق فكرته في أيّ مكان، حتى في ألمانيا، وهو أمر غير طبيعي. هذا هو أكبر انتصار لبيب، لا يخشى شيئا. الشجعان ليسوا كثرا لا في كرة القدم أو الحياة. بالنسبة إليّ هو مثال للحياة، بعيدا عن طريقة تعامله مع كرة القدم، ولكن بسبب شجاعته".

كما أعرب المدرب الأرجنتيني عن رغبته في قيادة منتخب بلاده، رغم الفوز على "التانغو" في نهائي كوبا أميركا العام الماضي، حيث قال "لم أشعر أنني خائن، ولكنّني عشت أوقاتا صعبة للغاية لأنني كنت أعلم أن هناك أشخاصا في بلدي عانوا من الحزن. كنت أتفهّم سعادة رؤسائي في العمل بتشيلي، لكن كان الأمر غريبا في النهائي، بداية من النشيد الوطني في بداية اللقاء، لأنّني لم أتعرض قط لموقف كهذا أن أواجه الأرجنتين".

وعاد سامباولي ليتحدث عن أزمة الجمهور الأرجنتيني مع "البرغوث" الذي توّج بالكرة الذهبية للمرة الخامسة "مشكلة ميسي في الأرجنتين أنهم لم ينجحوا في أن يجعلوه سعيدا في الملعب. ينبغي أن ندفعه لهذه الحالة وأن يستمتع باللعب. يتعرض لضيق شديد في الأرجنتين. في برشلونة يطلبون منه فقط أن ينزل الملعب وأن يرتدي القميص. عندما يكون ليو سعيدا من الناحية الكروية في الأرجنتين سيقدم أفضل ما لديه. أرى أنه لا يوجد فريق أفضل من الأرجنتين، إذا ما ترك ليو ليشعر بالسعادة ويجد توازنه".

> نجم بايرن ميونيخ تياغو ألكانتارا قال «إن ثلاثي برشلونة سيبقى خالدا مثل الثلاثي الذي كان يشكله تشافي وليو وإنييستا، أو ميسي وإيتو وهنري. لا شك أننا أمام أحد أفضل الثلاثيات في التاريخ»

ثلاثي خارق يصنع أمجاد الفريق الكاتالوني

وأشاد نجم بايرن ميونيخ تياغو ألكانتارا بالقدرات الكبيرة التي يتمتع بها ثلاثي هجوم برشلونة، حيث أكد أنهم يستحقون الفوز ثلاثتهم بالكرة الذهبية. لاعب برشلونة السابق أكّد أيضا أن البايرن والبارصا يقدمان مستويات أفضل من باقي أندية العالم، لكنه حذّر من التراجع في النصف الثاني والأهم من الموسم. ففي حديث لوسائل الإعلام، قال اللاعب الدولي الإسباني "حاليا، ثلاثي برشلونة يستحق المنافسة والفوز بالكرة الذهبية. إنه ثلاثي رائع جدا وسيدخل التاريخ من دون شك. الثلاثي سيبقى خالدا مثل الثلاثي الذي كان يشكله تشافي، ليو وإنييستا أو ميسي، إيتو وهنري. لا شك أننا أمام أحد أفضل الثلاثيات في التاريخ".

ميسي وحكاية الرقم 10

كشف "البرغوث" الأرجنتيني ليونيل ميسي أن اللاعب البرازيلي السابق رونالدينيو، هو من طلب منه أن يرتدي القميص رقم 10 قبل رحيله عن النادي الكاتالوني في 2008. وانضم رونالدينيو إلى صفوف البارصا عام 2003، ليرتدي القميص رقم 10 خلفا للأرجنتيني خوان ريكلمي. ورحل النجم البرازيلي عن برشلونة بعد ذلك التاريخ بستة أعوام سجل خلالها 100 هدف في 200 مباراة.

وأوضح ميسي أن رونالدينيو وعده بمنحه القميص رقم 10 قبل أشهر من إعلان رحيله.

وأضاف "كان يعرف أنه سيرحل وطلب منّي أن آخذ قميصه". وفاز ميسي مع برشلونة بـ21 بطولة مرتديا القميص الذي يحمل الرقم 10، و26 بطولة منذ ظهوره مع العملاق الأسباني.

وقال المدير الفني البرتغالي جوزيه مورينيو، إن الفوز مع نجم برشلونة الأسباني، الأرجنتيني ليونيل ميسي، بدوري الأبطال يكون أسهل من أن تلعب ضده، وذلك كونه "فاز بهذا اللقب مع ثلاثة مدربين مختلفين".

وقال مورينيو إن "ميسي فاز بلقب التشامبيونز مع ثلاثة مدربين مختلفين. أعتقد أنه من السهل أن تفوز معه بهذا اللقب، وليس ضده".

إلا أن مورينيو أكد في الوقت ذاته على أهمية العمل كفريق قائلا "أعتقد أن الأشخاص يفكرون في بعض الأحيان أن اللاعب أهمّ من الفريق. لا زلت على يقين بأن الفريق أهم من أي شيء آخر.. حتى وإن كان ميسي. ولكن من الواضح أن هناك بعض اللاعبين يمكنهم صناعة الفارق".

> المدير الفني البرتغالي جوزيه مورينيو أكد أن الفوز مع نجم برشلونة الأسباني، الأرجنتيني ليونيل ميسي، بدوري الأبطال يكون أسهل من أن تلعب ضده، وذلك كونه فاز بهذا اللقب مع ثلاثة مدربين مختلفين

وكان النجم الأرجنتيني قد فاز بلقب دوري الأبطال مع البلاوغرانا أربع مرات، منها مرتان مع بيب غواردیولا موسمي 2008-2009 و2010-2011، ومع الهولندي فرانك ريكارد موسم 2005-2006 ومع المدير الفني الحالي للفريق، لويس إنريكي، الموسم الماضي.

يسرى ماردیني تنجو من قوارب الموت لتغزو الأولمبياد

اللاجئة السورية تحصلت فعليا على ميداليتها الذهبية في الشجاعة والتحمل

كانت السبّاحة السورية الشابة يسرى ماردیني تصارع أمواج الموت قبل ستة أسابيع، عندما غرق القارب المطاطي الذي كان من المفترض أن يبعدها عن الحرب في بلادها إلى شواطئ الأمان في اليونان، لكنها تجد نفسها الآن أمام إمكانية المشاركة في الألعاب الأولمبية الصيف المقبل في ريو دي جانيرو بالبرازيل.

من الغرق إلى العرق

❏ **برلين** – شاء القدر أن تحل السباحة السورية الشابة يسرى ماردیني في ألمانيا التي استقبلت أكبر عدد من اللاجئين السوريين في أوروبا، حيث حظيت بفرصة مواصلة تمارينها تحضيرا لإمكان مشاركتها في أولمبياد ريو الصيف المقبل، تحت علم اللجنة الأولمبية الدولية التي اختارت لائحة أولية من 43 رياضيا.

ونجت يسرى من الغرق قبل أسابيع قليلة من الآن عندما غرق القارب المطاطي الذي كان من المفترض أن يبعدها عن الحرب في بلادها، فوجدت نفسها تصارع أمواج البحر العاتية إلى أن بلغت شاطئ الأمان باليونان.

وسيشارك بين 5 و10 رياضيين لاجئين تحت راية اللجنة الأولمبية الدولية سيتم اختيارهم من اللائحة الأولية، وتأمل يسرى بطبيعة الحال أن تكون من بينهم.

وقالت السبّاحة السورية الشابة خلال لقاء إعلامي موسع، الجمعة "فرصتي الأكبر ستكون في 200 متر حرة". ويمكن القول إن يسرى حصلت أصلا على ميداليتها الذهبية، لكن في فئتي الشجاعة والتحمّل.

وفي أغسطس الماضي، غادرت يسرى (18 عاما) وشقيقتها السبّاحة أيضا سارة (20 عاما) دمشق منضمتين إلى موجة جديدة من السوريين الذين فقدوا الأمل في رؤية نهاية قريبة للصراع الدائر في بلدهم، فسافرتا إلى لبنان ثم تركيا، حيث دفعتا المال للمهربين من أجل إيصالهما إلى اليونان.

> ماردیني تحلم بالمشاركة في الألعاب الأولمبية من خلال فريق اللاجئين الأولمبي، وهو فريق خاص أعلنت اللجنة الأولمبية الدولة أنه سيكون حاضرا في أولمبياد 2016

"دمّر منزلنا، لم أتمكن من التمرّن لمدة عامين"، هذا ما روته يسرى التي تركت وراءها والديها وشقيقتها الصغرى.

في المحاولة الأولى للهرب، تمكّن خفر السواحل التركي من إيقاف القارب وإعادته، وفي محاولتهما الثانية ركبا قاربا مطاطيا صغيرا، وفي غضون نصف ساعة كانت المياه تتدفق داخله بسبب عدم تحمله عدد راكبيه الذين لا يجيد معظمهم السباحة.

وبعدما بدأت الرياح المسائية تهب في بحر إيجه، واتخذ قرار التخلّي عن جميع الحقائب في محاولة إبقاء القارب عائما، ورغم أن ذلك لم يكن كافيا، اضطرت يسرى وسارة وثلاثة آخرون يجيدون السباحة إلى التضحية والقفز في الماء.

"في البداية، كان الوضع مخيفا جدا"، هذا ما قالته يسرى باللغة الإنكليزية، مضيفة "لكنّي فكرت وشقيقتي أننا سنشعر بالخزي إذا لم نساعد الأشخاص الذين كانوا معنا".

تمسّك السباحون الخمسة بالحبال المتدلية من جوانب القارب لثلاث ساعات، حتى وصلوا إلى شاطئ جزيرة لسبوس اليونانية، وما أن وطئت أقدام يسرى وشقيقتها برّ الأمان حتى اتصلتا بوالدهما عزّت (45 عاما) الموجود في الأردن، وقالتا له "بابا، لقد نجحنا! نحن في اليونان".

"كان الانتظار الأطول في حياتي"، هذا ما قاله الوالد الذي انضم إلى ابنتيه في برلين التي حلت فيها الشقيقتان بعد رحلة برية طويلة دامت أسابيع أوصلتهما إلى النمسا ومن ثم ألمانيا مرورا بالمجر، وهي المرحلة الأصعب للاجئين الذين تواجهوا مع الشرطة.

ويسرى بانفعالها الشبابي، كان لها موقفها من الشرطة المجرية، حيث قالت لهم حينها "كدنا نموت غرقا، هل تعتقدون بأنكم تخيفوننا".

وبعد وصولهما إلى برلين بفترة وجيزة، انضمت الشقيقتان ماردیني إلى أحد أندية السباحة القريبة من مخيّم اللاجئين بفضل المترجم المصري في المخيم، والذي عرّفهما على المدرب زفين سبانيكربس.

ويقول عنهما سبانيكربس في المؤتمر الصحافي الذي عقد الجمعة في العاصمة الألمانية برلين "الفتاتان تحرزان تقدما مذهلا، لكن فرصة اعتمادهما سباحتين في أوروبا ليست قوية"، وأشار أيضا إلى أن تأهل يسرى إلى الألعاب الأولمبية يقتضي أن تسجل 2:03 دقيقة، في حين أن أفضل زمن لها حتى الآن هو 2:11 دقيقة".

ويرى والد يسرى بأن فرص تأهلها إلى ريو 2016 ضئيلة، لكنها ستكون أفضل بالنسبة إلى أولمبياد طوكيو 2020، وسبق ليسرى أن أحرزت لقب بطولة سوريا في مسابقات 200 و400 متر حرة و100 و200 متر فراشة، كما شاركت في دورة الألعاب الآسيوية 2012، إضافة إلى مشاركتها في بطولة العالم في السباحة للمسافات القصيرة في تركيا.

وتضيء السبّاحة الشابة كنجمة عندما تفكر بالألعاب الأولمبية، وحتى إن كانت ستشارك بالعلم الأولمبي وليس مع وفد بلادها، إذ قالت "مهما كان العلم، المشاعر هي ذاتها، إذا دخلت إلى المسبح، فأعتقد بأني لن أفكر سوى بشيء واحد، وهو المياه".

بين المدفعجية والحطّاب صبر أوشك على النفاد

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ ربما لن يكون بمقدور المدرب الفرنسي أرسين فنيغر أن يسير على منوال الأسكتلندي أليكس فيرغسون المدرب السابق لمانشستر يونايتد الذي استمر بتدريب الفريق لأكثر من 23 سنة، ونجح معه في الحصول على عدة ألقاب سواء محلية أو أوروبية، وخاصة بعد الحصول على لقب دوري الأبطال في مناسبتين، وهذا الأهم.

وربما لن يكون بمقدوره أن يحقق حلمه المستمر في الظفر بلقب أوروبي يخلّد به تاريخه مع "المدفعجية"، خاصة وأن الصبر طال أكثر من اللزوم ولم يتحقق المراد.

لقد أوشكت تجربة عشرين سنة بالتمام والكمال بين المدرب فينغر ونادي أرسنال الإنكليزي على النهاية، نعم ربما يكون الموسم الحالي لفينغر "الحطاب" هو الأخير في مسيرته الممتدة من عام 1996 مع "الجانرز"، فعدة معطيات تفيد أن هذا "الزواج" الناجح نسبيا يوشك أن يغدو فراقا لا مفرّ منه.

السبب في ذلك يعود إلى نفاد الصبر عن "الحطاب" الذي بات اليوم عاجزا عن مجاراة الفرق القوية، ولم يقدر على أن يشكل فريقا مهابا رغم كل الإمكانات المرصودة أمامه كي يطلب ما يشاء ويتعاقد مع من يشاء.

في سنواته الأولى مع "المدفعجية" كانت الحكمة والرؤية الثاقبة سلاحه الأول، لقد وجد فريقا يضم العديد من اللاعبين الجيدين على غرار الهولندي دينيس بيركامب، فنجح بسرعة وقاد الفريق إلى تحقيق بعض النجاحات المحلية، ليضمن بذلك البقاء في المقام الرفيع، خاصة وأن الجميع في النادي بات معجبا بطريقته في التعاقد مع بعض اللاعبين الشباب والمغمورين قبل أن يقودهم إلى البروز والتألق، ومن ثمة "بيعهم" بأسعار عالية لفرق أخرى.

نجاح فينغر الذي يعرف بـ"الحطّاب"، يعود إلى أنه يحذق جيدا جمع اللاعبين الذين يبدو عودهم طريا، ومن ثمة يقوم بتشكيل مجموعة قادرة كل موسم على لعب الأدوار المتقدمة في الدوري المحلي، وأحيانا ينجح معهم في التقدم ضمن المسابقات الأوروبية ما يمكن النادي من كسب امتيازات مالية قيمة من قبل الاتحاد الأوروبي لكرة القدم.

وهكذا دواليك، إذ في كل موسم يعمل "الحطّاب" على اكتشاف اللاعبين الشبان من فرق أخرى، وكثيرا ما يتم التعاقد مع لاعبين لا تتجاوز أعمارهم الـ17 ربيعا، وبسياسة التكديس هذه يوفّق في تكوين فريق متماسك وقويّ ولا يكلف خزينة النادي كثيرا، بل في بعض المواسم يتوصل إلى الحصول على بعض الألقاب المهمة على غرار ما حصل سنوات 1998 و2002 و2004 عندما قاد أرسنال إلى الحصول على لقب الدوري الإنكليزي.

والأهم من ذلك كله، أن نجاح فريق يتكون من نجوم من الصف الثاني في بلوغ الدور النهائي لدوري أبطال أوروبا سنة 2006، زاد في ترسيخ القناعة لدى الجميع أن هذا المدرب بمقدوره القيام بإنجازات أفضل من ذلك بكثير لو توفر له المال والعتاد كي يتعاقد مع أيّ لاعب موهوب، مهما كان ثمنه باهظا.

هذه السياسة الجديدة التي تبنتها إدارة الأرسنال توضحت خلال السنوات الأخيرة، حيث منح مسؤولو النادي الضوء الأخضر لفينغر كي يتعاقد مع أيّ لاعب يشاء، وهو ما حصل فعلا خلال الموسم الماضي عندما تم التعاقد مع لاعبين كبار مثل مسعود أوزيل النجم السابق لريال مدريد وأليكس سانشيز مهاجم برشلونة.

ومع ذلك، لا شيء تغيّر نحو الأفضل في الفريق، بل يبدو أن إدارة "المدفعجية" ندمت كثيرا على تغيير سياستها لأن فينغر "الحطّاب" أضاع فأسه، وأظهر أنه لم يعد قادرا على تحمل المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه.

لقد بدأ فينغر في خسارة الحصانة التي كان يتمتع بها، إذ لم يعد التتويج بكأس الاتحاد الإنكليزي أو الحصول على المركز الثاني في الدوري المحلي يغري الجميع.

وما يزيد في شعور أحباء الأرسنال بالغبن الموسم الحالي أن فريقهم بدا وكأنه كان يمسك بالماء بأياد غير متشابكة، بل هو فريق يطارد الوهم وسط كوكبة من الفرق الأخرى التي تحسنت وتطور مستواها، رغم أن إمكاناتها المالية والبشرية لا ترتقي لما هو متوفر في الفريق.

لم يستفد فينغر وفريقه هذا الموسم من تواصل تراجع مستوى مانشستر يونايتد وليفربول وتراجع مستوى تشيلسي ومانشستر سيتي أيضا، وبعد خروجه المتكرر سنويا من دوري الأبطال، يبدو أن حلم الحصول على لقب الدوري المحلي بات بدوره صعب المنال، ولهذا السبب أوشك الصبر أن ينفد، وربما المعجزة قد تنقذ هذه الزيجة من خطر "الطلاق" في نهاية الموسم الحالي.

المعجزة تكمن في نجاح فينغر بتدارك خيباته المحلية وإزاحة ليستر سيتي وتوتنهام من طريقه، ثم الصعود إلى المركز الأول وإنهاء منافسات الدوري في الصدارة، هذا الأمر لوحده قد يحافظ على رابط عشرين عاما بين "المدفعجية" و"الحطّاب"، وأيّ نتيجة أخرى تعني أن موسم أرسنال كان فاشلا، وبالتالي فإن الفراق سيكون واقعا حتميا ومفروضا ولا مناص منه، لأن الصبر سينفد حينها بكل تأكيد.

هاميلتون ينطلق الأول للمرة الخمسين

❏ **ملبورن** – سينطلق سائق مرسيدس البريطاني لويس هاميلتون من المركز الأول لجائزة أستراليا الكبرى، في الجولة الافتتاحية من بطولة العالم لسيارات فورمولا وان، الأحد على حلبة ملبورن.

وسجل هاميلتون أسرع زمن في التجارب النهائية السبت، وجاء بعد زميله في مرسيديس الألماني نيكو روزبرغ، في حين جاء ثنائي فيراري الألماني سيباستيان فيتيل والفنلندي كيمي رايكونن في المركزين الثالث والرابع، وبذلك يكون هاميلتون قد حقق بانتزاعه انطلاقة المركز الأول، الأحد، على حلبة ملبورن انطلاقته الخمسين في المركز الأول على مدار مشواره الرياضي.

وتم اعتماد نظام جديد للتجارب التأهيلية خلال هذا الموسم، حيث تمّ الاحتفاظ بالأقسام الثلاثة الأولى من التصفيات، لكن مع تعديل نظام التأهل إلى الحصة التالية.

وبقيت مدة التجارب لـ60 دقيقة، لكن مع إقصاء أبطأ سيارة خلال فواصل زمنية مدتها 90 ثانية في النصف الثاني من كل قسم.

ويمتدّ القسم الأول من التجارب لـ16 دقيقة ويتم إقصاء السائق الأبطأ بعد مضي 7 دقائق، ثم يليه سائق آخر بعد 90 ثانية وهكذا دواليك، حتى تبقى أفضل 16 سيارة ثم يقصى السائق صاحب المركز 16 في الترتيب النهائي، وتتأهل بذلك 15 سيارة إلى القسم الثاني الذي سيمتد لـ15 دقيقة.

ويبدأ إقصاء السائق الأبطأ بعد مرور 6 دقائق، ثم يليه آخر كل 90 ثانية حتى تبقى 9 سيارات، ومع إكمال القسم الثاني ووضع الترتيب النهائي للسائقين، سيتم إقصاء السائق الأبطأ ليتأهل 8 سائقين إلى القسم الثالث والأخير الذي سيمتد لـ14 دقيقة، ويتم إقصاء السائق الأبطأ بعد 5 دقائق، ثم يليه آخر بعد 90 ثانية وصولا إلى بقاء سيارتين تتنافسان على المركز الأول.

وتشهد سيارات 2016 تعزيزا لسلامة السائقين مع تقوية المقصورة من أجل تحمّل الحوادث بشكل أفضل، وذلك بانتظار المقصورة نصف المغلقة في موسم 2017.

وسمح أيضا في هذا الموسم بفرض نظام سيارة الأمان الافتراضية، الذي طبق الموسم الماضي في السباقات، خلال حصص التجارب لتجنب هدر الوقت نتيجة الحوادث في التجارب.

وانتقد الألماني نيكو روزبرغ، سائق مرسيدس ووصيف بطل العالم مرتين في سباقات الفورمولا وان، السبت، نظام التصنيف الجديد، مطالبا بالعودة إلى "النظام القديم".

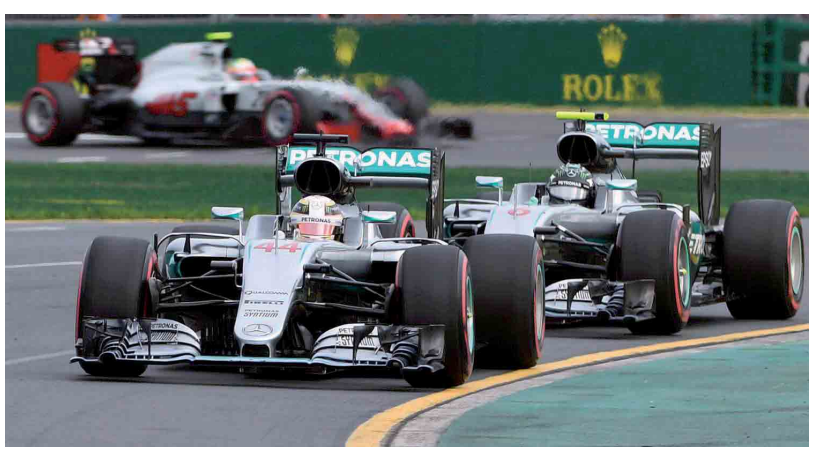

في الصدارة كالعادة

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

تونس تحول ذكرى هجوم متحف باردو إلى مهرجان حياة

أحيت تونس، الجمعة، الذكرى الأولى لاعتداء باردو، أول ثلاث اعتداءات كبيرة استهدفت سياحا أجانب في البلاد في السنة 2015، عندما فتح مسلحان متشددان النار على زوار المتحف، وقتلا 21 سائحا ورجل أمن تونسيا في 18 مارس من العام الماضي.

لوحة فسيفسائية تخلد الضحايا

❑ **تونس** – تم، الجمعة، داخل المتحف الشهير بالعاصمة التونسية الذي يضم أكبر مجموعات فسيفساء رومانية في العالم، تدشين لوحة تذكارية حملت أسماء الضحايا الـ22 لاعتداء متحف باردو الذي وقع يوم 18 مارس 2015، وهم إحدى وعشرون سائحا ورجل أمن تونسيا.

ووضعت باقات زهور قرب النصب "تخليدا لذكرى شهداء الثقافة"، بحسب تعبير وزيرة الثقافة التونسية سنيا مبارك، كما أقيم نصب مماثل في حديقة المتحف بمبادرة من جمعية "كلنا تونس".

وأضافت الوزيرة التونسية "نريد أن نقول من خلال هذا التكريم إننا اخترنا ثقافة الحياة ومحاربة ثقافة الموت".وحضر الموكب العديد من أعضاء الحكومة والنواب التونسيين ودبلوماسيين ومسؤولين أجانب.

وقال وزير الخارجية الفرنسي جان مارك إيرولت من جهته "في تونس الوحشية تضرب، لكنها لا تنتصر"، محييا روح المقاومة وشجاعة الشعب التونسي، ومؤكدا مجددا التضامن التام لفرنسا مع تونس.

وقررت وزارة الثقافة والمحافظة على التراث التونسية تحويل ذكرى هجوم متحف باردو إلى حدث فني بعنوان "ليالي متحف باردو" في الفترة من 20 إلى 24 مارس.

والموعد الثقافي الجديد سيكون سنويا ومن المنتظر تعميمه في عدد من المحافظات الأخرى، وذلك لغاية بعث الحيوية وبث الديناميكية في شريان سلسلة المتاحف التونسية، ومحاولة تخليص هذا الإرث القيم من العزلة والانطوائية والزيارات المناسباتية.

ونظمت وزارة الثقافة والمحافظة على التراث التونسية بالمناسبة حفلا فنيا، الجمعة، قدمت خلاله مقطوعات موسيقية، أبرزها معزوفة "باردو" على آلة البيانو للأوركسترا الفيلهارموني بقيادة المايسترو التونسي شادي القرفي.

وقدمت معزوفة "باردو" للمؤلف الموسيقي الفرنسي هنري بوبال لأول مرة في 1890 بعد عامين من تأسيس المتحف. والمعزوفة هدية من المؤلف الفرنسي إلى باي (والي) تونس آنذاك علي باي الذي استمر حكمه في الفترة من 1882 إلى 1902، وكان وراء تأسيس المتحف الذي أصبح يسمى بعد الاستقلال بمتحف باردو.

وقدم الأوركسترا الفيلهارموني أثناء الحفل، أيضا، معزوفات موسيقية من بينها معزوفة "بافان" للفرنسي جابرييل فوري، ومعزوفة "أداجيو" للإيطالي تومازو ألبينوني، ومعزوفة "ناني مي ناني داميانكو" للبلغاري ليوبومير بيكوف، فيما ألقى الشاعر التونسي جمال الصليعي بعضا من قصائده الحماسية التي تتغنى بالوطن، قبل أن يختتم الحفل بتقديم كتاب بعنوان "كلنا باردو"، وهو إصدار يوثق لعراقة تاريخ تونس والحضارات المتعاقبة عليها أعدته نخبة من الخبراء والمختصين في التراث.

وقتل في الهجوم المسلح الذي استهدف متحف باردو سائحون من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وبولندا وإيطاليا وأسبانيا وكولومبيا واليابان وروسيا.

نسخة من كتاب «كفاحي» لأدولف هتلر تباع بـ20 ألف دولار

❑ **شيسابيك (الولايات المتحدة)** – بيعت نسخة من كتاب أدولف هتلر "كفاحي" كانت ملكا للزعيم النازي بسعر عشرين ألفا و655 دولارا خلال مزاد في الولايات المتحدة الأميركية.

وعثر جنود أميركيون على الكتاب المجلد بالأحمر عند تحرير ميونيخ في نهاية الحرب العالمية الثانية، على ما أفادت دار مزادات "ألكسندر هيستوريكال أوكشنز" التي عرضته للبيع، وقد اشترى الكتاب مواطن أميركي.

وكان هتلر احتفظ بالكتاب لاستخدامه الشخصي أو كهدية محتملة إلى معجب، على ما أوضح المصدر نفسه، وكان سعر الكتاب مقدرا في الأساس بين 12 و15 ألف دولار.

وتحمل الصفحة الأولى من الكتاب توقيع أحد عشر ضابطا أميركيا من كتيبة المشاة الخامسة والأربعين، وهم طلائع الجنود الذين حرّروا ميونيخ.

وكتب أحد هؤلاء الضباط قبل أن يوقّع على الصفحة "من شقة أدولف هتلر في ميونيخ في الثاني مايو 1945"، وقد وقع عشرة عسكريين أميركيين آخرين الصفحة الأولى أيضا.

وفي رسالة بتاريخ 20 أغسطس 2015، كتبت ابنة أحد هؤلاء الضباط الكابتن دانييل آلن أن والدها حمل الكتاب معه إلى المنزل في نهاية الحرب.

وقد شارك أكثر من عشرة أشخاص في المزاد عبر الهاتف والإنترنت، على ما أوضحت دار المزادات ومقرها في شيسابيك سيتي في ولاية ماريلاند (شرق الولايات المتحدة).

وكان هتلر كتب "كفاحي" في عام 1924 عندما كان مسجونا بتهمة الخيانة إثر انقلاب فاشل في ميونيخ. ويفصّل الكتاب البرنامج السياسي الذي اتّبعه هتلر بعدما تولّى الحكم، من توسع وتجديد الحس القومي الألماني وبغضه لليهود الذي سيؤدي إلى المحرقة في الحرب العالمية الثانية.

وكانت النسخة الواقعة في 354 صفحة من "كفاحي" التي بيعت الجمعة ضمن إصدار محدود طبع في ميونيخ عام 1927.

وبيعت ملايين النسخ من "كفاحي" في ألمانيا بعد وصول هتلر إلى الحكم عام 1933 وحتى وفاته في عام 1945.

مهرجان كلاستنبوري الموسيقي يحتفي بأديل

❑ **كلاستنبوري (المملكة المتحدة)** – تحل المغنية البريطانية أديل نجمة رئيسية على مهرجان كلاستنبوري الشهير للموسيقى الذي يقام في جنوب غرب إنكلترا، على ما أعلن المنظمون ونجمة البوب.

وأوضح المنظمون عبر حساب المهرجان على خدمة "تويتر"، "تحل أديل الفنانة الرئيسية خلال مهرجان كلاستنبوري هذه السنة".

ويقام مهرجان كلاستنبوري للموسيقى، وهو من الأشهر في العالم من 22 إلى 26 يونيو هذه السنة. ويتميز المهرجان المعروف عالميا، بأنه يستقبل جماهيره التي تصل إلى حدود المئة وخمسين ألفا سنويا في خيام على مدى خمسة أيام، منها الخيم الفخمة بسعر يتجاوز الاثني عشر ألف يورو لخمسة أيام، ومنها المتواضعة الممتدة على مد النظر في حقول منطقة سومرسيت الخضراء.

وأعلنت أديل النبأ أيضا إلى جمهورها خلال حفلة أحيتها في لندن التي تشكل إحدى محطات جولتها العالمية، وهي الأولى لها منذ أربع سنوات، والتي باشرتها في مطلع الشهر الحالي. وغرّدت إميلي إيفيس أحد منظمي المهرجان "إنه لشرف أن نستضيف أديل الرائعة".

وقد سجلت أديل أفضل مبيعات ألبومات في العالم خلال عام 2015 مع ألبومها الجديد "25"، وهو الثالث لها بفضل الأغنية "هيلو" خصوصا، على ما يفيد الاتحاد الدولي للصناعة الفونوغرافية من دون توفير أرقام محددة.

ومن الأرقام القياسية التي سجلتها أديل أيضا، مشاهدة فيديو كليب أغنيتها "هيلو" مليار مرة في غضون 88 يوما فقط.

إناث الحيوانات يهملن زينتهن تجنبا للتحرش

❑ **لندن** – تختلف مقاييس الجمال في عالم الحيوان فيتمتع الذكور بألوان زاهية ومظهر لافت للأنظار، فيما تفتقد الإناث لجميع تلك المعايير الجمالية، مما دفع العلماء للبحث عن السبب.

وكانت محاولات سابقة لتفسير هذا التباين الكبير في الزينة والجمال قد خرجت ببضع نظريات على مدى السنين، بحسب تقرير نشرته صحيفة "الإندبندنت" البريطانية، الجمعة 18 مارس 2016.

وأشار باحثون إلى أن فقدان الجمال لدى أنثى الحيوان قد يكون مرده تجنب التحرش الجنسي بها من قبل الذكور، حيث قال الباحثون إن افتقار الإناث للزخرف مقارنة بالذكور هو وسيلة لتجنب انتباه الذكور غير المرغوب فيه، ويمكن ملاحظة ذلك في أغلب الحيوانات وخاصة الطيور.

فالطاووس مثلا هو أبرز مثال على النظرية السابق ذكرها، إذ يتمتع بريش مزين بألوان زاهية عدة، أما الإناث فغالبا ما يكون ريشها بلون موحد، وهي ظاهرة تعرف باسم ازدواج الشكل الجنسي ويشمل الفروقات في الحجم واللون ووجود أو غياب أجزاء من الجسم.

وقالت الدراسة التي نشرت مؤخرا أن "المظهر الممل" للإناث، ليس إلا وسيلة من وسائل حماية الذات من التطاولات وتجنب التحرش الجنسي.

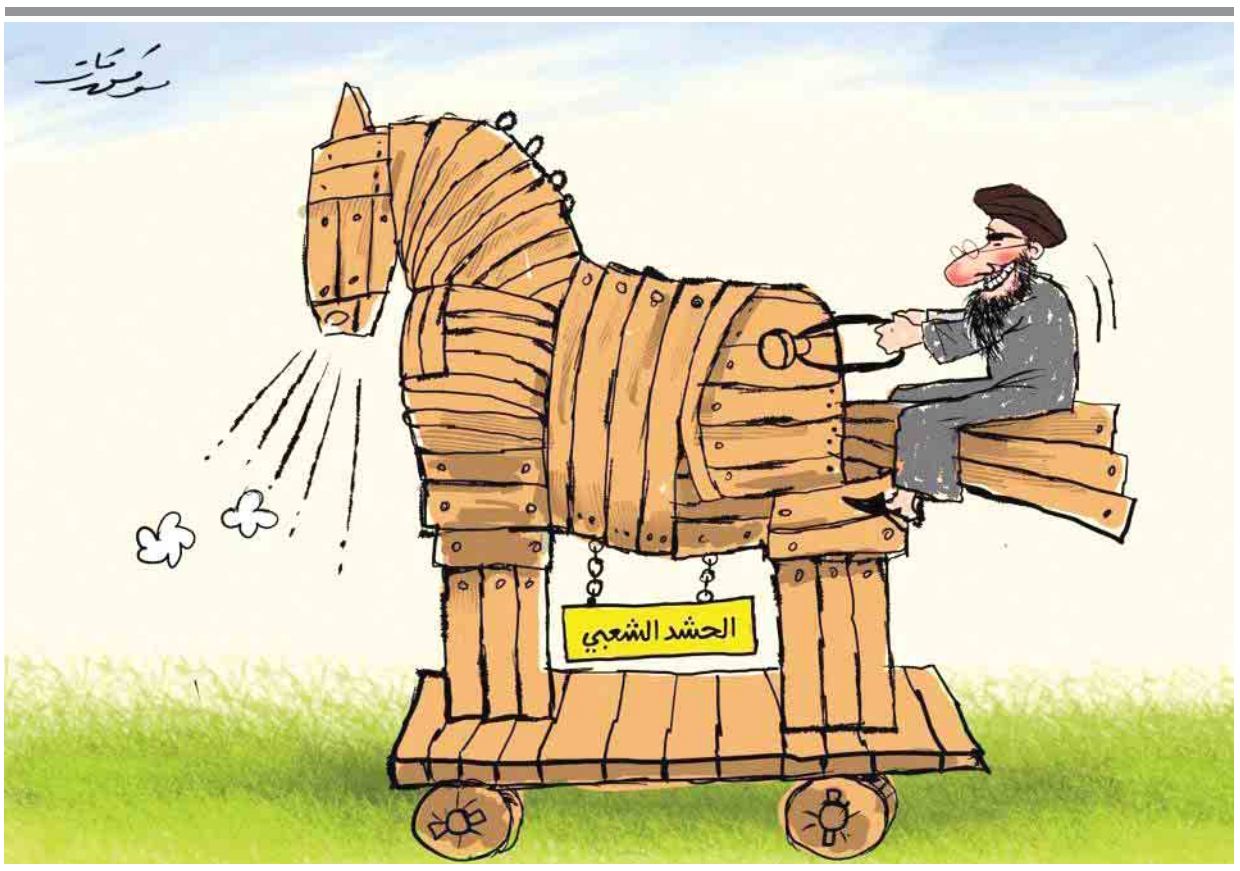

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

«خناقة» عيد الأم

❑ جاري العزيز أحمد عبدالعزيز شاب ثري في منتصف الثلاثينات، أنعم الله عليه بفتاتين في الصفين الثالث والرابع الابتدائي بإحدى مدارس اللغات الراقية بالقاهرة.

"زيزو" كما ناديه تشاجر مع زوجته الموظفة بأحد البنوك الكبرى، لدرجة أن سكان البناية التي نقطنها سارعوا بالخروج للنوافذ لاستكشاف سبب هذه الحرب العالمية الزوجية التي لم تحدث من قبل في هذا العش الهادئ، الشجار كان ببساطة بسبب عيد الأم!

سألت زيزو أثناء خروجنا للعمل في الصباح، ماذا حدث بينكما؟ لم كان هذا الانفجار وأنت الهادئ دوما؟ بمرارة أجابني أن ابنتيه حضرتا من المدرسة ومع كل منهما قائمة طلبات من المدرسات بالهدايا التي يردن الحصول عليها بمناسبة عيد الأم.

فمؤخرا بدأت بعض المدارس لأبناء الطبقة الراقية في ابتزاز أولياء الأمور في عيد الأم وبداية العام الدراسي والاشتراك في الرحلات المدرسية، حيث أصبحت هذه الإيرادات غير الشرعية تضاف إلى ميزانية المدارس، فضلا عن الرسوم السنوية والتي تتجاوز أحيانا 7 آلاف دولار (65 ألف جنيه مصري) مع رسوم "الأوتوبيس" المدرسي.

جاءت البنتان من المدرسة ومع كلّ منهما قائمة بالهدايا المطلوبة، "مس" إكرام تريد خلاطا ألمانيا، و"مس" ماهيتاب ترغب في مكنسة يابانية، و"مدام" خديجة تحلم براديو كاسيت. سأل زيزو زوجته "هل هذا معقول؟ المدرسة فيها حوالي 800 تلميذة، ولو افترضنا أن كلا منهن أحضرت هدية للمعلمة، فمعنى هذا أن المعلمات يستطعن بكل سهولة افتتاح محلات أجهزة منزلية وكهربائية"!.

ردت الزوجة أن المعلمات لا يفعلن ذلك إلاّ مع أولياء الأمور الأثرياء أو الذين يرون سياراتهم الفارهة عندما يحضرون المناسبات المدرسية، بعصبية رد أحمد "لن أدفع، هذا ابتزاز حقير، وسأشكوهم لوزير التعليم وسأطلب من أصدقائي الصحفيين فضحهم في الصحف والمجلات".

وفي المقابل، نصحته زوجته بعدم التهور، والرضوخ لما تطلبه المدرسات حرصا على مظهر الأسرة الاجتماعي و"البرستيج" المعروف عنهم، خاصة وأن هناك احتمالا أن تضطهد المدرسات الفتيات في الامتحانات الشهرية والشفوية.

استسلم زيزو وسألها "يعني عايزين كام"؟ ردت الزوجة "حوالي 4 آلاف جنيه لثماني مدرسات"!. دفع الرجل صاغرا وهو يسب ويلعن التعليم واليوم الذي قرر فيه تعليم بناته تعليما راقيا لزوم "البرستيج"، بعد يومين جاءت الفتاتان لتسألانه عن الهدية التي ستقدمها كل منهما لوالدتها، ربّت أحمد على كتف كل ابنة وأخبرهما أنه سيحضر لكل واحدة زجاجة عطر لتقديمها إلى أمهما.

وبمجرد أن فتحت الزوجة هديتي ابنتيها، حتى انفجرت في أحمد قائلة "حضرتك جايب للمدرسات المعفنات! هدايا بـ4 آلاف جنيه، ولمراتك حبيبتك أم بناتك بارفان بـ1200 جنيه فقط، يا أخي عيب عليك !"

هنا انفجر بركان "فيزوف" المعروف بزيزو في وجه إعصار كاترين "مها زوجته"، وكادت عمارتنا المسكينة تنهار تحت وطأة حرب "الفشخرة" والغيرة والأنانية. كلّ عام وكلّ أمّ طيبة مهما كانت عصبية!